بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ

/تفسيرُ سورةِ الأنبياءِ عليهم الصلاةُ والسلامُ ١/١٧

بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ

القولُ فى تأويلِ قولِه عزَّ ذكرُه : ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴿١﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذِكرُه : دنا حسابُ اللَّهِ للناسِ على أعمالِهم التى عَمِلوها فى دُنياهم ، ونِعَمِهم التى أنعَمها عليهم فيها ؛ فى أبْدَانِهم وأجْسامِهم ومَطاعِمِهم ومَشاربِهم وملابسِهم ، وغيرِ ذلك من نعمِه عندَهم ، ومسألتِه إيَّاهم ماذا عمِلوا فيها ، وهل أطاعوه فيها ، فانْتَهَوا إلى أمْرِه ونَهيِه فى جميعِها ، أم عَصَوه فخَالَفوا أمْرَه فيها ؟ ﴿ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴾ . يقولُ : وهم فى الدنيا عمَّا اللَّهُ فاعلٌ بهم من ذلك يومَ القيامةِ ، وعن دُنوِّ محاسبتِه إيَّاهم منهم [(١)] ، واقْترابِه لهم ، فى سَهْوٍ وغَفْلَةٍ ، وقد أعْرَضوا عن ذلك ، فتَرَكوا الفِكْرَ فيه ، والاستعدادَ له ، والتأهُّبَ ؛ جهلًا منهم بما هم لَاقُوه عندَ ذلك من عظيمِ البلاءِ ، وشديدِ الأهوالِ .

وبنحوِ الذى قُلنا فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴾ [(٢)] جاء الأثَرُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ .

ذِكْرُ [(٣)] الرواية بذلك [(٣)]

حدَّثنا أبو موسى محمدُ بنُ المثنى ، قال : ثنا أبو الوليدِ ، قال : ثنى أبو معاويةَ ،

---

(١) فى ت٢ : « منه » .

(٢) بعده فى ص ، م ، ت١ ، ت٣ ، ف : « قال أهل التأويل و » .

(٣ - ٣) فى ص ، م ، ت١ ، ت٣ ، ف : « من قال ذلك » .

قال: أخبَرنا الأعمشُ، عن أبى صالحٍ، عن أبى هريرةَ رضِى اللَّهُ عنه، عن النبىِّ ﷺ: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾. قال: «فى الدُّنيا»[(١)].

٢/١٧ /القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢﴾.

يقولُ تعالى ذِكرُه: ما يُحْدِثُ اللَّهُ من تنزيلِ شىءٍ من هذا القرآنِ للناس[(٢)]، ويُذَكِّرُهم به ويَعِظُهم، ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾: [(٣)]لا يَعْتَبِرون به، ولا يتفكَّرون فى وعدِه ووعيدِه، ولكنَّهم يَسْتمِعونه وهم يلعَبون[(٣)] لاهيةً قلوبُهم.

وبنحوِ الذى قُلنا فى تأويلِ ذلك قال أهلُ التأويلِ.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ قولَه: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [٢/٣٧٠ظ] الآية. يقولُ: ما يُنَزَّلُ عليهم مِن شىءٍ من القرآنِ إلا اسْتَمَعوه وهم يَلْعَبون[(٤)].

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٣﴾.

يعنى[(٥)] تعالى ذِكرُه بقولِه[(٦)]: ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾: غافلةً. يقولُ: ما

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣١٤ إلى ابن مردويه، وأخرجه النسائى فى الكبرى (١١٣٣٢) من طريق أبى الوليد به من حديث أبى سعيد، وفى (١١٣٣١) من طريق أبى معاوية به من حديث أبى سعيد أيضًا.

(٢) سقط من: ص، ت١، ت٣، ف، وفى م: «للناس و».

(٣ - ٣) سقط من: ص، م، ت١، ت٣، ف.

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٨/٢٧٥٠ من طريق يزيد به، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣١٤ إلى ابن المنذر.

(٥) فى م، ت١، ت٢، ت٣، ف: «يقول».

(٦) سقط من: م.

يَسْتَمِعُ هؤلاءِ القومُ الذين وصَف صِفَتَهم ، هذا القرآنَ إلَّا وهم يَلْعَبون ، غافلةً عنه قلوبُهم ، لا يتَدبَّرون حُكْمَه ، ولا يتفكَّرون فيما أوْدَعه اللَّهُ من الحُجَجِ عليهم .

كما **حدَّثنا** بِشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾ . يقولُ : غافلةً قلوبُهم[1] .

وقولُه : ﴿ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ . يقولُ : وأسَرَّ هؤلاءِ الناسُ الذين اقْتَرَبتِ الساعةُ مِنهم وهم فى غَفْلةٍ معرضون لاهيةً قلوبُهم - النَّجْوى بينَهم . يقولُ : وأظْهَروا المناجاةَ بينَهم فقالوا : هل هذا الذى يزعُمُ أنَّه رسولٌ مِن اللَّهِ أرسَله إليكم ، ﴿ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ . يقولون : هل هو إلا إنسانٌ مِثلُكم فى صورِكم وخَلْقِكم . يَعْنُون بذلك محمدًا ﷺ .

وقال : ﴿ الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ فوصَفَهم بالظُّلمِ بفِعْلِهم وقِيلِهم الذى أخبرَ به عنهم فى هذه الآياتِ أنَّهم يفْعَلون ويقولون ؛ من الإعراضِ عن ذكرِ اللَّهِ ، والتكذيبِ برسولِه .

ولِـ ﴿ الَّذِينَ ﴾ من قولِه : ﴿ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ فى الإعرابِ **وَجْهان ؛ الخفضُ** على أنَّه تابعٌ لـ « الناسِ » فى قولِه : ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ . **والرفعُ** على الردِّ[2] على الأسماءِ الذين فى قولِه : ﴿ وَأَسَرُّوا ﴾ من ذِكْرِ « الناسِ » ، كما قيل : ﴿ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ﴾ [المائدة : ٧١] . وقد يحتمِلُ أن يكونَ رفعًا على الابْتداءِ ، ويكونَ معناه : وأسرُّوا النَّجوى . ثم قال : همُ الذين ظَلَموا .

وقولُه : ﴿ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ . يقولُ : وأظْهَروا[3] هذا

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣١٤ إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم .

(٢) الرد : البدل . ينظر مصطلحات النحو الكوفى ص ٣٦ .

(٣) فى ص ، ف : « وأظهر » .

القولَ بينَهم ، وهى النَّجْوى / التى أسرُّوها بينَهم ، فقال بعضُهم لبعضٍ : أتَقْبَلون ٣/١٧
السِّحرَ ، وتُصَدِّقون به وأنتم تعلمون أنَّه سحرٌ ؟ يعنُون بذلك القرآنَ .

كما حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ . قال : قاله أهلُ الكفرِ لنبيِّهم لِما جاء به من عندِ اللَّهِ ، زعَموا أنَّه ساحرٌ ، وأن ما جاء به سحرٌ ، قالوا : أتأتون السِّحرَ وأنتم تُبْصِرون ؟

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ ﴾ .

اختلَفتِ القرَأةُ فى قراءةِ قولِه : (قُلْ رَبِّى) ؛ فقرَأ ذلك عامّةُ قرَأةِ أهلِ المدينةِ والبصرةِ وبعضُ الكوفيِّين : (قُلْ رَبِّى) . على وجْهِ الأمْرِ[1] . وقرَأه بعضُ قرَأةِ مكةَ وعامَّةُ قرأةِ الكوفةِ : ﴿ قَالَ رَبِّى ﴾ على وجْهِ الخَبَرِ[2] . وكأنَّ الذين قرَءوه على وجْهِ الأمْرِ أرادوا من تأويلِه : قُلْ يا محمدُ للقائلين : ﴿ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ : ربِّى يعلمُ قولَ كلِّ قائلٍ فى السماءِ والأرضِ ، لا يَخْفَى عليه منه شىءٌ ، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لذلك كُلِّه ، ولِما يقولون من الكَذبِ ، ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بصِدْقى وحقيقةِ ما أدْعُوكم إليه ، وباطلِ ما تقولون ، وغيرِ ذلك من الأشياءِ كلِّها . وكأنَّ الذين قَرَءوه على وجْهِ الخبرِ أرادوا : قال محمدٌ : ﴿ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ . خبرًا مِنَ اللَّهِ عن جوابِ نبيِّه إيَّاهم .

والقولُ فى ذلك عندى أنَّهما قراءتان مشهورَتان فى قَرَأةِ الأمصارِ ، قد قرَأ بكلٍّ

---

(١) وهى قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو وابن عامر وعاصم فى رواية أبى بكر . السبعة لابن مجاهد ص ٤٢٨.

(٢) وهى قراءة عاصم فى رواية حفص ، وحمزة والكسائى . المصدر السابق .

واحدةٍ مِنهما علماءُ مِن القرأةِ ، وجاء بهما مصاحفُ المسلمين مُتَّفِقَتا المعنَى ، وذلك أن اللَّهَ إذا أمَر محمدًا بقِيلِ ذلك قالَه ، وإذا قالَه فعن أمرٍ مِن[1] اللَّهِ قالَه ، فبأيَّتِهما قرَأ القارئُ فمصيبٌ الصوابَ فى قراءتِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ .

[٢/٣٧١و] يقولُ تعالى ذِكْرُه : ما صَدَّقوا بحِكْمَةِ هذا القرآنِ ، ولا أنَّه مِن عندِ اللَّهِ ، ولا أقَرُّوا بأنَّه وَحْيٌ أوحاه[2] اللَّهُ إلى محمدٍ ﷺ ، بل قال بعضُهم : هو أهاويلُ رُؤيا رآها فى النومِ . وقال بعضُهم : هو[3] فِرْيةٌ واختلاقٌ افْتَراه واخْتَلَقَه من قِبَلِ نفسِه . وقال بعضُهم : بل محمدٌ شاعرٌ ، وهذا الذى جاءكم بهِ شعرٌ . ﴿ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ ﴾ . يقولُ : قالوا : فَلْيَجِئْنا محمدٌ إن كان صادقًا فى قولِه : إن اللَّهَ بعَثَه رسولًا إلينا ، وإن هذا الذى يَتْلُوه علينا وحْيٌ مِن اللَّهِ أوْحاه إلينا . ﴿ بِـَٔايَةٍ ﴾ . يقولُ : بحُجَّةٍ ودَلالةٍ على حقيقةِ ما يقولُ ويدَّعى ، ﴿ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ . يقولُ : كما جاءت به الرسلُ الأوَّلون من قَبْلِه ؛ من إحياءِ المَوْتَى ، وإبْراءِ الأكْمَهِ والأبْرَصِ ، وكناقةِ صالحٍ ، وما أشْبَهَ ذلك من المعجِزاتِ التى لا يقدرُ عليها إلَّا اللَّهُ ، ولا يأتى بها إلَّا الأنبياءُ والرُّسلُ .

وبنحوِ الذى قُلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

---

(١) سقط من : ص ، م ، ت١ ، ت٣ ، ف .

(٢) فى م : « أوحى » .

(٣) فى ت٢ : « بل » .

ذِكْرُ مَن قال ذلك / ٤/١٧

حدَّثنا بِشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ﴾ . أى : فعلُ حالمٍ ، إنما هى رؤيا رآها . ﴿ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ : كلُّ هذا قد كان مِنهم .

وقولَه : ﴿ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ . يقولُ : كما جاء عيسى بالبيِّناتِ ، وموسى بالبيناتِ ، والرُّسلُ[1] .

حدَّثنى علىٌّ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن علىٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ﴾ . قال : مُشْتَبِهةٌ[2] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، وحدَّثنى الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا وَرقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ﴾ . قال : أهاوِيلُها[3] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

وقال تعالى ذكرُه : ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ ﴾ . ولا جحدَ[4] فى الكلامِ ظاهرٌ[5] فيُحَقَّقَ بـ « بل » ؛ لأن الخبرَ عن أهلِ الجحودِ والتكذيبِ ، فاجْتُزِئَ بمعرفةِ السامعين بما دَلَّ

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣١٤ إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم .

(٢) تقدم تخريجه فى ١٣/١٧٩ .

(٣) تفسير مجاهد ص ٤٦٩ .

(٤) فى ت٢ : « حجة » .

(٥) فى ت٢ : « ظاهرة » .

عليه قولُه: ﴿ بَلْ ﴾ من ذكرِ الخبرِ عنهم على ما قد بيَّنا.

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى: ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾.

يقولُ تعالى ذِكرُه: ما آمَن قبلَ هؤلاءِ المُكَذِّبين محمدًا من مُشرِكى قومِه الذين قالوا: فلْيَأْتِنا محمدٌ بآيةٍ كما جاءت به الرسلُ قبلَه - من أهلِ قريةٍ عذَّبْناهم بالهلاكِ فى الدُّنيا، إذ جاءهم رسولُنا إليهم بآيةٍ مُعْجِزةٍ، ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾. يقولُ: أفهؤلاء المكذِّبون محمدًا، السائلوه الآيةَ، يؤمنون به إن جاءَتْهم آيةٌ، ولم تُؤمنْ قَبْلَهم أسلافُهم من الأممِ الخاليةِ التى أهْلَكْناها، برُسُلِها مع مَجيئِها!

وبنحوِ الذى قُلنا فى تأويلِ ذلك قال أهلُ التأويلِ.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو، قال: ثنا أبو عاصمٍ، قال: ثنا عيسى، **وحدَّثنى** الحارثُ، قال: ثنا الحسنُ، قال: ثنا ورقاءُ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ، عن مجاهدٍ: ﴿أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾: يُصَدِّقون بذلك[1].

حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنى حجاجٌ، عن ابنِ جريجٍ، عن مجاهدٍ مثلَه.

حدَّثنا بشرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ قولَه: ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ ۖ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾: أى أنَّ[2] الرسلَ كانوا إذا جاءوا قومَهم

---

(١) تفسير مجاهد ص ٤٦٩، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣١٤ إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم.

(٢) سقط من: ص، م، ت١، ت٣، ف.

بالبيناتِ فلم يؤمِنوا ، لم يُنظَروا[١] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ[٢] إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه ﷺ : وما أرسلْنا يا محمدُ قَبْلَك رسولًا إلى أمَّةٍ من الأممِ التى خَلَت قبلَ أمَّتِك إلَّا / رجالًا مثلَهم نُوحِى إليهم ما نريدُ أن نُوحيَه إليهم مِن أمْرِنا ونَهْيِنا ، لا ملائكةً ، فماذا أنكَروا من إرْسَالِناكَ إليهم ، وأنتَ رجلٌ كسائرِ الرُّسلِ الذين قبلَك إلى أممِهم ؟! ٥/١٧

وقولُه : ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ . يقولُ للقائلين لمحمدٍ فى تناجِيهم بينَهم : هل هذا إلا بشرٌ مِثْلُكم . فإن أنكَرْتم وجَهِلْتُم أمرَ الرُّسلِ الذين كانوا من قبلِ محمدٍ ، فلم تعلَموا أيُّها القومُ أمرَهم إنسًا كانوا أم ملائكةً ، ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ ﴾ . أى : أهلَ الكُتُبِ من التوراةِ والإنجيلِ ما كانوا يُخبِرُوكم عنهم .

كما **حدَّثنا** بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ . يقولُ : فاسألوا أهلَ التوراةِ والإنجيلِ - **قال أبو جعفرٍ** : أُرَاه أنا قال : يُخبِرُوكم - أن الرسلَ كانوا رجالًا يأكُلُون الطعامَ ، ويمشُون فى الأسواقِ[٣] .

وقيل : أهلُ الذِّكْرِ أهلُ القرآنِ .

---

(١) فى ص ، م ، ت١ ، ف : « يناظروا » .
والأثر تقدم أوله فى ص ٢٢٦ .

(٢) فى ت١ ، ت٢ ، ف : « يوحى » . وهى قراءة نافع وابن كثير وأبى بكر وابن عامر وأبى عمرو وحمزة والكسائى ، والمثبت هو قراءة حفص . السبعة لابن مجاهد ص ٤٢٨ .

(٣) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٣٢ عن معمر ، عن قتادة بنحوه .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني أحمدُ بنُ محمدٍ الطوسيُّ، قال: ثنى عبدُ الرحمنِ بنُ صالحٍ، قال: ثنى موسى بنُ عثمانَ، عن جابرٍ الجُعْفيِّ، قال: لما نزَلت: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾. قال[(١) عليٌّ: نحنُ(١) أهلُ الذِّكرِ(٢).

حدَّثني يونسُ، قال: أخبرَنا ابنُ وهبٍ، قال: قال ابنُ زيدٍ في قولِه: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾. قال: أهلَ القرآنِ. والذِّكرُ القرآنُ. وقرَأ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[(٣) [الحجر: ٩].

القولُ في تأويلِ قولِه تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾﴾.

يقولُ تعالى ذِكْرُه: وما جعَلنا الرُّسلَ الذين أرسَلْناهم من قَبْلِك يا محمدُ إلى الأممِ الماضيةِ قبلَ أمَّتِكَ، ﴿جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾. [(٤) يقولُ: لم نجعَلْهم ملائكةً لا يأكُلون الطعامَ(٤)، ولكِنْ جعَلْناهم أجسادًا مِثْلَك يأكُلون الطعامَ.

كما حدَّثنا بشرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ قولَه: ﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ﴾. [(٥) يقولُ: ما جعَلناهم جسَدًا إلَّا ليأْكُلوا الطعامَ(٥).

حُدِّثتُ عن الحسينِ، قال: سمِعتُ أبا معاذٍ يقولُ: أخبَرنا عبيدٌ، قال: سمِعتُ

(١ - ١) في ص، ت١، ف: «يقول الحسن على».

(٢) ذكره القرطبي في تفسيره ١١/٢٧٢، وأبو حيان في البحر المحيط ٦/٢٩٨.

(٣) ذكره البغوي في تفسيره ٥/٣١١، والقرطبي في تفسيره ١١/٢٧٢.

(٤ - ٤) سقط من: ت١، ف.

(٥ - ٥) سقط من: ت٢.

الضحاكَ يقولُ فى قولِه : ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾ . يقولُ : لم أجْعَلْهم جسَدًا ليس فيها[(١)] أرواحٌ لا يأْكُلون الطعامَ ، ولكنَّا[(٢)] جعَلْناهم جسَدًا فيها أرواحٌ يأْكُلون الطعامَ .

قال أبو جعفرٍ : وقال : ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا ﴾ ، فوحَّد « الجسدَ » وجعَله [(٣)]وهو مُوَحَّدًا[(٣)] من صفةِ الجَماعةِ ، وإنَّما جاز ذلك لأن الجسدَ بمعنى المصدرِ ، كما يقالُ فى الكلامِ : ما[(٤)] جَعَلْناهم خَلْقًا لا يأْكُلون .

٦/١٧ / وقولُه : ﴿ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴾ . يقولُ : ولا كانوا أربابًا لا يموتون ولا يَفْنَون ، ولكِنَّهم كانوا بشَرًا أجسادًا فماتوا ، وذلك أنَّهم قالوا لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، كما قد أخبرَ اللَّهُ عنهم : ﴿ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾ إلى قولِه : ﴿ أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴾ [الإسراء : ٩٠- ٩٢] . قال اللَّهُ تبارَك وتعالى لهم : ما فعَلْنا ذلك بأحدٍ قَبلَكم فنفعلَ بكم ، وإنَّما كُنَّا نرسلُ إليهم رجالًا نُوحِى إليهم كما أرْسَلْنا إليكم رسولًا نوحِى إليه أمْرَنا ونَهْيَنا .

وبنحوِ الذى قُلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴾ . أى : لا بُدَّ لهم مِنَ الموتِ أن يموتوا[(٥)] .

---

(١) فى ص ، م ، ت١ ، ف : « فيهم » .

(٢) فى م : « لكن » .

(٣ - ٣) فى م : « موحدا وهو » .

(٤) فى م : « وما » .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣١٤ إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذِكْرُه : ثم صَدَقْنا رُسُلَنا الذين كَذَّبَتْهم أمَمُهم ، وسألَتْهم الآياتِ ، فآتَيْناهم ما سألوه مِن ذلك ، ثم أقاموا على تكْذِيبِهم إيَّاها ، وأصَرُّوا على جحودِهم نبوَّتَها بعدَ الذى أتَتْهم به من آياتِ ربِّها - وعْدَنا الذى وعَدْناهم من الهلاكِ[1] على إقامتِهم على الكفرِ بربِّهم بعدَ مجيءِ [2]الآياتِ التى سألوها[2] ، وذلك كقولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة : ١١٥] . وكقولِه : ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴾ [هود : ٦٤] . ونحوِ ذلك من المواعيدِ التى وعَد الأممَ مع مجيءِ الآياتِ .

وقولُه : ﴿ فَأَنجَيْنَٰهُمْ ﴾ . يقولُ تعالى ذِكرُه : فأنجَيْنا الرسلَ عندَ إصرارِ أمَمِها على تَكْذيبِها بعدَ الآيات ، ﴿ وَمَن نَّشَآءُ ﴾ : وهم أتباعُها الذين صدَّقوها وآمنوا بها .

وقولُه : ﴿ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ . يقولُ تعالى ذِكرُه : وأهْلَكْنا الذين أسرَفوا على أنفسِهم بكفرِهم بربِّهم .

كما **حدَّثنا** بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ : والمُسرِفون هم المُشرِكون[3] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

اختلَف أهلُ التأويلِ فى معنَى ذلك ؛ فقال بعضُهم : معناه : ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ

(١) فى ت٢ : « العذاب » .

(٢ - ٢) فى ص ، م ، ت١ ، ت٣ ، ف : « الآية التى سألوا » .

(٣) تقدم تخريجه فى الصفحة السابقة .

﴿ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾: فيه حديثُكم.

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو، قال: ثنا أبو عاصمٍ، قال: ثنا عيسى، وحدَّثني الحارثُ، قال: ثنا الحسنُ، قال: ثنا ورقاءُ، جميعًا عن ابنِ أبي نجيحٍ، عن مجاهدٍ قولَه: ﴿ فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾. قال: حديثُكم[1].

٧/١٧ / حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثني حجاجٌ، عن ابنِ جريجٍ، عن مجاهدٍ: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾. قال: حديثُكم، ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾. قال في «قد أفلَح»: ﴿ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون: ٧١].

حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنا سفيانُ: نزَل القرآنُ بمكارمِ الأخلاقِ، ألم تَسْمَعْه يقولُ: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[2]؟

وقال آخرون: بل عنَى بالذِّكرِ في هذا الموضعِ الشرفَ. وقالوا: معنى الكلامِ: لقد أنزَلْنا إليكم كتابًا فيه شَرَفُكم.

قال أبو جعفرٍ: وهذا القولُ الثاني أشْبَهُ بمعنى الكلمةِ، وهو نحوٌ ممَّا قال سفيانُ الذي حكَيْنا عنه، وذلك أنَّه شَرَفٌ لمن اتَّبعَه وعمِل بما فيه.

القولُ في تأويلِ قولِه تعالى: ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا

---

(١) تفسير مجاهد ص ٤٦٩، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/٣١٤ إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٦/٢٩٩.

بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : وكثيرًا قصَمْنا مِن قريةٍ ، والقَصْمُ أصلُه الكَسْرُ . يُقالُ منه : قصَمْتُ ظَهْرَ فلانٍ . إذا كَسَرْتَه ، وانْقَصَمتْ سِنُّه . إذا انْكَسرت . وهو ههُنا معنيٌّ به : أهْلَكْنا . وكذلك تأوَّله أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثني** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ قولَه : ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ ﴾ . قال : أهْلَكْنا[1] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن مجاهدٍ قولَه : ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ ﴾ . قال : أهلَكْناها . قال ابنُ جُرَيجٍ : ﴿ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ ﴾ . قال : باليمنِ ، قصَمْنا بالسيفِ : أُهلِكُوا .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ ﴾ . قال : قصَمها : أهلَكَها .

وقولُه : ﴿ مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ﴾ أُجْرِىَ الكلامُ على القريةِ ، والمرادُ به[2] أهلُها ؛ لمعرفةِ السَّامِعين بمعناه ، وكأنَّ ظُلْمَها كُفْرُها باللَّهِ ، وتكذيبُها رسُلَه .

وقولُه : ﴿ وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : وأحْدَثنا بعدما أهْلَكْنا هؤلاءِ الظَّلَمةَ مِن أهلِ هذه القريةِ التى قَصَمْناها بظُلْمِها ، قومًا

(١) تقدم تخريجه فى الصفحة السابقة .

(٢) فى م : « بها » .

آخرين سِواهم.

وقولُه: ﴿فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ﴾. يقولُ: فلمَّا عاينوا عَذابَنا قد حلَّ بهم، ورأَوْه [1]ووجَدوا[1] مسَّه.

يُقالُ منه: قد أحسستُ من فلانٍ ضَعْفًا، وأحَسْتُه منه، ﴿إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ﴾. يقولُ: إذا هم مما / أحَسُّوا بأسَنا النازلَ بهم يهرُبون سِراعًا عَجْلَى، ٨/١٧
يَعْدُون مُنْهَزِمين، يُقالُ منه: ركَض فلانٌ فرسَه. إذا كَدَّه بساقَيه[2].

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى: ﴿لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾﴾.

يقولُ تعالى ذِكرُه: لا تهرُبوا، ﴿وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾. يقولُ: إلى ما أُنْعِمْتُم فيه من عَيْشِكم ومساكِنِكم.

كما **حدَّثنى** محمدُ بنُ سعدٍ، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابنِ عباسٍ قولَه: ﴿لَا تَرْكُضُواْ وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾. يعنى مَن نزَل به العذابُ فى الدُّنيا ممن كان يَعْصِى اللَّهَ مِن الأممِ.

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو، قال: ثنا أبو عاصمٍ، قال: ثنا عيسى، **وحدَّثنى** الحارثُ، قال: ثنا الحسنُ، قال: ثنا ورقاءُ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ، عن مجاهدٍ قولَه: ﴿لَا تَرْكُضُواْ﴾: لا تَفِرُّوا[3].

(١ - ١) فى م: «قد وجدوا».

(٢) فى ص: «لسياقه»، وفى م: «بسياقته»، وفى ت١، ف: «لساقه».

(٣) تقدم تخريجه فى ص ٢٣٢.

حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنى حجاجٌ، عن ابنِ جريجٍ، عن مجاهدٍ مثلَه.

حدَّثنا بشرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ: ﴿وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾. يقولُ: ارْجِعوا إلى دُنياكم التى أُترِفْتُم فيها.

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى، قال: ثنا محمدُ بنُ ثورٍ، عن معمرٍ، عن قتادةَ: ﴿وَٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ﴾. قال: إلى ما أُترِفْتُم فيه من دُنياكم[1].

واختلَف أهلُ التأويلِ فى معنَى قولِه: ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾؛ **فقال بعضُهم:** معناه: لعلَّكم تَفقَهون وتَفْهَمون بالمسألةِ.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو، قال: ثنا أبو عاصمٍ، قال: ثنا عيسى، **وحدَّثنى** الحارثُ، قال: ثنا الحسنُ، قال: ثنا وَرقاءُ، جميعًا عن ابنِ أبى نَجيحٍ، عن مجاهدٍ فى قولِه: ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾. قال: تَفْقَهون[2].

حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنى حجاجٌ، عن ابنِ جُرَيجٍ، عن مجاهدٍ: ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾. قال: تَفْقَهون.

وقال آخرون: بل معناه: لعلَّكم تُسْألون من دُنياكم شيئًا. على وجْهِ السُّخْرِيةِ والاستهزاءِ.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢٢ عن معمر به، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣١٤ إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم.

(٢) تفسير مجاهد ص ٤٦٩، ومن طريقه الفريابى - كما فى تغليق التعليق ٤/٢٥٨، وهو من تمام الأثر المتقدم فى ص ٢٣٢.

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني بشرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ: ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُونَ﴾: استهزاءً بهم.

حدَّثني محمدُ بنُ عبدِ الأعلى، قال: ثنا محمدُ بنُ ثورٍ، عن معمرٍ، عن قتادةَ: ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْئَلُونَ﴾: من دُنياكم شيئًا، استهزاءً بهم[1].

٩/١٧ / **القولُ في تأويلِ قولِه تعالى**: ﴿قَالُوا يَوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾.

يقولُ تعالى ذِكْرُه: قال هؤلاءِ الذين أحَلَّ اللَّهُ بهم بأسَه بظُلْمِهم، لمَّا نزَل بهم بأسُ اللَّهِ: يا ويلَنا إنا كنا ظالمين بكُفْرِنا بربِّنا، ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ﴾. يقولُ: فلم تزَلْ دَعْواهم حينَ أتاهم بأسُ اللَّهِ بظُلْمِهم أنفسَهم: ﴿يَوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾. حتى قتَلَهم اللَّهُ، فحصَدَهم بالسيفِ كما يُحْصَدُ الزرعُ ويُسْتَأصَلُ قَطْعًا بالمناجلِ.

وقولُه: ﴿خَٰمِدِينَ﴾. يقولُ: هالِكين قد انْطَفأت شَرارتُهم، وسكَنت حرَكتُهم، فصاروا هُمُودًا[2] كما تَخْمُدُ النارُ فتُطفَأُ.

وبنحوِ الذى قُلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ.

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ قولَه: ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ

---

(١) تقدم تخريجه فى الصفحة السابقة.

(٢) بعده فى ت١: «خمودًا».

دَعْوَىٰهُمْ﴾ الآية: فلمَّا رأَوا العذابَ وعايَنُوه لم يكُنْ لَهم هِجِّيرَى[١] إلا قولَهم: ﴿يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾. حتى دمَّر اللَّهُ عليهم وأهْلَكَهم.

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى، قال: ثنا محمدُ بنُ ثورٍ، عن معمرٍ، عن قتادةَ: ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ﴾. قال: [٢]فما كان هِجِّيراهم إلا الويلَ[٢] ﴿حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾. يقولُ: حتى هَلَكُوا[٣].

حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنى حجاجٌ، عن ابنِ جريجٍ، قال ابنُ عباسٍ: ﴿حَصِيدًا﴾: الحَصَادُ، ﴿خَٰمِدِينَ﴾: خُمودُ النارِ إذا طُفِئَت[٤].

حدَّثنا سعيدُ بنُ الربيعِ، قال: ثنا سفيانُ، عن ابنِ أبى نجيحٍ، عن مجاهدٍ، قال: إنَّهم كانوا أهلَ حصونٍ، وإن اللَّهَ بعَث عليهم بُخْتَ نَصَّرَ، فبعَث إليهم جيشًا فقتَلَهم بالسيفِ، وقَتَلوا نبيًّا لهم فحُصِدوا بالسَّيفِ، وذلك قولُه: ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ﴾ بالسيفِ[٥].

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾.

يقولُ تعالى ذِكْرُه: وما خلَقْنا السماءَ والأرْضَ وما بينَهما إلَّا حُجَّةً علَيكم أيُّها

---

(١) فى ص: «هجيرًا»، وفى ت١، ف: «هجرًا»، وفى ت٢: «مجير».

(٢ - ٢) سقط من: ص، م، ت١، ف.

(٣) تقدم تخريجه فى ص ٢٣٥.

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣١٥ إلى ابن المنذر.

(٥) سقط من: ت١، ف.

والأثر أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢٢ عن سفيان به، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣١٥ إلى ابن أبى حاتم.

الناسُ ، ولتَعْتَبِروا بذلك كلِّه ، فتَعلَموا أنَّ الذى خلَقه ودبَّره لا يُشْبِهُه شىءٌ ، وأنَّه لا تكونُ الألوهةُ إلَّا له ، ولا تَصْلُحُ العبادةُ لشىءٍ غيرِه ، ولم يَخْلُقْ ذلك عَبَثًا ولَعِبًا .

كما **حدَّثنا** بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾ . يقولُ : ما خَلَقْناهما عَبَثًا ولا باطلًا[1] .

١٠/١٧ / **القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى** : ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : لو أرَدنا أن نتخِذَ زوجةً وولدًا لاتَّخَذنا ذلك من عندِنا ، ولكنَّا لا نفعلُ ذلك ، ولا يصلُحُ لنا فعلُه ولا يَنْبَغى ؛ لأنه لا يَنْبغى أن يكونَ للَّهِ ولدٌ ولا صاحبةٌ .

وبنحوِ الذى قُلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى[2] سليمانُ بنُ عبيدِ اللَّهِ الغَيْلانىُّ[3] ، قال : ثنا أبو قُتَيبةَ ، قال : ثنا سلَّامُ بنُ مِسكينٍ ، قال : ثنا عقبةُ بنُ أبى جَسْرَةَ[4] ، قال : شهِدتُ الحسنَ بمكةَ ، قال : وجاءه طاوسٌ وعطاءٌ ومجاهدٌ ، فسألَوه عن قولِ اللَّهِ تعالى : ﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا ﴾ . قال الحسنُ : اللهوُ المرأةُ[5] .

حدَّثنى سعيدُ بنُ عمرٍو السَّكُونىُّ ، قال : ثنا بقيةُ بنُ الوليدِ ، عن علىِّ بنِ

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣١٥ إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم .

(٢) بعده فى م ، ت١ ، ف : « محمد بن » . وينظر تهذيب الكمال ١٢/٣٥ .

(٣) فى م : « الغيدانى » .

(٤) فى ص ، م ، ت١ ، ف : « حمزة » . وينظر الجرح والتعديل ٦/٣٠٩ .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣١٥ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

هارونَ، عن محمدٍ، عن ليثٍ، عن مجاهدٍ فى قولِه: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾. قال: زوجةً[١].

حدَّثنا بشرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ قولَه: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾. الآية، أى: إن ذلك لا يكونُ ولا يَنْبغى. واللهوُ بلُغةِ أهلِ اليمنِ: المرأةُ.

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى، قال: ثنا محمدُ بنُ ثورٍ، عن معمرٍ، عن قتادةَ: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾. قال: اللهوُ فى بعضِ لغةِ أهلِ اليمنِ: المرأةُ. ﴿لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾[٢].

وقولُه: ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾. **حدَّثنا** ابنُ عبدِ الأعلى، قال: ثنا ابنُ ثورٍ، عن معمرٍ، عن قتادةَ قولَه: ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾. يقولُ: ما كُنا فاعلين[٣].

حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنى حجاجٌ، عن ابنِ جُرَيجٍ، قال: قالوا: مريمُ صاحبتُه، وعيسى ولدُه. فقال تبارَك وتعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا﴾ [٤]نساءً وولدًا[٤]، ﴿لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ [٥]مِن عندِنا، لاتَّخذْنا نساءً ووَلدًا مِن أهلِ السماءِ، وما اتَّخذْنا نساءً ووَلدًا مِن أهلِ الأرضِ، ﴿إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ ما كنا نفعلُ.

قال ابنُ جُريجٍ: قال مجاهدٌ: لو أردْنا أن نتخِذَ لهوًا ووَلدًا، ﴿لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾[٥].

---

(١) ينظر تفسير القرطبى ١١/٢٧٦.

(٢) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢٢ عن معمر به، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣١٥ إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم.

(٣) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢٢ عن معمر به.

(٤ - ٤) سقط من: ت١، ف.

(٥ - ٥) فى ص، م، ت١، ف: «إن كنا فاعلين».

قال: مِن عِندِنا، ولا خلَقْنا جَنةً ولا نارًا، ولا موتًا ولا بَعْثًا ولا حِسابًا.

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو، قال: ثنا أبو عاصمٍ، قال: ثنا عيسى، **وحدَّثني** الحارثُ، قال: ثنا الحسنُ، قال: ثنا وَرقاءُ، جميعًا عن ابنِ أبي نجيحٍ، عن مجاهدٍ في قولِه: ﴿لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾: مِن عندِنا، وما خَلَقْنا جَنَّةً ولا نارًا، ولا موتًا ولا بَعْثًا (١ ولا حسابًا ١).

القولُ في تأويلِ قولِه تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾.

يقولُ تعالى ذِكرُه: ولكِنْ نُنَزِّلُ الحقَّ من عندِنا، وهو كتابُ اللَّهِ وتَنْزِيلُه، على الكفرِ بهِ وأهلِه، ﴿فَيَدْمَغُهُۥ﴾. يقولُ: فيُهْلِكُه كما يَدْمَغُ الرجلُ الرجلَ؛ بأن يَشُجَّه على رأسِه شَجَّةً تبلُغُ الدِّماغَ، وإذا بلَغتِ الشَّجَّةُ ذلك من المَشْجُوجِ لم يكنْ له بعدَها حياةٌ.

/وقولُه: ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾. يقولُ: فإذا هو هالِكٌ مُضْمَحِلٌّ. ١١/١٧

كما **حدَّثنا** محمدُ بنُ عبدِ الأعلى، قال: ثنا ابنُ ثَورٍ، عن مَعمرٍ، عن قَتادةَ: ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾. قال: هالكٌ (٢).

حدَّثنا بِشرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ: ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾. قال: ذاهبٌ.

(١ - ١) سقط من: ص، م، ت١، ف.

والأثر في تفسير مجاهد ص ٤٧٠، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/٣١٥ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/٢٣ عن معمر به.

وبنحوِ الذى قُلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بِشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ : (١ والحقُّ : كتابُ اللَّهِ القرآنُ ، والباطلُ إبليسُ ، ﴿ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ ١) . أى : ذاهبٌ (٢) .

وقولُه : ﴿ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ . يقولُ : ولكم الويلُ مِن وَصْفِكم ربَّكم بغيرِ صفَتِه ، وقِيلِكم : إنَّه اتَّخَذ زوجةً وولدًا . وفِريتِكم عليه .

وبنحوِ الذى قُلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ ، إلا أنَّ بعضَهم قال : معنَى ﴿تَصِفُونَ﴾ : تَكْذِبون . **وقال آخرون** : معنَى ذلك : تُشرِكون .

وذلك وإن اختَلفت به الألفاظُ فمتَّفِقَةٌ معانيه ؛ لأنَّ من وصَف اللَّهَ بأنَّ له صاحبةً فقد كذَب فى وصْفِه إيَّاه بذلك ، وأشْرَك بِهِ ، ووصَفه بغيرِ صفَتِه ، غيرَ أن أوْلى العباراتِ أن يُعَبَّرَ بها عن معانى القرآنِ أقربُها إلى فَهْمِ سامِعيهِ .

ذكرُ مَن قال ما قلنا فى ذلك

حدَّثنا بِشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ . أى : تَكذِبون (٣) .

(١ - ١) سقط من : ص ، ت١ ، ف .

(٢) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ١/٣٨٩ ، ٢/٢٣ عن معمر ، عن قتادة بنحوه دون أوله ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣١٥ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم وفيه : هالك . بدلا من : ذاهب .

(٣) تقدم تخريجه فى ٩/٤٥٥ ، ١٢/٤٢ ، ٢٧٧ .

حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنى حجاجٌ، عن ابنِ جُريج: ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾. قال: تُشْرِكون. وقولُه: ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠، الأنبياء: ٢٢، المؤمنون: ٩١، الصافات: ١٥٩، ١٨٠، الزخرف: ٨٢]. قال: يُشْرِكون. قال: وقال مجاهدٌ: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٩]. قال: قولَهم الكَذِبَ فى ذلك[1].

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾.

يقولُ تعالى ذِكرُه: وكيفَ يجوزُ أن يتَّخِذَ اللَّهُ[2] لهوًا وله مُلْكُ جميعِ مَن فى السماواتِ والأرضِ، والذين عِندَه مِن خَلْقِه لا يَستَنْكِفُون عن عبادتِهم إيَّاه، ولا يَعْيَون من طولِ خِدْمتِهم له، وقد عَلِمتُم أنَّه لا يستَعْبِدُ والدٌ ولدَه ولا صاحبتَه، وكلُّ مَن فى السماواتِ والأرضِ عبيدُه، فأنَّى يكونُ له صاحبةٌ وولدٌ؟ يقولُ: أفلا تَتفكَّرون فيما تَفْتَرون مِن الكذبِ على ربِّكم.

١٢/١٧ /وبنحوِ الذى قُلنا فى تأويلِ قولِه: ﴿يَسْتَحْسِرُونَ﴾ قال أهلُ التأويلِ.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا علىٌّ، قال: ثنا عبدُ اللَّهِ، قال: ثنى معاويةُ، عن علىٍّ، عن ابنِ عباسٍ قولَه: ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾. يقولُ: لا يَرجِعُون[3].

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو، قال: ثنا أبو عاصمٍ، قال: ثنا عيسى، **وحدَّثنى** الحارثُ، قال: ثنا الحسنُ، قال: ثنا ورقاءُ، جميعًا عن ابنِ أبى نَجيحٍ، عن مجاهدٍ

---

(١) ذكره القرطبى فى تفسيره ١١/٢٧٧ بنحوه.

(٢) بعده فى ت٢: «ولدًا و».

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣١٥ إلى ابن أبى حاتم.

قولَه: ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾: لا يحسُرون[١].

حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنى حجاجٌ، عن ابنِ جريجٍ، عن مجاهدٍ مثلَه.

حدَّثنا بشرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قَتادةَ قولَه: ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾. يقولُ: لا يَفْتُرون[٢].

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى، قال: أخبرَنا عبدُ الرزاقِ، قال: أخبرَنا معمرٌ، عن قَتادةَ قولَه: ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾. قال: لا يُعْيون[٣].

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى، قال: ثنا محمدُ بنُ ثورٍ، عن معمرٍ، عن قتادةَ مثلَه.

حدَّثنى يونسُ، قال: أخبرَنا ابنُ وهبٍ، قال: قال ابنُ زيدٍ فى قولِه: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾. قال: ﴿لَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾: لا يملُّون. وذلك الاسْتِحْسارُ. قال: و﴿لَا يَفْتُرُونَ﴾، و﴿لَا يَسْتَمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨]. هذا كلُّه واحدٌ معناه، والكلامُ فيه مُخْتَلِفٌ، وهو من قولِهم: بعيرٌ حَسِيرٌ، إذا أعْيَا وقام[٤]، ومنه قولُ علقمةَ بنِ عبدةَ[٥]:

بها جِيَفُ الحَسْرَى فأمَّا عِظامُها فَبِيضٌ وأمَّا جِلْدُها فصَلِيبُ[٦]

---

(١) تفسير مجاهد ص ٤٧٠، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣١٥ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم.

(٢) فى ص، م، ت١، ت٣، ف: «يُعْيُون».

(٣) تفسير عبد الرزاق ٢/٢٣.

(٤) قام: وقف عن السير. اللسان (ق و م).

(٥) ديوانه ص ١٤.

(٦) ذكره الطوسى فى التبيان ٧/٢١٠.

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذِكرُه : يُسَبِّحُ هؤلاء الذين عندَه من ملائكتِه ربَّهم الليلَ والنَّهارَ لا يفْتُرون من تَسْبيحِهم إيَّاه .

كما **حدَّثني** يعقوبُ ، قال : ثنا ابنُ عُلَيةَ ، قال : أخبرَنا حميدٌ ، عن إسحاقَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ ، عن أبيه ، أن ابنَ عباسٍ سأل كعبًا عن قولِه : ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ و ﴿ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴾ [فصلت : ٣٨] . فقال : هل يَئودُك طَرْفُك ؟ هل يَئودُك [٢/٣٧٣ظ] نَفَسُك ؟ قال : لا . قال : فإنَّهم أُلهِموا التسبيحَ كما أُلْهِمتُم الطَّرْفَ والنَّفَسَ[(١)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى أبو معاويةَ ، عن أبى إسحاقَ الشَّيبانىِّ ، عن حسانَ / بنِ مُخارقٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ ، قال : قلتُ لكَعْبِ ١٣/١٧
الأحبارِ : ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾ . أما يشْغَلُهم رسالةٌ أو عملٌ ؟ قال : يابنَ أخى ، إنَّه[(٢)] جُعِل لهم التسبيحُ كما جُعِل لكم النَّفَسُ ، ألستَ تأكلُ وتشْرَبُ ، وتقومُ وتَقْعُدُ ، وتجيءُ وتذهَبُ ، وأنت تَتنفسُ ؟ قلتُ : بلى . قال : فكذلك جُعِل لهم التسبيحُ[(٣)] .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ وأبو داودَ ، قالا : ثنا عِمْرانُ القطَّانُ ، عن قتادةَ ، عن سالمِ بنِ أبى الجَعْدِ ، عن مَعْدانَ بنِ أبى طلحةَ ، عن عمرٍو البِكَالىِّ ،

---

(١) أخرجه البيهقى فى الشعب (١٦٠) من طريق حميد به من غير ذكر ابن عباس .

(٢) فى م : « إنهم » .

(٣) أخرجه أبو الشيخ فى العظمة (٣٢٢) ، والبيهقى فى الشعب (١٦١) من طريق أبى معاوية به ، وذكره ابن كثير فى تفسيره ٥/٣٣٠ عن أبى إسحاق به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣١٥ إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم.

عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو[١]، قال: إن اللَّهَ [٢]جزَّأ الخَلقَ[٢] عَشَرةَ أجزاءٍ، فجعَل تسعةَ أجزاءِ الملائكةَ، وجزءًا سائرَ الخَلْقِ، وجزَّأ الملائكةَ عَشرةَ أجزاءٍ، فجعَل تسعةَ أجزاءٍ يُسَبِّحون الليلَ والنهارَ لا يفتُرون، وجزءًا لرسالتِه، وجزَّأ الخلقَ عَشَرةَ أجزاءٍ، فجعَل تسعةَ أجزاءِ الجنَّ، وجُزْءًا سائرَ بنى آدمَ، وجَزَّأ بنى آدمَ عَشَرةَ أجزاءٍ، فجعَل يأجوجَ ومأجوجَ تسعةَ أجزاءٍ، وجُزْءًا سائرَ بنى آدمَ[٣].

حدَّثنا بِشرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ قولَه: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾. يقولُ: إنَّ الملائكةَ الذين هم عندَ الرحمنِ لا يَسْتَكْبِرُون عن عبادَتِه ولا يَسأمُون فيها. وذُكِر لنا أن نبيَّ اللَّهِ ﷺ بينَما هو جالسٌ مع أصحابِه إذ قال: «تَسْمَعون ما أسْمَعُ؟» قالوا: ما نَسمَعُ من شيءٍ يا نبيَّ اللَّهِ. قال: «إنى لأسمَعُ أطِيطَ السماءِ، وما تُلامُ أن تَئِطَّ وليس فيها مَوْضِعُ راحةٍ إلَّا وفيه مَلَكٌ ساجِدٌ أو قائمٌ»[٤].

وقولُه: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ﴾. يقولُ تعالى ذِكرُه: أتَّخَذ هؤلاءِ المشرِكُون آلهةً مِن الأرضِ هم يُنْشِرون؟ يعنى بقولِه: ﴿هُمْ﴾. الآلهةَ. يقولُ: أهذه الآلهةُ التى اتَّخَذوها تُنشِرُ الأمواتَ. يقولُ: يُحيُون الأمواتَ، ويُنْشِئون[٥] الخَلْقَ، فإن اللَّهَ هو الذى يُحيى ويُميتُ.

كما **حدَّثنى** محمدُ بنُ عمرٍو، قال: ثنا أبو عاصمٍ، قال: ثنا عيسى، **وحدَّثنى**

---

(١) فى م، ت٢: «عمر». وينظر ما تقدم فى ١٥/٢٩٧.

(٢ - ٢) فى م: «خلق».

(٣) ينظر ما سيأتى ص ٤٠١، ٤٠٢.

(٤) أخرجه الطبرانى (٣١٢٢)، وأبو نعيم ٢/٢١٧، والبزار (٣٢٠٨) والطحاوى فى مشكل الآثار (١١٣٤) من طريق سعيد به، وذكره ابن كثير فى تفسيره ٥/٣٢٩ من طريق سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن صفوان بن محرز عن حكيم بن حزام مرفوعًا.

(٥) فى م، ف: «ينشرون».

الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا وَرقاءُ جميعًا ، عن ابنِ أبى نجيح ، عن مجاهدٍ قولَه : ﴿ يُنشِرُونَ ﴾ . قال : يُحيُون[1] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴾ . يقولُ : أفى آلهتِهم أحدٌ يُحيى ذلك ؛ يُنْشِرُون . وقرأ قولَ اللَّهِ : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ إلى قولِه : ﴿ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [يونس : ٣١- ٣٥] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذِكرُه : لو كان فى السماواتِ والأرضِ آلهةٌ تصلُحُ لهم العبادةُ سوى اللَّهِ الذى هو خالقُ الأشياءِ ، وله العبادةُ والأُلوهةُ التى لا تصلُحُ إلَّا له - ﴿ لَفَسَدَتَا ﴾ . يقولُ : لفسَد أهلُ السماواتِ والأرضِ ، ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ . يقولُ جلَّ ثناؤُه : فتَنزيهٌ للَّهِ وتَبْرِئةٌ له مما يَفْتَرى به عليه هؤلاءِ المشرِكُون به مِن الكذبِ .

١٤/١٧ /كما **حدَّثنا** بِشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ قولَه : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ : يُسَبِّحُ نفسَه إذ قيل عليه البُهتانُ[2] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣١٥ ، ٣١٦ إلى ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن أبى حاتم وابن المنذر .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣١٦ إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم .

يقولُ تعالى ذِكْرُه: لا سائلَ يسألُ ربَّ العرشِ عن الذى يَفعَلُ بخلْقِه من تَصْريفِهم فيما شاء[(١)] من حياةٍ وموتٍ وإعْزازٍ وإذْلالٍ وغيرِ ذلك من حُكْمِه فيهم؛ لأنَّهم خَلْقُه وعبيدُه، وجميعُهم فى مُلكِه وسلطانِه، والحكمُ حُكْمُه، والقضاءُ قضاؤُه، لا شىءَ فوقَه يسألُه عمَّا يَفعَلُ، فيقولُ له: لِمَ فعَلْتَ؟ ولِمَ لم تَفعَلْ؟ ﴿وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾. يقولُ جلَّ ثناؤُه: [٢/٣٧٤و] وجميعُ مَن فى السماواتِ والأرضِ من عبادِه مَسْئولُون عن أفْعالِهم، ومحاسَبون على أعمالِهم، وهو الذى يسألُهم عن ذلك، ويُحاسبُهم عليه؛ لأنّه فوقَهم ومالِكُهم، وهم فى سُلطانِه.

وبنحوِ الذى قُلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ.

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بِشرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ قولَه: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾. يقولُ: لا يُسألُ عمَّا يفعلُ بعبادِه، وهم يُسألون عن أعمالِهم[(٢)].

حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنى حجاجٌ، عن ابنِ جريجٍ، قال قولَه: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾. قال: لا يُسألُ الخالقُ عن قَضائِه فى خَلْقِه، وهو يَسْأَلُ الخلقَ عن عمَلِهم[(٣)].

حُدِّثتُ عن الحسينِ، قال: سمِعتُ أبا معاذٍ يقولُ: أخبرَنا عُبيدٌ، قال: سمِعتُ الضحاكَ يقولُ فى قولِه: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾. قال: لا يُسأَلُ

---

(١) فى ص، ت١، ف: «بينا».

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣١٦ إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم.

(٣) ذكره القرطبى فى تفسيره ١١/٢٧٩.

الخالقُ عما يَقْضِى فى خلقِه ، والخلقُ مسئولُون عن أعمالِهم[١] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذِكْرُه : أتَّخَذ هؤلاء المشرِكُون من دونِ اللَّهِ آلِهةً تنفَعُ وتضُرُّ ، وتَخلقُ وتُحيى وتُميتُ ؟ ﴿ قُلْ ﴾ يا محمدُ لهم : ﴿ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ﴾ . يعنى : حُجَّتَكم . يقولُ : هاتوا ، إن كُنتم تزعُمون أنَّكم مُحِقُّون فى قِيلِكم ذلك ، حُجَّةً ودليلًا على صِدْقِكم .

كما حدَّثنا بِشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ﴾ . يقولُ : هاتوا بيِّنتَكم على ما تَقُولون[٢] .

وقولُه : ﴿ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ ﴾ . يقولُ : هذا الذى جِئتُكم بِه مِن عندِ اللَّهِ من القرآنِ والتَّنزِيلِ ﴿ ذِكْرُ / مَن مَّعِىَ ﴾ . يقولُ : خَبرُ مَن معى بما[٣] لهم مِن ثوابِ اللَّهِ على ١٥/١٧
إيمانِهم به ، وطاعتِهم إيَّاه ، وما عليهم مِن عقابِ اللَّهِ على معصيتِهم إيَّاه وكفرِهم به ، ﴿ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ﴾ . يقولُ : وخَبرُ مَن قَبلى من الأممِ التى سلَفت قَبلى ، وما فعَل اللَّهُ بهم فى الدُّنيا وما هو فاعلٌ بهم فى الآخرةِ .

وبنحوِ الذى قُلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ هَٰذَا ذِكْرُ مَن

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣١٦ إلى ابن أبى حاتم .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣١٦ إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم .

(٣) فى ت١ ، م : « بما » .

﴿مَّعِيَ﴾ . يقولُ : هذا القرآنُ فيه ذكرُ الحلالِ والحرامِ ، ﴿وَذِكْرُ مَن قَبْلِي﴾ . يقولُ : ذكرُ أعمالِ الأممِ السَّالِفةِ وما صنَع اللَّهُ بهم ، وإلى ما صارُوا[1] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ : ﴿هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ﴾ . قال : حديثُ مَن معى ، وحديثُ مَن قَبْلى .

وقولُه : ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾ . يقولُ : بل أكثرُ هؤلاء المُشرِكين لا يَعلَمُون الصوابَ فيما يقولون ، ولا فيما يأْتون ويَذَرون ، ﴿فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ عن الحقِّ جَهْلًا منهم به ، وقِلَّةَ فَهْمٍ .

وكان قتادةُ يقولُ فى ذلك ما **حدَّثنا** بِشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ : ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ : عن كتابِ اللَّهِ[1] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي[2] إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ .

يقولُ تعالى ذِكرُه : وما أرسلنا يا محمدُ مِن قبلِك من رسولٍ إلى أمةٍ من الأممِ إلَّا نُوحى إليه أنَّه لا معبودَ فى السماواتِ والأرضِ تَصْلُحُ له العبادةُ سِواى ﴿فَاعْبُدُونِ﴾ . يقولُ : فأخْلِصوا لى العبادةَ ، وأفْرِدوا لى الأُلوهةَ .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

---

(١) تقدم تخريجه فى الصفحة السابقة .

(٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، ف ، هنا وفيما يأتى : « يوحى » . وهى قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو وأبى بكر عن عاصم . وقرأ بالنون حمزة والكسائى وحفص عن عاصم ، ونسب أبو حيان فى البحر المحيط ٦/٣٠٧ هذه القراءة إلى المصنف .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بِشرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ قولَه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾: به[1] أرسلتُ الرسلَ؛ بالإخلاصِ والتوحيدِ، لا يُقبلُ منهم - قال أبو جعفرٍ: أظُنُّه أنا قال - عَمَلٌ حتى يقولوه ويُقِرُّوا به، والشرائعُ مختلِفةٌ؛ في التوراةِ شريعةٌ، وفي الإنجيلِ شريعةٌ، وفي القرآنِ شريعةٌ، حلالٌ وحرامٌ، وهذا كلُّه في إخلاصٍ للَّهِ وتوحيدٍ له[2].

القولُ في تأويلِ قولِه تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

١٦/١٧ /يقولُ تعالى ذِكرُه: وقال هؤلا الكافرون بربِّهم: اتَّخَذَ الرحمنُ ولدًا من ملائكتِه. فقال جلَّ ثناؤُه، استعظامًا لما[3] قالوا، وتبرِّيًا مما وصَفوه به سبحانَه، يقولُ: تَنْزِيهًا له عن ذلك، ما ذلك مِن صِفَتِه ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾. يقولُ: ما الملائكةُ كما وصَفهم به هؤلاء الكافرون من بنى آدمَ، ولكنَّهم ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾. يقولُ: أكْرَمهم اللَّهُ.

كما **حدَّثنا** بِشرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ قولَه: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾. قال: قالتِ اليهودُ: إن اللَّهَ تبارَك وتعالى صاهَر الجنَّ، فكانت مِنهم الملائكةُ، قال اللَّهُ تبارَك وتعالى تكذيبًا لهم وردًّا عليهم: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ وإن الملائكةَ ليس[4] كما قالوا، إنَّما هم عبادٌ

---

(١) في م: «قال».

(٢) تقدم تخريجه في ص ٢٤٨.

(٣) في ص، م، ت١، ف: «مما».

(٤) في ت١: «ليسوا».

أكرَمهم اللَّهُ بعبادتِه[(١)].

[٣٧٤/٢ظ] **حدَّثنا** محمدُ بنُ عبدِ الأعلى، قال: ثنا محمدُ بنُ ثورٍ، عن معمرٍ، عن قتادةَ، **وحدَّثنا** الحسنُ، قال: أخبَرنا عبدُ الرزاقِ، قال: أخبَرنا معمرٌ، عن قَتادةَ: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾: قالتِ اليهودُ وطوائفُ من الناسِ: إن اللَّهَ تبارَك وتعالى خاتَن إلى الجِنِّ؛ فالملائكةُ من الجنِّ. قال اللَّهُ تبارَك وتعالى: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾. [(٢)]حتى بلَغ: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾[(٢)].

[(٣)]**قال أبو جعفرٍ**: ورفَع قولَه: ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾[(٣)].

وقولُه: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾. يقولُ جلَّ ثناؤُه: لا يتكَلَّمون إلا بما يأمرُهم به ربُّهم، ولا يعْمَلون عملًا إلا به.

حدَّثنا بشرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ، قال: قال اللَّهُ: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ﴾: يُثْنى عليهم، ﴿وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾[(١)].

القولُ في تأويلِ قولِه تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣١٧/٤ إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢ - ٢) سقط من: م، ت٢، ف.

والأثر في تفسير عبد الرزاق ٢٣/٢.

(٣ - ٣) سقط من: م، ت٢، ف. والكلام فيه سقط.

قال الفراء في معاني القرآن ٢٠١/٢: وقوله: ﴿سبحانه بل عباد مكرمون﴾. معناه: بل هم عباد مكرمون. ولو كانت: بل عبادًا مكرمين. مردودة على الولد، أي: لم نتخذهم ولدًا، ولكن اتخذناهم عبادًا مكرمين - كان صوابًا.

يقولُ تعالى ذكرُه : يعلمُ ما بينَ أيدى ملائكتِه ما لم يَبْلُغوه ، ما هو ، وما هم فيه قائلُون وعاملُون ، ﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ . يقولُ : وما مضَى من قبلِ اليومِ مما خَلَّفوه وراءَهم من الأزمانِ والدُّهورِ ما عمِلوا فيه . قالوا : ذلك كلُّه مُحْصًى لهم وعليهم ، لا يَخْفَى عليه من ذلك شيءٌ .

وبنحوِ الذى قُلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ . يقولُ : يعلمُ ما قدَّموا وما أضَاعوا من أعْمالِهم[1] .

﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ . يقولُ : ولا تَشْفَعُ الملائكةُ إلَّا لمَن رضِى اللَّهُ عنه .

وبنحوِ الذى قُلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى علىٌّ ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن علىٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ ﴾ . يقولُ : الذين ارْتَضَى لهم شهادةَ أَلَّا إلهَ إلَّا اللَّهُ[2] .

١٧/١٧ /**حدَّثنى** محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى**

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٤٨٩ ، ٤٩٠ (٢٥٩٠ ، ٢٥٩٥) عن محمد بن سعد به .

(٢) أخرجه البيهقى فى البعث والنشور (٢) من طريق أبى صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣١٧ إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم .

الحارثُ، قال: ثنا الحسنُ، قال: ثنا ورقاءُ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ، عن مجاهدٍ قولَه: ﴿إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾. قال: لمَن رضِى عنه[1].

حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنى حجاجٌ، عن ابنِ جريجٍ، عن مجاهدٍ مثلَه.

حدَّثنا بشرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ قولَه: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾: يومَ القيامةِ. ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾.

حدَّثنا الحسنُ، قال: أخبرَنا عبدُ الرزاقِ، قال: أخبرَنا معمرٌ، عن قتادةَ يقولُ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ﴾: يومَ القيامةِ[2].

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى، قال: ثنا ابنُ ثورٍ، عن معمرٍ، عن قتادةَ مثلَه.

وقولُه: ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾. يقولُ: وهم من خوفِ اللَّهِ وحذارِ عقابِه أن يحُلَّ بهم ﴿مُشْفِقُونَ﴾. يقولُ: حَذِرُون أن يَعْصوه ويُخالِفوا أمْرَه ونهيَه.

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالَى: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

يقولُ تعالى ذِكرُه: ومَن يقلْ من الملائكةِ: إنِّى إلهٌ من دونِ اللَّهِ؛ ﴿فَذَٰلِكَ﴾ الذى يقولُ ذلك مِنهم ﴿نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾. يقولُ: نُثيبُه على قِيلِه ذلك جَهَنَّمَ، ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. يقولُ: كما نَجْزِى مَن قال مِنَ الملائكةِ: إنِّى إلهٌ مِن دونِ اللَّهِ. جَهَنَّمَ، كذلك نَجْزِى ذلك كلَّ مَن ظلَم نفسَه، فكَفر باللَّهِ وعبَد غيرَه.

وقيل: عُنِى بهذه الآيةِ إبليسُ. وقال قائلو ذلك: إنَّما قُلنا ذلك لأنَّه لا أحدَ مِن

---

(١) تفسير مجاهد ص ٤٧٠، ومن طريقه البيهقى فى البعث والنشور (٣)، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣١٧/٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم.

(٢) تفسير عبد الرزاق ٢٣/٢، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣١٧/٤ إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم.

الملائكةِ قال: إنِّى إلهٌ مِن دونِ اللَّهِ. سواه.

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنى حجاجٌ، عن ابنِ جُرَيجٍ: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ﴾. قال: قال ابنُ جُرَيجٍ: مَن يقُلْ مِن الملائكةِ: إنِّى إلهٌ من دونِه. فلم يَقُلْه إلا إبليسُ دعا إلى عبادةِ نفسِه، فنزَلت هذه فى إبليسَ[1].

حدَّثنا بِشرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: وإنَّما كانت هذه الآيةُ خاصةً لعدوِّ اللَّهِ إبليسَ لمَّا قال ما قال، لعَنه اللَّهُ وجعَله رجيمًا، فقال: ﴿فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2].

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى، قال: ثنا ابنُ ثورٍ، عن معمرٍ، عن قتادةَ: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾. قال: هى خاصةٌ لإبليسَ[3].

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

١٨/١٧ / [٢/٣٧٥و] يقولُ تعالى ذِكرُه: أو لم ينظُرْ هؤلاءِ الذين كفَروا باللَّهِ بأبْصارِ قلوبِهم، فيَرَوْا بها، ويعْلَموا ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾. يقولُ: ليس فيهما ثَقْبٌ، بل كانتا مُلْتَصِقَتَين. يقالُ منه: رَتَق فلانٌ الفَتْقَ، إذا شَدَّه، فهو يَرْتُقُه رَتْقًا ورُتُوقًا. ومن ذلك قيل للمرأةِ التى فرجُها مُلْتَحِمٌ: رَتْقاءُ. ووَحَّد «الرَّتقَ»،

---

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/٨٣.

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/٨٣، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣١٧ إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم.

(٣) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/٨٣، وأخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢٣ من طريق معمر به.

وهو مِن صِفةِ السماءِ والأرضِ، وقد جاء بعدَ قولِه: ﴿ كَانَتَا ﴾؛ لأنَّه مصدرٌ مثلُ[١] الزورِ والصومِ والفطرِ.

وقولُه: ﴿ فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾. يقولُ: فصَدَعْناهما وفرَجْناهما.

ثم **اختَلَف أهلُ التأويلِ** فى معنى وصْفِ اللَّهِ السماواتِ والأرضَ بالرَّتْقِ، وكيف كان الرَّتقُ؟ وبأىِّ معنًى فُتِق؛ **فقال بعضُهم**: عُنى بذلك أن السماواتِ والأرضَ كانت مُلتَصِقَتَين، ففصَل اللَّهُ بينَهما بالهواءِ.

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى علىٌّ، قال: ثنا أبو صالحٍ، قال: ثنى معاويةُ، عن علىٍّ، عن ابنِ عباسٍ قولَه: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا ﴾. يقولُ: مُلتَصِقَتَين[٢].

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابنِ عباسٍ قولَه: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾ الآية. يقولُ: كانتا مُلتَصِقَتَين، فرفَع السماءَ ووضَع الأرضَ[٣].

حُدِّثت عن الحسينِ، قال: سمِعتُ أبا معاذٍ يقولُ: أخبرَنا عبيدُ بنُ سليمانَ، قال: سمِعتُ الضحاكَ يقولُ فى قولِه: ﴿ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾. كان ابنُ عباسٍ يقولُ: كانتا مُلْتَزِقتَين، ففَتَقَهما اللَّهُ[٤].

---

(١) بعده فى ص، م، ت١، ت٣، ف: «قول».

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣١٧/٤ إلى المصنف.

(٣) ذكره البغوى فى تفسيره ٣١٦/٥.

(٤) تفسير سفيان ص ٢٠٠ عن الضحاك.

حدَّثنا بشرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ قولَه: ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾. قال: كان الحسنُ وقتادةُ يقولان: كانتا جميعًا، ففصَل اللَّهُ بينَهما بهذا الهواءِ[1].

وقال آخرون: بل معنى ذلك أنَّ السماواتِ كانت مُرتَتِقَةً طبقةً، ففَتَقَها اللَّهُ، فجعَلها سبعَ سماواتٍ، وكذلك الأرضُ كانت كذلك مُرْتَتِقَةً، ففَتَقَها، فجعَلها سبعَ أَرَضِين.

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو، قال: ثنا أبو عاصمٍ، قال: ثنا عيسى، **وحدَّثني** الحارثُ، قال: ثنا الحسنُ، قال: ثنا ورقاءُ، جميعًا عن ابنِ أبي نجيحٍ، عن مجاهدٍ في قولِ اللَّهِ تبارَك وتعالى: ﴿رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾: مِن الأرضِ ستَّ أَرَضِين معها، فتلك سبعُ أَرَضِين معها، ومن السماءِ[2] ستَّ سماواتٍ معها، فتلك سبعُ سماواتٍ معها. قال: ولم تكنِ الأرضُ والسماءُ مُتماسَّتَين[3].

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى، قال: ثنا محمدُ بنُ ثورٍ، عن معمرٍ، عن ابنِ أبي نجيحٍ، عن مجاهدٍ: ﴿رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾. قال: فتَقَهُنَّ سبعَ سماواتٍ، بعضُهنَّ فوقَ بعضٍ، وسبعَ أَرَضِين، بعضُهنَّ تحتَ بعضٍ[4].

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ٥/٣٣٣ عن الحسن وقتادة، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/٣١٧ إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) في ص، ت١، ت٢، ف: «السماوات».

(٣) تفسير مجاهد ص ٤٧٠، ومن طريقه أبو الشيخ في العظمة (٥٤٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/٣١٧ إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/٢٣ عن معمر به.

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ ، عن مجاهدٍ نحوَ حديثِ محمدِ بنِ عمرٍو ، عن أبى عاصمٍ .

/**حدَّثنا** عبدُ الحميدِ بنُ بيانٍ ، قال : أخبَرنا محمدُ بنُ يزيدَ ، عن إسماعيلَ ، ١٩/١٧
قال : سألتُ أبا صالحٍ عن قولِه : ﴿ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ . قال : كانت الأرضُ رَتْقًا والسماءُ[(١)] رَتْقًا ، ففَتَقَ من السماءِ سبعَ سماواتٍ ، ومِن الأرضِ سبعَ أَرَضِين[(٢)] .

حدَّثنا موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ ، قال : كانت سماءً واحدةً ثم فَتَقها ، فجعَلها سبعَ سماواتٍ فى يومين ؛ فى الخميس والجُمُعَةِ ، وإنَّما سُمِّىَ يومَ الجُمُعَةِ لأنَّه جُمِع فيه خلقُ السماواتِ والأرضِ ، فذلك حينَ يقولُ : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ [الأعراف : ٥٤ ، يونس : ٣ ، هود : ٧ ، الحديد : ٤] . يقولُ : ﴿ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾[(٣)] .

وقال آخرون : بل عُنِى بذلك أن السماواتِ كانت رَتْقًا لا تُمْطِرُ ، والأرضَ كذلك رَتْقًا لا تُنْبِتُ ، ففَتَقَ السماءَ بالمطرِ ، والأرضَ بالنباتِ .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا هنادٌ ، قال : ثنا أبو الأحوصِ ، عن سماكٍ ، عن عكرِمةَ : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾ . قال : كانتا رَتْقًا لا يخرُجُ منهما شىءٌ ، ففَتَقَ السماءَ للمطرِ[(٤)] ، وفَتَقَ الأرضَ للنباتِ[(٥)] . قال : وهو قولُه :

---

(١) فى م : « السماوات » .

(٢) أخرجه أبو الشيخ فى العظمة (٥٤٣) من طريق إسماعيل به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣١٧/٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم .

(٣) أخرجه المصنف فى تاريخه ٥٥/١ بإسناد السدى المعروف .

(٤) فى م : « بالمطر » .

(٥) فى م : « بالنبات » .

﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴾ [الطارق : ١١، ١٢] .

حدَّثني الحسينُ بنُ عليٍّ الصُّدائيُّ ، قال : ثنا أبي ، عن الفُضَيلِ بنِ مَرْزوقٍ ، عن عطيةَ في قولِه : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾ . قال : كانت السماءُ رَتْقًا لا تُمطرُ ، والأرضُ رَتْقًا لا تُنْبِتُ ، ففَتَق السماءَ بالمطرِ ، وفَتَق الأرضَ بالنباتِ ، وجعَل من الماءِ كلَّ شيءٍ حيٍّ ، أفلا يؤمنون[1] ؟

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾ . قال : كانت السماءُ[2] رَتْقًا لا يَنزلُ منها مطرٌ ، وكانت الأرضُ رَتْقًا لا يخرجُ منها نباتٌ ، ففتَقَهما اللَّهُ ، فأنزَلَ مطرَ السماءِ ، وشَقَّ الأرضَ فأخْرَج نباتَها . وقرَأ : ﴿ فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾[3] .

وقال آخرون : إنما قيل : ﴿ فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾ ؛ [٢/٣٧٥ظ] لأنَّ الليلَ كان قبلَ النَّهارِ ، ففَتَق النهارَ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا الثوريُّ ، عن أبيه ، عن عكرِمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : خَلَق الليلَ قبلَ النهارِ ، ثم قال : ﴿ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾[4] .

---

(١) ذكره البغوى فى تفسيره ٥/٣١٦ ، وابن كثير فى تفسيره ٥/٣٣٢ .

(٢) فى م ، ف : « السماوات » .

(٣) ذكره القرطبى فى تفسيره ١١/٢٨٤ .

(٤) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/٦١ ، وهو فى تفسير سفيان ص ٢٠٠ ، ومن طريقه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢٣ .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوالِ فى ذلك بالصوابِ قولُ مَن قال : معنى ذلك : أو لم يرَ الذين كفَروا أن السماواتِ والأرضَ كانتا رَتْقًا من المطرِ والنباتِ ، فَفَتَقْنا السماءَ بالغَيْثِ ، والأرضَ بالنباتِ .

وإنما قُلنا : ذلك أولى بالصوابِ فى ذلك ؛ لدلالةِ قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ على ذلك ، وأنَّه جلَّ ثناؤُه لم يُعْقِبْ ذلك بوصْفِ الماءِ بهذه الصِّفَةِ إلَّا والذى تَقَدَّمه مِن ذكرِ أسبابِه .

فإن قال قائلٌ : فإن كان ذلك كذلك ، فكيفَ قيل : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا/ رَتْقًا ﴾ . والغيثُ إنَّما ينزلُ من السماءِ الدُّنيا ؟ ٢٠/١٧

قيل : إن ذلك مُخْتَلَفٌ فيه ، قد قال قومٌ : إنَّما ينزلُ مِن السماءِ السابعةِ . وقال آخرون : من السماءِ الرابعةِ . ولو كان ذلك أيضًا كما ذكرتَ مِن أنَّه ينزلُ من السماءِ الدُّنيا ، لم يكنْ فى قولِه : ﴿ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ دليلٌ على خلافِ ما قُلنا ؛ لأنَّه لا يمتَنِعُ أن يُقالَ : السماواتُ . والمرادُ منها واحدةٌ ، فتُجْمعَ ؛ لأن كلَّ قطعةٍ منها سماءٌ ، كما يُقالُ : ثوبٌ أخْلاقٌ ، وقميصٌ أسمالٌ .

فإن قال قائلٌ : وكيفَ قيل : ﴿ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا ﴾ . فالسماواتُ جمعٌ ، وحكمُ جمعِ الإناثِ أن يُقالَ فى قليلِه : كُنَّ ، وفى كثيرِه : كانت ؟

قيل : إنَّما قيل ذلك كذلك ؛ لأنَّهما صِنْفان ، فالسماواتُ نوعٌ ، والأرضُ آخرُ ، وذلك نظيرُ قولِ الأسودِ بنِ يَعْفُرَ[1] :

إن المَنِيَّةَ والحُتُوفَ كِلاهما تُوفِى المَخارِمَ يَرْقُبانِ سَوادِى

فقال : كِلاهما . وقد ذكَر المنيةَ والحُتوفَ ؛ لِما وصَفْتُ من أنَّه عنَى النَّوعين .

---

(١) البيت فى المفضليات ص ٢١٦ ، وسمط اللآلئ ١/١٧٤ ، ٣٦٨ .

وقد أُخْبِرتُ عن أبى عبيدةَ معمرِ بنِ المثنى[١] ، قال : أنشَدنى غالبٌ التُّغَيْلِىُّ للقُطامِىِّ[٢] :

أَلَمْ يَحْزُنْكِ أن حِبالَ قَيْسٍ وتَغْلِبَ قد تَبايَنتا انْقِطاعَا

فجعَل حبالَ قيسٍ وهى جمعٌ ، وحبالَ تَغْلِبَ وهى جمعٌ ، اثْنَيْن .

وقولُه : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ . يقولُ تعالى ذِكرُه : وأحْيَيْنا بالماءِ الذى نُنزِّلُه مِن السماءِ كلَّ شىءٍ .

كما حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ . قال : كلُّ شىءٍ حىٍّ خُلِق مِنَ الماءِ[٣] .

فإن قال قائلٌ : وكيف خُصَّ كلُّ شىءٍ حىٍّ بأنَّه جُعِل مِن الماءِ دونَ سائرِ الأشياءِ غيرِه ، فقد عَلِمتَ أنَّه يَحْيا بالماءِ الزروعُ والنباتُ والأشجارُ ، وغيرُ ذلك ممَّا لا حياةَ له ، ولا يُقالُ له : حىٌّ ولا مَيِّتٌ ؟

قيل : إنه لا شىءَ من ذلك إلَّا وله حياةٌ وموتٌ ، وإن خَالفَ معناه فى ذلك معنَى ذواتِ الأرواحِ فى أنَّه لا أرواحَ فيهنَّ ، وأن فى ذواتِ الأرواحِ أرواحًا ، فلذلك قيل : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ .

وقولُه : ﴿ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ . يقولُ : أفلا يُصَدِّقون بذلك ، ويُقِرُّون بأُلوهةِ مَن فعَل ذلك ويُفْرِدُونه بالعبادةِ !

---

(١) مجاز القرآن ٢/٣٧ .

(٢) ديوانه ص ٣٢ ، والرواية فيه : « تباينت » .

(٣) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢٣ عن معمر به ، وأخرجه أحمد ١٣/٣١٤ (٧٩٣٢) ، والحاكم ٤/١٢٩ ، ١٦٠ من طريق قتادة ، عن أبى ميمونة ، عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ .

٢١/١٧ /القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذِكرُه : أو لم يرَ هؤلاءِ الكفارُ أيضًا من حُجَجِنا عليهم وعلى جميعِ خَلْقِنا ، أنَّا جعَلْنا فى الأرضِ (١جبالًا راسيةً١) . والرَّواسِى جمعُ راسيةٍ ، وهى الثَّابتةُ .

كما حدَّثنا بِشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ ﴾ . أى : جبالًا[٢] .

وقولُه : ﴿ أَن تَمِيدَ بِهِمْ ﴾ . يقولُ : ألَّا تَكفَّأَ بهم . يقولُ جلَّ ثناؤُه : فجعَلْنا فى هذه الأرضِ هذه الرَّواسِىَ من الجبالِ ، فثبَّتناها لئلَّا تَكفَّأَ بالناسِ ، وليقْدِرُوا على الثباتِ على ظهرِها .

كما حدَّثنا بِشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : كانوا على الأرضِ تَمورُ بهم ، لا تَستقِرُّ ، فأصبَحُوا صبحًا[٣] ، وقد جعَل اللَّهُ الجبالَ ، وهى الرَّواسى ، أوتادًا للأرضِ[٤] .

﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا ﴾ . (٥يقولُ : وسهَّلْنا فى الأرضِ التى أسكناهم فيها ﴿ فِجَاجًا ﴾٥) . يعنى : مسالِكَ ، واحِدُها فَجٌّ .

(١ - ١) فى ت٢ : « رواسى » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧/٢٢١٩ من طريق سعيد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/١١٣ إلى ابن المنذر .

(٣) سقط من : ص ، م ، ت١ ، ف .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/١١٣ إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم .

(٥ - ٥) سقط من : م ، ت١ ، ت٣ ، ف .

كما حدَّثنا بِشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا ﴾ . أى : أعْلامًا . وقولُه : ﴿ سُبُلًا ﴾ . أى : طُرُقًا ، وهى جمعُ السَّبيلِ[1] .

وكان ابنُ عباسٍ فيما ذُكِر عنه يقولُ : إنما عنَى بقولِه : ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا ﴾ : وجعَلنا فى الرَّواسِى . فالهاءُ والألفُ فى قولِه : ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا ﴾ من ذِكْرِ الرَّواسى .

حدَّثنا [٢/٣٧٦و] بذلك القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ قولَه : ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا ﴾ . قال : بينَ الجبالِ[2] .

وإنما اخْتَرنا القولَ الآخرَ فى ذلك ، وجعَلنا الهاءَ والألفَ من ذِكْرِ « الأرضِ » ؛ لأنَّها إذا كانت من ذِكْرِها دخَل فى ذلك السهلُ والجبلُ ، وذلك أن ذلك كلَّه مِن الأرضِ ، وقد جعَل اللَّهُ لخلْقِه فى ذلك كلِّه فِجاجًا سُبُلًا ، ولا دلالةَ تدلُّ على أنَّه عنَى بذلك فِجاجَ بعضِ الأرضِ التى جعَلها لهم سُبُلًا دونَ بعضٍ ، فالعمومُ بها أَوْلَى .

وقولُه : ﴿ لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ . يقولُ تعالى ذِكرُه : جعَلْنا هذه الفجاجَ فى الأرضِ ليهْتَدوا إلى السيرِ فيها .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣١٨ إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣١٨ إلى المصنف وابن المنذر .

يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذِكرُه : وجعَلْنا السماءَ سقفًا للأرضِ مَسْمُوكًا .

وقولُه : ﴿ مَّحْفُوظًا ﴾ . يقولُ : حفِظناها مِن كلِّ شيطانٍ رجيمٍ .

وبنحوِ الذى قُلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

٢٢/١٧

/ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾ . قال : مرفوعًا[1] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنا بِشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ﴾ . الآية : سَقْفًا مرفوعًا ، ومَوْجًا مَكْفُوفًا[2] .

وقولُه : ﴿ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ . يقولُ : وهؤلاءِ المشركون عن آياتِ السماءِ - ويعنى بـ ﴿ ءَايَٰتِهَا ﴾ شمسَها وقمرَها ونجومَها - ﴿ مُعْرِضُونَ ﴾ . يقولُ : يُعرِضُون عن التَّفكُّرِ فيها ، وتَدبُّرِ ما فيها من حُججِ اللَّهِ عليهم ، ودلالتِها على وَحْدَانيَّةِ خالِقِها ، وأنَّه لا ينبَغِى أن تكونَ العبادةُ إلَّا لمَن دَبَّرَها وسوَّاها ، ولا تَصْلُحُ إلَّا له .

---

(١) تفسير مجاهد ص ٤٧١ ، ومن طريقه أبو الشيخ فى العظمة (٥٥٩) ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣١٨/٤ إلى الفريابى وابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم .

(٢) سيأتى تخريجه فى تفسير الآية « ٣ » من سورة « الحديد » .

وبنحوِ الذى قُلنا فى تأويلِ ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ . قال : الشمسُ والقمرُ والنجومُ آياتُ السماءِ[1] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

وقولُه : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ . يقولُ تعالى ذِكرُه : واللَّهُ الذى خلَق لكم أيُّها الناسُ الليلَ والنهارَ ، نعمةً منه علَيكم وحُجَّةً ، ودلالةً على عظيمِ سُلطانِه ، وأن الأُلوهةَ له دونَ كلِّ ما سِواه ، فهما يختَلِفان عليكم لصلاحِ معايشِكم وأُمورِ دُنْياكم وآخرتِكم ، وخلَق الشمسَ والقمرَ أيضًا ، ﴿ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ . يقولُ : كلُّ ذلك فى فلكٍ يَسْبَحون .

واختَلَف أهلُ التأويلِ فى معنى « الفَلَكِ » الذى ذكَره اللَّهُ فى هذه الآيةِ ؛ **فقال بعضُهم** : هو كهيئةِ حديدةِ الرَّحَى .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ

(١) تفسير مجاهد ص ٤٧١ .

قولَه : ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ . قال : فَلَكٌ كهيئةِ حديدةِ الرَّحَى[(١)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جريجٍ : ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ . قال : كنعتِ حديدةِ الرَّحَى .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنى جريرٌ ، عن قابوسَ بنِ أبى ظَبْيانَ ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ . قال : فَلَكُ السماءِ[(٢)] .

وقال آخرون : بل الفَلَكُ الذى ذكَره اللَّهُ فى هذا الموضعِ سرعةُ جريِ الشمسِ والقمرِ والنجومِ وغيرِها .

/ذكرُ مَن قال ذلك ٢٣/١٧

حدِّثتُ عن الحسينِ ، قال : سمِعتُ أبا معاذٍ ، قال : أخبَرنا عبيدٌ ، قال : سمِعتُ الضحاكَ يقولُ فى قولِه : ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ : الفَلَكُ المَجْرى والسُّرعةُ[(٣)] .

[(٤)]**وقال آخرون** : الفَلَكُ مَوْجٌ مكْفوفٌ تجْرى الشمسُ والقمرُ والنجومُ فيه[(٤)] .

وقال آخرون : [٢/٣٧٦ظ] بل هو القطبُ الذى تدورُ به النُّجومُ . واسْتَشْهَد قائلُ هذا القولِ لقولِه هذا بقولِ الراجزِ[(٥)] :

باتَتْ تُناصِى[(٦)] الفَلَكَ الدَّوَّارَا

---

(١) تفسير مجاهد ص ٤٧١ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣١٨ إلى ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم ، وينظر فتح البارى ٨/٤٣٦ .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣١٨ إلى المصنف وابن أبى شيبة وابن المنذر وابن أبى حاتم .

(٣) ذكره القرطبى فى تفسيره ١١/٢٨٦ .

(٤ - ٤) سقط من : ت٢ .

(٥) البيت فى مجاز القرآن لأبى عبيدة ٢/٣٨ .

(٦) فى م : « تناجى » . وتناصى : تجاذب . ينظر اللسان (ن ص ى) .

حتى الصَّباحِ تُعمِلُ الأقْتارَا

وقال آخرون فى ذلك ما **حدَّثنا** به بِشرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ قولَه: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾. أى: فى فَلَكِ السماءِ.

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى، قال: ثنا محمدُ بنُ ثورٍ، عن معمرٍ، عن قتادةَ: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾. قال: يَجْرى فى فَلَكِ السماءِ كما رأيتَ[1].

حدَّثنى يونسُ، قال: أخبَرنا ابنُ وهبٍ، قال: قال ابنُ زيدٍ فى قولِه: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾. قال: الفَلَكُ الذى بينَ السماءِ والأرضِ مِن مجارى النُّجومِ والشَّمسِ والقَمرِ. وقرأ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]. وقال: تلك البروجُ بينَ السماءِ والأرضِ، وليست فى الأرضِ، ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾. قال: فيما بينَ السماءِ والأرضِ؛ النجومُ والشمسُ والقمرُ[2].

وذُكِر عن الحسنِ أنَّه كان يقولُ: الفَلَكُ طاحونةٌ كهيئةِ فَلَكةِ المِغْزَلِ[3].

والصوابُ من القولِ فى ذلك أن يُقالَ كما قال اللَّهُ عزَّ وجلَّ: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾. وجائزٌ أن يكونَ ذلك الفَلَكُ كما قال مجاهدٌ كحديدةِ الرَّحَى، وكما ذُكِر عن الحسنِ كطَاحُونَةِ الرَّحَى، وجائزٌ أن يكونَ موجًا مَكْفوفًا، وأن يكونَ قُطْبَ السماءِ، وذلك أن الفَلَكَ فى كلامِ العربِ هو كلُّ شىءٍ دائرٍ، فجَمْعُه أفْلاكٌ. وقد ذكَرتُ قولَ الراجزِ:

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢٣، ٢٤ عن معمر، عن قتادة.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣١٨ إلى المصنف وابن أبى حاتم، وينظر تفسير القرطبى ١١/٢٨٦.

(٣) أخرجه ابن عيينة فى تفسيره - كما فى تغليق التعليق ٤/٢٥٧ - عن عمرو، عن الحسن.

باتَتْ تُناصِى[1] الفَلَكَ الدَّوَّارَا

وإذا كان كلُّ ما دار فى كلامِها فلكًا[2] ، ولم يكنْ فى كتابِ اللَّهِ ، ولا فى خبرٍ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ولا عمَّن يَقْطَعُ قولُه العُذْرَ ، دليلٌ يدُلُّ على أىِّ ذلك هو مِن أىٍّ ، كان الواجبُ أن نقولَ فيه ما قال ، ونَشكُتَ عمَّا لا علمَ لنا بهِ .

فإذ كان الصوابُ فى ذلك مِن القولِ ما ذكَرْنا ، فتأويلُ الكلامِ : والشمسُ والقمرُ ، كلٌّ ذلك فى دائرٍ يَسْبَحون .

/وأما قولُه : ﴿ يَسْبَحُونَ ﴾ . فإنَّ معناه : يَجْرون . ٢٤/١٧

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ . قال : يَجْرون[3] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ يَسْبَحُونَ ﴾ . قال : يَجْرون[4] .

وقيل : ﴿ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ . فأخرَج الخبرَ عن الشمسِ والقمرِ مُخرَجَ

---

(١) فى م : « تناجى » .

(٢) سقط من : م ، ف .

(٣) تفسير مجاهد ص ٤٧١ .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣١٨/٤ إلى المصنف وابن أبى حاتم .

الخبرِ عن بنى آدمَ بالواوِ والنونِ ، ولم يقلْ : يَسْبَحْنَ ، أو : تَسْبَحُ . كما قيل : ﴿ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴾ [يوسف : ٤] . لأنَّ السجودَ من أفعالِ بنى آدمَ ، فلمَّا وُصِفتِ الشَّمسُ والقمرُ بمثلِ أفعالِهم ، أُجْرِىَ الخبرُ عنهما مُجْرَى الخبرِ عنهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذِكْرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : وما خَلَّدْنا أحدًا من بنى آدمَ يا محمدُ قبلَك فى الدُّنيا فنُخَلِّدَك فيها ، ولابُدَّ لك مِن أن تموتَ كما مات مِن قَبْلِك رُسُلُنا ، ﴿ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴾ . يقولُ : فهؤلاء المُشرِكون بربِّهم هم الخالِدُون فى الدُّنيا بعدَك ؟ لا ، ما ذلك كذلك ، بل هم مَيِّتون بكلِّ حالٍ ، عِشْتَ أو مِتَّ . فأُدخِلتِ الفاءُ فى « إن » وهى جزاءٌ ، وفى جوابِه ؛ لأنَّ الجزاءَ مُتَّصِلٌ بكلامٍ قَبْلَه ، ودخَلت أيضًا فى قولِه : ﴿ فَهُمُ ﴾ ؛ لأنَّه جوابٌ للجزاءِ ، ولو لم يكُنْ فى قولِه : ﴿ فَهُمُ ﴾ الفاءُ ، جاز على وجْهَين ؛ **أحدُهما** ، أن تكونَ محذوفةً وهى مرادةٌ ، والآخرُ ، أن يكونَ مرادًا تقديمُها إلى الجزاءِ ، فكأنَّه قال : أفَهُمُ الخالدون إن مِتَّ ؟

وقولُه : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ . يقولُ تعالى ذِكرُه : كلُّ نفْسٍ مَنْفوسةٍ من خَلْقِه ، معالِجَةٌ غُصَصَ الموتِ ، ومتجرِّعةٌ كأسَها .

وقولُه : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ . يقولُ تعالى ذِكرُه : ونَخْتَبِرُكم أيُّها الناسُ ﴿ بِٱلشَّرِّ ﴾ . وهو الشِّدَّةُ ، نَبْتَلِيكم بها ، وبـ ﴿ ٱلْخَيْرِ ﴾ . وهو الرخاءُ والسَّعةُ والعافيةُ ، فنَفْتِنُكم به .

وبنحوِ الذى قُلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ قولَه : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ . قال : بالرَّخاءِ والشِّدَّةِ ، وكلاهما بلاءٌ[1] .

/**حدَّثنا** بشرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال : ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَنَبْلُوكُم ٢٥/١٧ [٢/٣٧٧ظ] بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ . يقولُ : نَبْلُوكم بالشَّرِّ بلاءً ، وبالخيرِ فتنةً ، ﴿ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ .

حدَّثنا يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ . قال : [2]نَبْلُوهم بما يُحبُّون وبما يَكْرَهون ؛ نَخْتَبِرُهم[2] بذلك لنَنظرَ كيف شُكرُهم فيما يُحبُّون ، وكيف صبرُهم فيما يَكْرَهون[1] .

حدَّثنى علىٌّ ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن علىٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ ﴾ . يقولُ : نَبْتَلِيكم بالشِّدةِ والرَّخاءِ ، [3]والصِّحةِ والسَّقَمِ ، والغِنَى والفَقْرِ ، والحلالِ والحرامِ ، والطاعةِ والمعصيةِ ، والهُدَى والضَّلالةِ[4] .

وقولُه : ﴿ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ[5] ﴾ . يقولُ : وإلينا [6]تُردُّون فتُجازَوْن[6] بأعمالِكم[7] ؛

---

(١) ذكره أبو حيان فى البحر المحيط ٣١١/٦ .

(٢ - ٢) فى ت١ ، ت٢ : « نبلوكم بما تحبون وما تكرهون نختبركم » .

(٣ - ٣) سقط من : ص ، ت١ ، ت٣ ، ف .

(٤) أخرجه اللالكائى فى شرح أصول الاعتقاد (١٠٠٧) من طريق أبى صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣١٩/٤ إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم .

(٥) فى ص ، ف : « يرجعون » . قال أبو حيان فى البحر المحيط ٣١١/٦ : وقرأ الجمهور « تُرجعون » بتاء الخطاب مبنيا للمفعول ، وقرأت فرقة بالتاء مفتوحة مبنية للفاعل - وهى قراءة يعقوب ، وهو من العشرة - وقرأت فرقة بضم الياء للغيبة مبنيا للمفعول على سبيل الالتفات . وينظر فى قراءة يعقوب إتحاف فضلاء البشر ص ١٨٩ .

(٦ - ٦) فى م : « يردون فيحازون » .

(٧) فى ص ، ت١ ، ت٣ ، ف : « بأعمالهم » .

حسنِها وسيِّئِها .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذِكْرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : وإذا رآك يا محمدُ الذين كَفَروا باللَّهِ ﴿ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾ . يقولُ : ما يتَّخِذُونك إلَّا سِخْرِيًّا يقولُ بعضُهم لبعضٍ : ﴿ أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ ﴾ . يعنى بقولِه : ﴿ يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ ﴾ : يذكرُ آلهتَكم بسوءٍ ويُعيبُها ؛ تعجُّبًا مِنهم مِن ذلك ، يقولُ اللَّهُ تعالى ذِكرُه : فيَعجَبون مِن ذِكْرِك يا محمدُ آلهتَهم التى لا تضرُّ ولا تَنفَعُ بسوءٍ ، وهم يذكرِ الرحمنِ الذى خلَقهم وأنعَم عليهم ، ومنه نَفْعُهم ، وبيدِه ضرُّهم ، وإليه مَرْجِعُهم ، بما هو أهلُه مِنهم أن يَذكُروه به - كافرون .

والعربُ تضَعُ الذِّكرَ موضِعَ المدحِ والذمِّ ، فيقولون : سمِعْنا فلانًا يَذْكُرُ فلانًا . وهم يُريدُون : سمِعْناه يَذْكُرُه بقبيحٍ ويَعيبُه - ومِن ذلك قولُ عنترةَ[1] :

لا تَذكُرِى مُهْرِى وما أطْعَمتُه ... فيكونَ[2] جلدُكِ مِثلَ جِلدِ الأجْرَبِ

يعنى بذلك : لا تَعِيبى مُهْرِى - وسَمِعْناه يَذْكُرُه بخيرٍ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

/يقولُ تعالى ذِكْرُه : ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ . يعنى آدمَ ، ﴿ مِنْ عَجَلٍ ۚ ﴾ . ٢٦/١٧

واختَلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِه ؛ فقال بعضُهم : معناه : مِن عَجَلٍ فى بِنْيَتِه

---

(١) ديوانه ص ١٩ ، ونسبه فى اللسان (ن ع م) إلى خُزَز بن لَوْذان السدوسى .

(٢) فى ت٢ : « فيصير » .

وخَلْقِه[١] ، كان مِن العَجَلَةِ[٢] ، وعلى العجَلَةِ .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا ابنُ يمانٍ ، عن أشعثَ ، عن جعفرٍ ، عن سعيدٍ فى قولِه : ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ . قال : لمَّا نُفِخ فى آدمَ الروحُ فى رُكبتَيْه ذهَب لِينهضَ ، فقال اللَّهُ : ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾[٣] .

حدَّثنا موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ ، قال : لما نُفِخ فيه ، يعنى فى آدمَ ، الروحُ ، فدخَل فى رأسِه عطَس[٤] ، فقالت الملائكةُ : قُلْ : الحمدُ للَّهِ . فقال : الحمدُ للَّهِ . فقال اللَّهُ له : رحِمكَ ربُّك . فلمَّا دخَل الروحُ فى عَينَيْه نظَر إلى ثمارِ الجَنَّةِ ، فلمَّا دخَل فى جوفِه اشْتَهى الطعامَ ، فوثَب قبلَ أن تبلغَ الروحُ رجْلَيه عَجْلَانَ إلى ثمارِ الجنةِ ، فذلك حينَ يقولُ اللَّهُ : ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ . يقولُ : خُلِق الإنسانُ عَجُولًا[٥] .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ[٦] ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ . قال : خُلِق عَجُولًا[٧] .

وقال آخرون : معناه ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ . أى : من تَعْجيلٍ فى خَلْقِ اللَّهِ

---

(١) فى ص ، م ، ت١ ، ف : « خلقه » .

(٢) فى ت٢ : « عجل » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣١٩/٤ إلى المصنف وابن أبى حاتم .

(٤) فى ت٢ : « فعطس » .

(٥) تقدم مطولًا فى ٤٨٦/١ - ٤٨٨ .

(٦) فى ت٢ : « أبو » .

(٧) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢٤/٢ عن معمر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣١٩/٤ إلى ابن المنذر .

إيَّاه ومِن سُرعةِ فيه وعلى عَجَلٍ . وقالوا : خلَقه اللَّهُ فى آخِرِ النَّهارِ يومَ الجُمُعةِ قبلَ غُروبِ الشمسِ على عجلٍ فى خَلْقِه إيَّاه قبلَ مَغيبِها .

ذِكْرُ مِن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا[١] عن ابنِ أبى نجيح ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ . قال : قولُ آدمَ حينَ خُلِق بعدَ كلِّ شىءٍ آخرَ النهارِ مِن يومِ خُلِق الخَلْقُ ، فلمَّا أَحْيا الروحُ عَينَيْه ولسانَه ورأسَه ، ولم يَبلُغْ أسْفَلَه ، قال : يا ربِّ اسْتَعْجِلْ بخَلْقِى قبلَ غروبِ الشمسِ[٢] .

[٣]**حدَّثنا** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، عن ابنِ أبى نجيح ، عن مجاهدٍ مثلَه[٣] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ ، قال : قال مجاهدٌ : ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ . قال : آدمُ حينَ خُلِق بعدَ كلِّ شىءٍ . ثم ذكَر نحوَه ، غيرَ أنَّه قال فى حديثِه : اسْتَعْجِلْ بخَلْقِى فقد غَرَبتِ الشمسُ .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ . قال : على عَجَلٍ خُلِق آدمُ آخِرَ ذلك اليومِ من[٤] ذلك اليومِ[٤] ، يريدُ يومَ الجُمُعةِ ، وخَلْقه على عجلٍ ، وجعَلَه عَجُولًا[٥] .

---

(١) سقط من : ص ، ت٢ .

(٢) تفسير مجاهد ص ٤٧١ ، وأخرجه ابن أبى شيبة ١١٥/١٤ ، وأبو الشيخ فى العظمة (١٠٢٦) من طريق ليث عن مجاهد بنحوه . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣١٩/٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم .

(٣ - ٣) كذا فى النسخ ، وهو تكرار من الأثر السابق .

(٤ - ٤) فى ص ، ت١ : « ذلك اليومين » فى م : « ذينك اليومين » .

(٥) ذكره أبو حيان فى البحر المحيط ٣١٣/٦ بنحوه .

وقال بعضُ أهلِ العربيةِ من أهلِ البصرةِ[(١)] [٢/٣٧٧ظ] ممَّن قال نحوَ هذه المقالةِ : إنَّما قال : ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ / وهو يعنى أنه خلَقَه مِن تعجيلٍ من الأمرِ ؛ ٢٧/١٧ لأنَّه قال : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[النحل : ٤٠] . قال : فهذا العَجَلُ ، وقولُه : ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ [(٢)] ﴿ إِنِّى ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى ﴾ [(٢)] .

وعلى قولِ صاحبِ هذه المقالةِ يجبُ أن يكونَ كلُّ خَلْقِ اللَّهِ خُلِق على عَجَلٍ ؛ لأن كلَّ ذلك خُلِقَ بأنْ قِيل له : كُنْ . فكان . فإن كان ذلك كذلك ، فما وَجْهُ خصوصِ الإنسانِ إذن بذكرِ أنَّه خُلِق من عَجَلٍ دونَ الأشياءِ كلِّها ، وكُلُّها مخلوقٌ مِن عَجَلٍ ، وفى خصوصِ اللَّهِ تعالى ذِكرُه الإنسانَ بذلك ، الدليلُ الواضحُ على أن القولَ فى ذلك غيرُ الذى قاله صاحبُ هذه المقالةِ .

وقال آخرون مِنهم[(٣)] : هذا من المَقْلوبِ ، وإنَّما هو : خُلِق [(٢)]العجَلُ مِن[(٢)] الإنسانِ وخُلِقتِ العَجَلةُ من الإنسانِ . وقالوا : ذلك مثلُ قولِه : ﴿ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ ﴾ [القصص : ٧٦] إنَّما هو : لَتَنوءُ العصبةُ بها مُتثاقِلةً . وقالوا : هذا وما أشْبَهَهُ فى كلامِ العربِ كثيرٌ مشهورٌ . قالوا : وإنَّما كُلِّم القومُ بما يَعقلون . قالوا : وذلك مثلُ قولِهم : عرَضْتُ الناقةَ [(٤)]على الحوضِ . يُريدون : عرضتُ الحوضَ على الناقةِ[(٤)] . وكقولِهم : إذا طلعتِ الشِّعرَى واستوى العودُ على الحِرْباءِ . أى : اسْتَوتِ الحِرْباءُ على العودِ . كقولِ الشاعرِ[(٥)] :

---

(١) هو الأخفش ، كما فى البحر المحيط ٣١٣/٦ .

(٢ - ٢) سقط من : ت٢ .

(٣) هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن ٣٨/٢ ، ٣٩ .

(٤ - ٤) سقط من : م ، ت١ ، ت٣ ، ف .

(٥) هو خداش بن زهير ، والبيت فى الكامل ٦٢/٢ ، واللسان (ض ط ر) ، والشطر الثانى فى المخصص ٧٧/٢ غير منسوب .

وتَركَبُ خَيلًا لا هَوَادَةَ بينَها وتَشْقَى الرِّماحُ بالضياطِرَةِ[١] الحُمْرِ

وكقولِ ابنِ مُقْبِلٍ[٢] :

حَسَرْتُ كَفِّى عن السِّربالِ آخُذُه فَردًا يُجَرُّ علَى أيْدِى المُقَدِّينا

يريدُ : حسَرتُ السِّربالَ عن كَفِّى . ونحوُ ذلك مِن المقلوبِ .

وفى إجماعِ أهلِ التأويلِ على خلافِ هذا القولِ الكفايةُ المغنيةُ عن الاستشهادِ على فسادِه بغيرِه .

قال أبو جعفرٍ رحِمهُ اللهُ : والصوابُ من القولِ فى تأويلِ ذلك عِندَنا القولُ الذى ذكَرْناه عمَّن قال : معناه : خُلِق الإنسانُ من عَجَلٍ فى خَلْقِه . أىْ : على عَجَلٍ وسُرعةٍ فى ذلك . وإنَّما قِيل : ذلك كذلك لأنَّه بُودِر بخلْقِه مغيبُ الشمسِ فى آخِرِ ساعةٍ مِن نهارِ يومِ الجُمُعةِ ، وفى ذلك الوقتِ نُفِخ فيه الروحُ .

وإنما قُلنا : ذلك[٣] أولى الأقوالِ التى ذكَرْناها فى ذلك بالصوابِ ؛ لدلالةِ قولِه تعالى ذِكرُه : ﴿ سَأُورِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ . على ذلك .

وأن أبا كريبٍ **حدَّثنا** قال : ثنا ابنُ إدريسَ ، قال : أخبَرنا محمدُ بنُ عمرٍو ، عن أبى سلمةَ ، عن أبى هريرةَ ، / قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن فى الجُمُعَةِ لَساعَةً – يُقَلِّلُها[٤] – فقال : لا يُوافِقُها عَبْدٌ مسلِمٌ يَسألُ اللَّهَ فيها خيرًا إلَّا آتاه اللَّهُ إيَّاه » . فقال عبدُ اللَّهِ بنُ سلَامٍ : قد علِمتُ أىَّ ساعةٍ هِى ؛ هى آخِرُ ساعاتِ النهارِ من يومِ الجُمُعةِ ، قال اللَّهُ : ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُورِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾[٥] . ٢٨/١٧

(١) الضياطرة : الرجال الضخام . اللسان (ض ط ر) .

(٢) ديوانه ص ٣٢٥ .

(٣) زيادة يقتضيها السياق .

(٤) أى يقلل يده ؛ كما فى مصادر التخريج الآتية ، ويقللها : كأنه يشير إلى ضيق وقتها . ينظر التمهيد ١٨/١٩ .

(٥) أخرجه البغوى فى شرح السنة (١٠٤٦) من طريق محمد بن عمرو به ، وينظر الطيالسى (٢٤٨٤) =

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا المُحاربيُّ وعَبْدةُ بنُ سليمانَ وأسدُ[١] بنُ عمرٍو ، عن محمدِ بنِ عمرٍو ، قال : ثنا أبو سلمةَ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ بنحوِه . وذكَر كلامَ عبدِ اللَّهِ بنِ سلامٍ بنحوِه .

فتأويلُ الكلامِ إذ كان الصوابُ فى تأويلِ ذلك ما قُلنا بما بِهِ اسْتَشْهَدْنا : خُلِقَ الإنْسانُ مِن تعجيلٍ[٢] ؛ ولذلك يَسْتَعجِلُ ربَّه بالعذابِ ، ﴿ سَأُورِيكُمْ ﴾[٣] أيُّها المُستعجِلون ربَّهم بالآياتِ القائِلُون لنبيِّهم[٤] محمدٍ ﷺ : ﴿ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٥] - ﴿ ءَايَـٰتِى ﴾ ، كما أرَيْتُها[٥] مَن قَبْلَكم من الأممِ التى أهْلَكْتُها[٦] بتكذِيبِها الرُّسلَ ، إذ أتَتْهَا الآياتُ ، ﴿ فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾ . يقولُ : فلا تَستَعجِلوا ربَّكم ، [٧]فإنَّا سنأتِيكُم[٧] بها ونُرِيكُمُوها .

واختَلَفتِ القرأةُ فى قراءةِ قولِه : ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ . فقرَأتْه عامَّةُ قرَأةِ الأمصارِ : ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ بضمِّ الخاءِ على مذهبِ ما لم يسمَّ فاعلُه . وقرَأه حُميدٌ الأعرجُ : (خَلَقَ) بفَتحِها[٨] . بمعنى : خَلَق اللَّهُ الإنسانَ .

والقراءةُ التى عليها قرَأةُ الأمصارِ هى القراءةُ التى لا أسْتَجيزُ خِلافَها .

= وأخرج المرفوع منه أبو يعلى (٥٩٢٥) من طريق ابن إدريس به مختصرًا ، وأخرجه الطيالسى (٢٤٨٣) ، وأحمد (١٠٥٤٥) من طرق محمد بن عمرو به .

(١) فى ص ، م : « أسير » . وتقدم فى ٣٨٢/٣ ، وينظر التاريخ الكبير ٤٩/٢ .

(٢) فى ص ، م : « عجل » .

(٣) بعده فى ص ، م ، ت١ ، ف : « آياتى فلا تستعجلون » .

(٤) فى ص ، م ، ت١ ، ت٣ ، ف : « لنبينا » .

(٥) فى ت١ : « توارثتها » .

(٦) فى ص ، م : « أهلكناها » .

(٧ - ٧) فى ت١ ، ت٢ ، ف : « بها فإنها سياتيكم » .

(٨) وهى قراءة مجاهد وابن مقسم ، وهى قراءة شاذة ، ينظر مختصر الشواذ لابن خالويه ص ٩٤ ، والبحر المحيط ٣١٣/٦ .

وقولُه : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ . يقولُ تعالى ذِكرُه : ويقولُ هؤلاءِ المُستَعجِلون ربَّهم بالآياتِ والعذابِ ، لمحمدٍ ﷺ : ﴿ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾ ؟ يقولُ : متى يجِيئُنا هذا الذى تَعِدُنا من العذابِ ، إن كُنتُم صادقين فيما تَعِدُونَنا بهِ من ذلك ؟

وقيل : ﴿ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ﴾[1] . والمعنَى : الموعودُ . لمعرِفةِ السامِعين معناه . وقيل : ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ . كأنَّهم كانوا قالوا ذلك لرسولِ اللَّهِ ﷺ وللمؤمنين بهِ .

و ﴿ مَتَىٰ ﴾ فى موضعِ نصبٍ ؛ لأنَّ معناه : أىَّ وقتٍ هذا الوعدُ ؟ وأىَّ يومٍ هو ؟ فهو نصبٌ على الظرفِ ؛ لأنَّه وقتٌ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ .

[٢/٣٧٨و] يقولُ تعالى ذِكرُه : لو يعلمُ هؤلاءِ الكفارُ المُستَعجِلون عذابَ ربِّهم ماذا لهم من البلاءِ حينَ تَلفَحُ وجُوهَهم النارُ ، وهم فيها كالِحُون ، فلا يَكُفُّون عن وجوهِهم النارَ التى تَلفَحُها ، ولا عن ظُهورِهم فيَدفَعونها عنها بأنفسِهم ، ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ . يقولُ : ولا لهم ناصرٌ ينصُرُهم ، فيَستَنقِذُهم حينئذٍ من عذابِ اللَّهِ - لَمَا أقامُوا على ما هُم عليه مُقِيمون من الكفرِ باللَّهِ ، ولَسارَعوا[2] إلى التوبةِ منه والإيمانِ باللَّهِ ، ولَما استَعجَلوا لأنفسِهم البلاءَ .

/ القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ . ٢٩/١٧

يقولُ تعالى ذِكرُه : لا تأتى هذه النارُ التى تَلْفَحُ وجوهَ هؤلاءِ الكفارِ الذين

---

(١) فى ت١ ، ت٢ ، ف : « الوعيد » .

(٢) فى ت٢ : « يسارعون » .

وُصِف أمرُهم فى هذه السُّورةِ حينَ تأتِيهم - عن علمٍ مِنهم بوَقْتِها ؛ ولكنَّها تأتِيهم مفاجأةً لا يَشْعُرون بمجِيئِها ، ﴿ فَتَبْهَتُهُمْ ﴾ . يقولُ : فتَغْشاهم فجأةً ، وتلْفحُ وجوهَهم معايَنةً ، كالرَّجلِ يَبْهَتُ الرجلَ فى وَجْهِهِ بالشىءِ حتى يَبْقَى المَبْهوتُ[1] كالحيرانِ منه ، ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا ﴾ . يقولُ : فلا يُطيقون حينَ تَبْغَتُهم فتَبْهَتُهم ، دفْعَها عن أنفسِهم ، ﴿ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ . يقولُ : ولا هم وإن لم يُطيقوا دَفْعَها عن أنفسِهم يُؤَخَّرون بالعذابِ بها لتوبةٍ يُحدِثونها ، وإنابةٍ يُنِيبون ؛ لأنَّها لَيْست حينَ عملٍ وساعةَ توبةٍ وإنابةٍ ، بل هى ساعةُ مُجازاةٍ وإثَابَةٍ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذِكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : إن يَتَّخِذْكَ يا محمدُ هؤلاءِ القائلُون لك : ﴿ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [الأنبياء : ٣] . إذا رَأَوْكَ هُزُوًا ، ويقُولُون : هذا الذى يَذْكُرُ آلهتَكم ! كفرًا مِنهم باللَّهِ ، واجْتراءً عليه - فلقد استُهْزِئَ برُسُلٍ مِن رُسُلِنا الذين أرْسَلْناهم من قَبلِك إلى أُمِمهم . يقولُ : فوجَب ونزَل بالذين اسْتَهْزءوا بِهم ، وسَخِروا مِنهم من أُمَمِهم ما كانوا به يستهزئون[2] ، من البلاءِ والعذابِ الذى كانت رُسُلُهم تخُوِّفُهم نُزولَه بهم .

﴿ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ . يقولُ جلَّ ثناؤُه : فلن يَعْدُوَ هؤلاءِ المُستَهزِئون بكَ من هؤلاءِ الكَفَرةِ أن يَكُونوا كأَسْلافِهم من الأمِمِ المُكَذِّبةِ رُسُلَها ، فينزلَ بهم من عذابِ اللَّهِ وسَخَطِه باسْتِهْزائِهم بكَ ، نظيرُ الذى نزَل بِهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ

(١) فى ت٢ : « كالمبهوت » .

(٢) بعده فى ص ، م ، ت١ ، ف : « يقول جل ثناؤه : حل بهم الذى كانوا به يستهزئون » .

عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذِكْرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : قُلْ يا محمدُ لهؤلاءِ المُسْتَعجِليكَ[1] بالعذابِ ، القائلين : ﴿ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ : ﴿ مَن يَكْلَؤُكُم ﴾ أيُّها القومُ . يقولُ : مَن يَحْفَظُكم ويَحرُسُكم بالليلِ إذا نِمْتُم ، وبالنهارِ إذا انصرَفتم[2] ﴿ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ ؟ يقولُ : من أمرِ الرحمنِ إن نزل بكم ، و[3] من عذابِه إن حلّ بكم .

وترَكَ ذِكْرَ « الأمْرِ » ، وقيل : ﴿ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ ؛ اجْتِزاءً بمعرفةِ السامِعين لمعناه مِن ذِكْرِه .

وبنحوِ الذى قُلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ فى قولِه : ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ . قال : يَحرُسُكم[4] .

٣٠/١٧ / **حدَّثنا** بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ . قال[5] : يَحفَظُكم بالليلِ والنهارِ مِن الرحمنِ .

يُقال منه : كلأتُ القومَ ، إذا حَرَسْتَهم ، أكْلَؤهم . كما قال ابنُ هَرْمةَ[6] :

إنَّ سُلَيْمَى واللَّهُ يَكْلَؤُها ضَنَّتْ بشَيءٍ ما كان يَرْزَؤُها

(١) فى ت١ : « المستهزئون المستعجليك » ، وفى ت٢ : « المستعجلوك » .

(٢) فى ص ، م : « تصرفتم » .

(٣) سقط من : ت١ ، ت٢ ، ف .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣١٩/٤ إلى المصنف وابن المنذر .

(٥) فى م : « قل من » .

(٦) ديوانه ص ٥٥ .

وقولُه: ﴿ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴾. وقولُه: ﴿ بَلْ ﴾ تحقيقٌ لجَحْدِ[1] قد عرَفه المُخاطَبون بهذا الكلامِ، وإن لم يكُنْ مذكورًا فى هذا الموضِعِ ظاهرًا، ومعنَى الكلامِ: وما لهم ألَّا يعلَموا أنَّه لا كَالِئَ لهم [2]مِن أمرِ[2] اللَّهِ إذا هو حَلَّ بهم ليلًا أو نهارًا! بل هم عن ذكرِ مواعظِ ربِّهم وحُجَجِه التى احْتَجَّ بها علَيهم مُعْرِضُون، لا يتَدَبَّرون ذلك، ولا يَعْتَبِرُون بهِ؛ جَهْلًا مِنهم وسَفَهًا.

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾.

يقولُ تعالى ذِكرُه: أَلِهؤلاءِ المُسْتَعْجِلى ربِّهم بالعذابِ آلهةٌ تَمنَعُهم - إن نحنُ أحْلَلْنا بهم عذابَنا، وأنْزَلْنا بهم بأسَنا - من دونِنا. ومعناه: أم لهم آلهةٌ من دونِنا تَمنَعُهم مِنَّا. ثم وصَف جلَّ ثناؤه الآلهةَ بالضَّعْفِ والمَهانَةِ، وما هى بهِ مِن صِفَتِها، فقال: وكيف تَسْتَطيعُ آلهتُهم التى يَدْعُونها مِن دونِنا أن تمنَعهم مِنَّا وهى لا تستَطيعُ نَصْرَ أنفُسِها؟

وقولُه: ﴿ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴾. **اختَلَف أهلُ التأويلِ** فى المعنىِّ بذلك، وفى معنَى ﴿ يُصْحَبُونَ ﴾؛ **فقال بعضُهم**: عنَى بذلك الآلهةَ، وأنَّها لا تُصْحَبُ مِن اللَّهِ بخيرٍ.

ذِكرُ مَن قال ذلك

[٣٧٨/٢ظ] **حدَّثنا** بشرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ قولَه: ﴿ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ ﴾: [3]يعنى الآلهةَ[3]،

---

(١) فى ت٢: «لحجة».

(٢ - ٢) فى ت٢: «إلا».

(٣ - ٣) سقط من: ت١، ت٢، ف.

﴿ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴾ . يقولُ : لا يُصْحَبون مِن اللَّهِ بخيرٍ[١] .

وقال آخرون : بل معنَى ذلك : ولا هم مِنَّا يُنصَرُون .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴾ . قال[٢] : يُنصَرُون[٣] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ قوله : / ﴿ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ﴾ إلى قوله : ﴿ يُصْحَبُونَ ﴾ . قال : يُنصَرُون[٤] . قال : قال مجاهدٌ : ولا هم يُحفَظون . ٣١/١٧

حدَّثنا علىٌّ ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن علىٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴾ : يُجارُون[٥] .

[٦]ذِكرُ مَن قال ذلك[٦]

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴾ . يقولُ : ولا هم مِنَّا يُجارُون ، وهو قولُه : ﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ [المؤمنون : ٨٨] . يعنى

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣١٩/٤ إلى المصنف وابن أبى حاتم .

(٢) بعده فى م : « لا » .

(٣) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢٤/٢ عن معمر به .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣١٩/٤ إلى المصنف وابن المنذر وابن أبى حاتم .

(٥) ينظر تفسير القرطبى ٢٩١/١١ .

(٦ - ٦) كذا فى النسخ ، ولم يترجم المصنف لهذا القول ، وحق ترجمة هذا القول وهذه الجملة أن يكونا قبل الأثر السابق .

الصَّاحبَ ، وهو الإنسانُ يكونُ له خَفِيرٌ[١] مِمَّا يخافُ ، فهو قولُه : ﴿ يُصْحَبُونَ ﴾[٢] .

قال أبو جعفرٍ : وأولى الأقوالِ فى ذلك بالصوابِ قولُ مَن قال هذا القولَ الذى حَكَيناه عن ابنِ عباسٍ وأنّ ﴿ هُم ﴾ مِن قولِه : ﴿ وَلَا هُم ﴾ . من ذِكْرِ الكُفَّارِ ، وأنَّ قولَه : ﴿ يُصْحَبُونَ ﴾ . بمعنى : يُجارُون ؛ يُصْحَبون بالجِوارِ ؛ لأنَّ العربَ مَحْكِيٌّ عنها : أنا لك جارٌ مِن فلانٍ وصاحبٌ . بمعنَى : أُجِيرُكَ وأَمْنَعُكَ . وهم إذا لم يُصْحَبوا بالجوارِ ولم يكنْ لهم مانِعٌ مِن عذاب اللَّهِ مع سَخَطِ اللَّهِ عليهم ، فلم يُصْحَبوا بخيرٍ ولم يُنصَرُوا .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذِكرُه : ما لهؤلاءِ المُشرِكين مِن آلهةٍ تَمنَعُهم من دونِنا ، ولا جارٌ يُجيرُهم مِن عذابِنا - إذا نحن أرَدْنا عذابَهم - فاتَّكَلوا على ذلك ، وعَصَوا رُسُلَنا ؛ اتِّكَالًا مِنهم على ذلك ، ولَكِنَّا متَّعْناهم بهذه الحياةِ الدُّنيا وآباءَهم مِن قَبلِهم حتى طال عليهم العُمُرُ ، وهم على كُفْرِهم مُقِيمُون ، لا تَأْتِيهم مِنَّا واعظةٌ مِن عذابٍ ، ولا زاجِرةٌ مِن عقابٍ على كُفْرِهم وخِلافِهم أمْرَنا ، وعبادتِهم الأوثانَ والأصنامَ ، فنَسُوا عَهدَنا وجَهِلُوا موقِعَ نِعْمَتِنا عليهم ، ولم يعْرِفُوا موضِعَ الشُّكرِ .

وقولُه : ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : أفلا يَرى هؤلاءِ المُشرِكون باللَّهِ السَّائلُون محمدًا ﷺ الآياتِ

---

(١) خفير القوم : مجيرهم الذى يكونون فى ضمانه ما داموا فى بلاده . التاج (خ ف ر) .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣٣٨/٥ عن العوفى عن ابن عباس إلى قوله : « يجارون » .

المُسْتَعجِلوه بالعذابِ - أنَّا نأتى الأرضَ نُخَرِّبُها مِن نواحِيها بقَهْرِنا أهْلَها، وغَلَبَتِناهم، وإجلائِهم عنها، وقَتْلِهم بالسيوفِ، فيَعْتَبِروا بذلك ويتَّعِظُوا بهِ، ويَحْذَروا مِنَّا أن نُنْزِلَ من بأسِنا بهم نحوَ الذى قد أنْزَلْنا بمَن فَعَلْنا ذلك بهِ مِن أهلِ الأطرافِ.

وقد تقدَّم ذِكرُ القائلين بقولِنا هذا ومخالِفيه، بالرِّواياتِ عنهم فى سورةِ «الرَّعدِ» بما أغنَى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[1].

وقولُه: ﴿أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾. يقولُ تبارَك وتعالى: أفهؤلاءِ المُشرِكون المُستَعجِلون محمدًا بالعذابِ / الغَالِبُونا؟ وقد رأوا قَهْرَنا مَن أحْلَلْنا بساحتِه بأسَنا فى ٣٢/١٧
أطرافِ الأَرْضِ، ليس ذلك كذلك، بل نحن الغالِبُون.

وإنَّما هذا تقريعٌ مِن اللَّهِ تعالى لهؤلاءِ المُشرِكين بهِ بجهلِهم، يقولُ: أفيظُنُّون أنَّهم يَغْلِبون محمدًا ويَقْهَرُونه، وقد قُهِر مَن ناوأه مِن أهلِ أطرافِ الأرضِ غيرُهم.

كما حدَّثنا بشرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ قولَه: ﴿أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾. يقولُ: ليسوا بغَالِبين، ولكِنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ هو الغالبُ[2].

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

يقولُ تعالى ذِكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ: قلْ يا محمدُ لهؤلاءِ القائلين: ﴿فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء: ٥]: إنما أُنذِرُكم أيُّها القومُ بتَنزِيلِ اللَّهِ الذى يُوحِيه إلىَّ مِن عندِه، وأُخَوِّفُكم به بأسَه.

كما **حدَّثنا** بشرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ قولَه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ

(١) ينظر ما تقدم فى ١٣/٥٧٤ - ٥٧٩.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣١٩ إلى المصنف وابن أبى حاتم.

أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ ﴾ . أى : بهذا القرآنِ[(١)] .

وقولُه : ﴿ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ ﴾ **اختَلَفتِ القرأةُ** فى قراءةِ ذلك ؛ فقرَأتْه عامَّةُ قرأةِ الأمصارِ : ﴿ يَسْمَعُ ﴾ . بمعنى أنَّه فِعْلٌ لـ « الصُّمِّ » ، و« الصُّمُّ » حينئذٍ مَرْفُوعون .

ورُوِى عن أبى عبدِ الرحمنِ السُّلَمِىِّ أنَّه كان يقرَأُ : (وَلا [(٢)]يُسْمَعُ)[(٢)] بالياءِ وضَمِّها ، فـ « الصُّمُّ » على هذه القراءةِ مَرْفُوعةٌ ؛ لأنَّ قولَه : (ولَا يُسْمَعُ)[(٣)] لم يُسَمَّ فاعلُه ، ومعناه على هذه القراءةِ : ولا يُسمِعُ اللَّهُ الصمَّ الدُّعاءَ .

قال أبو جعفرٍ : والصوابُ من القراءةِ عِندَنا فى ذلك [٢/٣٧٩و] ما عليه قرَأةُ الأمصارِ ؛ لإجماعِ الحُجَّةِ من القرَأةِ عليه . ومعنى ذلك : ولا يُصْغِى الكافرُ باللَّهِ بسَمْعِ قلبِه إلى تَذَكُّرِ ما فى وَحْيِ اللَّهِ مِنَ المواعظِ والذِّكْرِ ، فيتذَكَّرَ به ويَعْتَبِرَ ، فينزجِرَ عمَّا هو عليه مُقيمٌ مِن ضلالِه إذا تُلِى عليه وأُرِيد به ، ولكِنَّه يُعرِضُ عن الاعْتِبارِ به والتَّفكُّرِ فيه ، فعلَ الأصمِّ الذى لا يَسْمَعُ ما يُقال له فيعملَ به .

وبنحوِ الذى قُلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَلَا يَسْمَعُ

---

(١) جزء من الأثر المتقدم فى الصفحة السابقة .

(٢ - ٢) فى النسخ : « تُسمَع بالتاء » .

قال القرطبى فى تفسيره ١١/٢٩٢ : وقرأ أبو عبد الرحمن السلمى ومحمد بن السميفع : (ولا يُسْمَع) بياء مضمومة وفتح الميم على مالم يسم فاعله ؛ (الصم) رفعًا أى إن الله لا يسمعهم . وقرأ ابن عامر والسلمى أيضًا وأبو حيوة ويحيى بن الحارث : « تُسمِع » بتاء مضمومة وكسر الميم ؛ (الصُّمَّ) نصبًا ، أى : إنك يا محمد لا تسمع الصمَّ الدعاءَ . وينظر البحر المحيط ٦/٣١٥ ، ٣١٦ .

(٣) فى م ، ت١ : « تسمع » . وينظر الحاشية السابقة .

﴿ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴾ . يقولُ : إن الكافرَ قد صَمَّ عن كتابِ اللَّهِ لا يَسمَعُه ، ولا ينتَفِعُ به ولا يعقِلُه ، كما يَسمَعُه المؤمنُ وأهلُ الإيمانِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذِكرُه : ولئن مسَّت هؤلاءِ المُستَعجِلين بالعذابِ يا محمدُ ﴿ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ ﴾ . يعنى بالنَّفْحَةِ النَّصيبَ والحظَّ ، من قولِهم : نفَح فلانٌ لفلانٍ من عطائِه ، إذا أعْطاه قِسْمًا أو نصيبًا من المالِ .

٣٣/١٧ /كما **حدَّثنا** بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ ﴾ الآية . يقولُ : لئن أصابَتْهم عقوبةٌ[1] .

وقولُه : ﴿ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾ . يقولُ : لئن أصابَتْهم هذه النفحةُ من عقوبةِ ربِّك يا محمدُ بتَكذِيبِهم بك وكُفرِهم ، ليَعْلَمُنَّ حينئذٍ غِبَّ تَكْذِيبِهم بك ، وليَعْتَرِفُنَّ على أنفسِهم بنعمةِ اللَّهِ وإحسانِه إليهم ، وكُفْرانِهم أياديَه عِندَهم ، وليَقُولُنَّ : يا وَيْلنا إنا كُنَّا ظالمين فى عبادتِنا الآلهةَ والأندادَ ، وتَرْكِنا عبادةَ اللَّهِ الذى خلَقنا وأنعَم علينا ، ووَضْعِنا العبادةَ غيرَ موضعِها .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذِكْرُه : ونضَعُ الموازينَ [2]العدلَ ، وهو[2] القِسْطُ .

---

(١) تقدم أوله فى ص ٢٨٢ .

(٢ - ٢) سقط من : ت٢ .

وجعَل « القِسطَ » ، وهو موحدٌ ، مِن نعتِ « الموازين » وهى جمعٌ ؛ لأنَّه فى مذهبِ عدلٍ ورضًا ونظرٍ .

وقولُه : ﴿ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ . يقولُ : لأهلِ يومِ القيامةِ ، ومَن ورَد على اللَّهِ فى ذلك اليومِ من خَلْقِه .

وقد كان بعضُ أهلِ العربيةِ يوجِّهُ معنَى ذلك إلى « فى » ، كأنَّ معناه عندَه : ونضَعُ الموازينَ القسطَ فى يومِ القيامةِ .

وقولُه : ﴿ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾ . يقولُ : فلا يَظْلِمُ اللَّهُ نفسًا ممَّن ورَد عليه مِنهم شيئًا بأن يعاقبَه بذنبٍ لم يَعْمَلْه ، أو يبخسَه ثوابَ عملٍ عمِلَه ، أو طاعةٍ أطاعَه بها ، ولكِن يُجازِى المحسنَ بإحسانِه ، ولا يعاقبُ مسيئًا إلا بإساءتِه .

وبنحوِ الذى قُلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ إلى آخرِ الآيةِ : وهو كقولِه : ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ﴾ [الأعراف : ٨] . يعنى بـ « الوزنِ » القِسطِ بينَهم » : بالحقِّ[1] فى الأعمالِ ، الحَسَناتِ والسَّيئاتِ ؛ فمَن أحاطَت حسناتُه بسيئاتِه ثَقُلتْ موازينُه . يقولُ : أذْهَبَت حسناتُه سيئاتِه ، ومن أحاطتْ سيئاتُه بحسناتِه فقد خَفَّتْ موازينُه وأمُّهُ هاويةٌ . يقولُ : أذْهَبتْ سيئاتُه حسناتِه[2] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا الثورىُّ ، عن

---

(١) ص ، ت١ ، ف : « فى الحق » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٢٠ إلى المصنف مقتصرا على أوله .

ابنِ أبى نجيح ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ . قال : إنَّما هو مَثَلٌ ، كما يجوزُ الوزنُ كذلك يجوزُ الحقُّ . قال الثورىُّ : قال ليثٌ عن مجاهدٍ : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ ﴾ . قال : العدلَ[1] .

وقولُه : ﴿ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ﴾ . يقولُ : وإن كان الذى له من عملِ الحسناتِ ، أو عليه من السيئاتِ وزنَ حبةٍ من خَرْدَلٍ ﴿ أَتَيْنَا بِهَا ﴾ . يقولُ : جِئْنا بها فأحْضَرْناها إيَّاه .

٣٤/١٧ /كما حدَّثنا يونسُ ، قال :أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ﴾ . قال : [2]كتَبْناها وأحْصَيْناها له وعليه .

حدَّثنى يونسُ ، قال :أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ﴾ . قال[2] : يُؤْتَى بها لك أو عليك ، ثم يَعْفو إنْ شاء أو يأخُذُ[3] ، ويَجزِى بما عُمِل له مِن طاعةٍ .

وكان مجاهدٌ يقولُ فى ذلك ما حدَّثنى يونسُ ، قال :أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ﴾ . قال : جَازَيْنَا بها[4] .

حدَّثنا عمرُو[5] بنُ عبدِ الحميدِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ أنَّه كان

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٢/٢٤ .

(٢ - ٢) سقط من : ت٢ .

(٣) فى ت١ : « يؤاخذ » .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٢٠ إلى المصنف وسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبى حاتم .

(٥) فى ت٢ : « عمر » .

يقولُ: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾. قال: جازَيْنا بها.

وقال: ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾ فأخرَج قولَه: ﴿بِهَا﴾ مُخرَجَ كنايةِ المؤنثِ، وإن كان الذى تقدَّم ذلك قولَه: [٢/٣٧٩ظ] ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾؛ لأنَّه عنى بقولِه: ﴿بِهَا﴾ الحبةَ دونَ المِثْقالِ، ولو عنى بهِ المثقالَ لَقِيل: «به».

وقد ذُكِر أنَّ مجاهدًا إنَّما تأوَّل قولَه: ﴿أَتَيْنَا بِهَا﴾ على ما ذكَرْنا عنه؛ لأنَّه كان يقرأُ ذلك (آتَيْنا بِها)[1] بمدِّ الألفِ.

وقولُه: ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾. يقولُ: وحسْبُ مَن شَهِد ذلك الموقفَ بنا حاسبين؛ لأنه لا أحدَ أعلَمُ بأعمالِهم، وما سَلَف فى الدُّنيا مِن صالحٍ أو سيِّئٍ، مِنَّا.

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾.

يقولُ تعالى ذِكرُه: ولقد آتَينا موسى بنَ عِمرانَ وأخاه هارونَ ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾. يعنى به الكتابَ الذى يَفْرُقُ بينَ الحقِّ والباطلِ. وذلك هو التوراةُ فى قولِ بعضِهم.

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو، قال: ثنا أبو عاصمٍ، قال: ثنا عيسى، **وحدَّثنى** الحارثُ، قال: ثنا الحسنُ، قال: ثنا ورقاءُ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ، عن مجاهدٍ قولَه: ﴿ٱلْفُرْقَانَ﴾. قال: الكتابَ[2].

حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنى حجاجٌ، عن ابنِ جُرَيجٍ، عن مجاهدٍ مثلَه.

---

(١) وقرأ بها ابن عباس وابن جبير وابن أبى إسحاق والعلاء بن سيابة وجعفر بن محمد وابن محمد الأصبهانى، وهى قراءة شاذة. ينظر البحر المحيط ٦/٣١٦.

(٢) تفسير مجاهد ص ٤٧٢.

حدُّثنا بشرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ قولَه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾: الفرقانُ التوراةُ، حلالُها وحرامُها، وما فرَق اللَّهُ بينَ الحقِّ والباطلِ[1].

وكان ابنُ زيدٍ يقولُ فى ذلك ما حدَّثنى به يونسُ، قال: أخبرنا ابنُ وهبٍ، قال: قال ابنُ زيدٍ فى قولِه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾. قال: الفرقانُ الحقُّ، آتاه اللَّهُ موسى وهارونَ، فرَق بينَهما وبينَ فِرعونَ، قضَى بينَهم بالحقِّ. وقرأ: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَـانِ﴾ [الأنفال: ٤١]. قال: يومَ بدرٍ[1].

قال أبو جعفرٍ رحِمه اللَّهُ: وهذا القولُ الذى قاله ابنُ زيدٍ فى ذلك أشْبَهُ بظاهرِ التَّنزيلِ، وذلك لدخولِ الواوِ فى «الضياءِ»، ولو كان الفرقانُ هو التوراةَ كما قال مَن قال ذلك، لكان التنزيلُ: ولقد آتَينا موسى وهارونَ الفرقانَ ضياءً؛ لأن الضياءَ الذى آتَى اللَّهُ موسى وهارونَ هو التوراةُ التى أضاءت لهما ولمَن اتَّبَعَهما أمرَ دينِهم /فبصَّرَهم الحلالَ والحرامَ، ولم يقصِدْ بذلك فى هذا الموضعِ ضياءَ الإبْصَارِ. وفى دخولِ الواوِ فى ذلك دليلٌ على أن الفرقانَ غيرُ التوراةِ التى هى ضياءٌ. ٣٥/١٧

فإن قال قائلٌ: وما ينكرُ أن يكونَ «الضياءُ» من نعتِ «الفُرْقانِ»، وإن كانت فيه واوٌ، فيكونَ معناه: وضياءً آتَيناه ذلك. كما قال: ﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا﴾؟ [الصافات: ٦، ٧].

قيل: إن ذلك وإن كان الكلامُ يحتَمِلُه، فإنَّ الأغلبَ مِن معانيه ما قُلنا، والواجبُ أن تُوجَّهَ معانى كلامِ اللَّهِ إلى الأغلبِ الأشهرِ مِن وجوهِها المعروفةِ عندَ العربِ ما لم يكنْ بخلافِ ذلك ما يجبُ التسليمُ له مِن حُجَّةِ خبرٍ أو عقلٍ.

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٢٠ إلى المصنف.

وقولُه: ﴿وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾. يقولُ: وتَذكِيرًا لمَن اتَّقى اللَّهَ بطاعتِه وأدَّى فرائضَه، واجتنبَ معاصيَه، ذكَّرهم بما آتى موسى وهارونَ من التوراةِ.

القولُ في تأويلِ قولِه تعالى: ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُم مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

يقولُ تعالى ذِكرُه: آتينا موسى وهارونَ[1]: الذِّكرَ الذى آتيناهما للمُتَّقين الذين يخافون رَبَّهم ﴿بِالْغَيْبِ﴾: يعنى فى الدُّنيا أن يعاقِبَهم فى الآخِرةِ إذا قَدِموا عليه بتَضْييعِهم ما ألزَمَهم مِن فرائضِه، فهُم من خَشْيَتِه يحافِظُون على حدودِه وفرائضِه، وهم من الساعةِ التى تقومُ فيها القيامةُ مُشْفِقون حَذِرُون أن تقومَ علَيهم، فيَرِدُوا على ربِّهم قد فرَّطوا فى الواجبِ عليهم للَّهِ، فيعاقِبَهم من العقوبةِ بما لا قِبَلَ لهم به.

القولُ في تأويلِ قولِه تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

يقولُ جلَّ ثناؤُه: وهذا القرآنُ الذى أنزَلْناه إلى محمدٍ ﷺ ذِكْرٌ لمَن تذَكَّر به، وعِظَةٌ لمن اتَّعَظ به، مباركٌ، أنزَلْناه كما أنزَلْنا التوراةَ إلى موسى وهارونَ ذِكْرًا للمُتَّقين - ﴿أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾. يقولُ تعالى ذِكْرُه: أفأنتم أيُّها القومُ لهذا الكتابِ الذى أنزَلْناه إلى محمدٍ مُنكِرون وتقولون هو [٢/٣٨٠ظ] ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ [الأنبياء: ٥]. وإنَّما الذى آتَيْناه من ذلك ذِكْرٌ للمُتَّقين؛ كالذى آتَينا موسى وهارونَ ذكرًا للمُتَّقين.

وبنحوِ الذى قُلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ.

---

(١) بعده فى م، ت١، ت٢، ف: «الفرقان».

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ قولَه: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾ إلى قوله: ﴿أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾. أى: هذا القرآنُ[1].

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

٣٦/١٧ /يقولُ تعالى ذِكرُه: ولقد أرشَدْنا إبراهِيمَ مِن قبلِ موسى وهارونَ، ووفَّقناه للحقِّ، وأنْقَذْناه من بينِ قومِه وأهلِ بيتِه من عبادةِ[2] الأوثانِ، كما فَعَلْنا ذلك بمحمدٍ ﷺ وعلى إبراهيمَ - فأَنْقَذناه من قومِه وعشيرتِه من عبادةِ الأوثانِ، وهَدَيْناه إلى سبيلِ الرَّشادِ تَوفيقًا مِنَّا له.

وبنحوِ الذى قُلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ.

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو، قال: ثنا أبو عاصمٍ، قال: ثنا عيسى، **وحدَّثنى** الحارثُ، قال: ثنا الحسنُ، قال: ثنا ورقاءُ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ، عن مجاهدٍ قولَه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾. قال: هَدَيْناه صغيرًا[3].

حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنى حجاجٌ، عن ابنِ جُرَيجٍ، عن

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٢٠ إلى المصنف وابن المنذر وابن أبى حاتم.

(٢) فى ص، ت ٢: «عباد».

(٣) تفسير مجاهد ص ٤٧٢، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٢٠ إلى ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم.

مجاهدٍ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾. قال: هَدَاه[(١)] صغيرًا.

حدَّثنا ابنُ بَشارٍ، قال: ثنا عبدُ الرحمنِ، قال: ثنا سفيانُ، عن ابنِ جريجٍ[(٢)]، عن مجاهدٍ: ﴿ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾. قال: هَداه صغيرًا[(٣)].

حدَّثنا بشرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قَتادةَ قولَه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾. يقولُ: آتَيْناه هُدَاهُ[(٤)].

وقولُه: ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾. يقولُ: وكُنَّا عالمين به أنَّه ذو يَقينٍ وإيمانٍ باللَّهِ وتوحيدٍ له، لا يُشْرِكُ به شيئًا، ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ﴾. يعنى: فى وقتِ قِيلِه وحينِ قيلِه لهم: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾. يقولُ: قال لهم: أىُّ شىءٍ هذه الصورُ التى أنتم عليها مُقِيمون؟ وكانت تلك التماثيلُ أصنامَهم التى كانوا يَعْبُدونها.

كما **حدَّثنى** محمدُ بنُ عمرٍو، قال: ثنا أبو عاصمٍ، قال: ثنى عيسى، **وحدَّثنا** الحارثُ، قال: ثنا الحسنُ، قال: ثنا ورقاءُ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ، عن مجاهدٍ قولَه: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ﴾. قال: الأصنامُ[(٥)].

حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنى حجاجٌ، عن ابنِ جريجٍ، عن مجاهدٍ مثلَه.

---

(١) فى ف: «هديناه».

(٢) فى ص، م، ت ١، ف: «أبى نجيح».

(٣) تفسير سفيان ص ٢٠١، ٢٠٢.

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٢٠ إلى المصنف.

(٥) تفسير مجاهد ٤٧٢، ومن طريقه الفريابى - كما فى الفتح ٨/٤٣٧ وتغليق التعليق ٤/ ٢٥٩- وهو من تمام الأثر المتقدم فى الصفحة السابقة.

وقد بيَّنا فيما مضَى من كتابِنا هذا أن العاكفَ على الشيءِ: المُقيمُ عليه، بشواهدِ ذلك، وذكَرْنا الروايةَ عن أهلِ التأويلِ[1].

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى: ﴿قَالُوا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

يقولُ تعالى ذِكرُه: قال أبو إبراهيمَ وقومُه لإبراهيمَ: وَجَدْنا آباءَنا لهذه الأوثانِ عابِدين، فنحنُ على مِلةِ آبائِنا نَعبُدُها كما كانوا يَعْبُدون. ﴿قَالَ﴾ إبراهيمُ: ﴿لَقَدْ كُنتُمْ﴾ أيُّها القومُ، ﴿أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ﴾ بعبادتِكم / إياها، ﴿فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾. ٣٧/١٧
يقولُ: فى ذَهابٍ عن سبيلِ الحقِّ، وجَوْرٍ عن قَصْدِ السبيلِ، ﴿مُّبِينٍ﴾. يقولُ: بيِّنٌ[2] لمَن تأمَّلَه بعقلِ أنكم كذلك فى جَوْرٍ عن الحقِّ. ﴿قَالُوٓا أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ﴾. يقولُ: قال أبوه وقومُه له: أجئتَنا بالحقِّ فيما تقولُ، أمْ أنت هازِلٌ لاعِبٌ من اللاعِبين.

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى: ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

يقولُ تعالى ذكرُه: قال إبراهيمُ لهم: بل جئتُكم بالحقِّ لا اللَّعِبِ؛ ربُّكم ربُّ السَّماواتِ والأرضِ الذى خَلَقَهن، ﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم﴾، مِن أن ربَّكم هو ربُّ السَّماواتِ والأرضِ الذى فَطَرَهنَّ، دونَ التماثيلِ التى أنتم لها عاكفون، ودونَ كلِّ أحدٍ سِواه، شاهدٌ ﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾. يقولُ: فإياه فاعبُدوا، لا هذه التماثيلَ التى هى خَلْقُه، التى لا تضُرُّ ولا تنفعُ.

---

(١) ينظر ما تقدم فى ٢/٥٣٤ - ٥٣٦.

(٢) فى ص، ت ١، ت ٢، : «تبين»، وفى ف: «يبين».

القولُ في تأويلِ قولِه تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

[٢/٣٨٠ظ] ذُكِرَ أن إبراهيمَ صلواتُ اللَّهِ عليه حَلَف بهذه اليمينِ في سِرٍّ مِن قومِه وخفاءٍ، وأنه لم يَسْمَعْ ذلك منه إلا الذي أفشاه عليه حينَ قالوا: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٩]. فقال: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠].

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو، قال: ثنا أبو عاصمٍ، قال: ثنا عيسى، **وحدَّثني** الحارثُ، قال: ثنا الحسنُ، قال: ثنا ورقاءُ، جميعًا عن ابنِ أبي نَجيحٍ، عن مجاهدٍ في قولِ اللَّهِ: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾. قال: قولُ إبراهيمَ حينَ اسْتَتْبَعه قومُه إلى عيدٍ لهم فأبَى وقال: إني سَقيمٌ. فسَمِع منه وعيدَ أصنامِهم رجلٌ منهم اسْتأخَرَ، وهو الذي يقولُ: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾[(١)].

حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنى حجاجٌ، عن ابنِ جريجٍ، عن مجاهدٍ مثلَه.

حدَّثنا بشرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ قولَه: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾. قال: نَرَى أنه قال ذلك حيثُ لا يَسْمَعون بعدَ أن تَوَلَّوا مُدْبِرين[(٢)].

وقولُه: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾. **اختلَفتِ القرأةُ في قراءةِ ذلك**؛ فقرَأته عامةُ قرأةِ الأمصارِ سوى يحيى بنِ وثَّابٍ والأعمشِ والكسائيِّ:

---

(١) تفسير مجاهد ص ٤٧٢، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/٣٢١ إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/٣٢١ إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا ﴾ . (١ بمعنى : فجعلهم جذاذًا ١) ، بمعنى جمعٍ (٢) ، كأنهم أرادُوا به جمعَ جَذِيذٍ وجِذاذٍ ، كما يُجمَعُ الخَفِيفُ خِفافًا ، والكريمُ كِرامًا .

٣٨/١٧ / **وأولى القراءتَين فى ذلك عندَنا بالصوابِ** قراءةُ مَن قرأه : ﴿ جُذَٰذًا ﴾ . بضَمِّ الجيمِ ؛ لإجماعِ قرأةِ الأمصارِ عليه ، وأن ما أجمَعت عليه فهو الصوابُ (٣) ، وهو إذا قُرِئَ كذلك مصدرٌ مثلَ الرُّفاتِ والفُتاتِ والدُّقاقِ ، لا واحدَ له . وأما مَن كَسَر الجيمَ ، فإنه جمعٌ لـ « جَذِيذٍ » والجَذِيذُ هو فَعِيلٌ ، صُرِف مِن مَجْذوذٍ إليه ، مثلَ كَسِيرٍ ، وهَشِيمٍ . والمجذوذةُ المكسورةُ قِطَعًا .

وبنحوِ الذى قُلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى عليٌّ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا ﴾ . يقولُ : حُطامًا (٤) .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ جُذَٰذًا ﴾ : كالصَّرِيمِ (٥) .

(١ - ١) سقط من : م ، والكلام فيه سقط ظاهر ، ويوضحه ما قاله أبو حيان فى البحر المحيط ٣٢٢/٦ : وقرأ الجمهور « جُذاذًا » . بضم الجيم . والكسائى وابن محيصن وابن مقسم وأبو حيوة وحميد والأعمش فى رواية بكسرها ، وأبو نهيك وأبو السمال بفتحها ... وقال اليزيدى : « جذاذا » بالضم جمع « جُذاذة » ، كزُجاج وزجاجة . وقيل : بالكسر جمع « جَذيذ » ككَريم وكرام . وقيل : الفتح مصدر كالحصاد بمعنى المحصود ، فالمعنى « مجذوذين » ... وقرأ يحيى بن وثاب « جُذاذًا » ... كجديد ومجدُد . وقرئ « جُذَذًا » ...

(٢) بعده فى ص ، م ، ت١ ، ت٣ ، ف : « جذيذ » .

(٣) وما قرأ به الكسائى أيضًا فهو صواب ؛ لأن قراءته من السبعة المتواترة عن النبى ﷺ .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٢١/٤ إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم .

(٥) تفسير مجاهد ص ٤٧٢ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا ﴾ . أى : قِطَعًا[1] .

وكان سببَ فعلِ إبراهيمَ صلواتُ اللَّهِ عليه بآلهةِ قومِه ذلك ، كما **حدَّثنا** موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ ، أن إبراهيمَ قال له أبوه : يا إبراهيمُ ، إن لنا عيدًا لو قد خَرَجتَ معنا إليه قد أعجَبَك دِينُنا ؟ فلما كان يومُ العيدِ ، فخَرجوا إليه ، خَرَج معهم إبراهيمُ ، فلما كان ببعضِ الطريقِ ألقَى نفسَه وقال : إنى سَقِيمٌ . يقولُ : أشْتَكى رِجْلى . فتوطَّئوا[2] رِجْلَيه وهو صريعٌ ، فلما مَضَوا نادَى فى آخِرِهم ، وقد بَقِىَ ضَعْفَى الناسِ : ﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴾ . فسَمِعوها منه ، ثم رَجَع إبراهيمُ إلى بيتِ الآلهةِ ، فإذا هُنَّ فى بَهْوٍ عظيمٍ ، مُسْتقبِلَ بابِ البَهْوِ صنمٌ عظيمٌ ، إلى جَنْبِه أصغرُ منه ، بعضُها إلى بعضٍ ، كلُّ صنمٍ يَلِيه أصغرُ منه ، حتى بَلَغوا بابَ البَهْوِ ، وإذا هم قد جَعَلوا طعامًا ، فوَضَعوه بينَ يَدَىِ الآلهةِ ، قالوا : إذا كان حينَ نرجِعُ رَجَعْنا ، وقد بارَكَتِ الآلهةُ فى طعامِنا ، فأكَلنا . فلما نَظَر إليهم إبراهيمُ ، وإلى ما بينَ أيدِيهم مِن الطعامِ ، ﴿ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾ . فلما لم تُجِبْه ، قال : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴾ [الصافات : ٩١- ٩٣] . فأخَذَ[3] حديدةً ، فنَقَرَ كلَّ صنمٍ فى حافَتَيه ، ثم عَلَّق الفأسَ فى عُنُقِ الصنمِ الأكبرِ ، ثم خَرَجَ ، فلما جاء القومُ إلى

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره - كما فى تغليق التعليق ٤/٢٥٧- من طريق يزيد بن زريع به .

(٢) فى م : « تواطئوا » .

(٣) بعده فى م : « فأس » .

طعامِهم نَظَروا إلى آلهتِهم، ﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾[1].

وقولُه: ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾. يقولُ: إلا عظيمًا للآلهةِ؛ فإنَّ إبراهيمَ لم يَكْسِرْه، ولكنَّه فيما ذُكِر عَلَّق الفأسَ فى عُنُقِه.

وبنحوِ الذى قُلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ.

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنى حجاجٌ، عن ابنِ جريجٍ: [٢/٣٨١و] ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾. قال: / قال ابنُ عباسٍ: إلا عظيمًا لهم، عظيمَ آلهتِهم[2]. ٣٩/١٧

قال ابنُ جريجٍ: وقال مجاهدٌ: وجَعَل إبراهيمُ الفأسَ التى[3] أهْلَك بها[4] أصنامَهم مُسْندةً إلى صدرِ[5] كبيرِهم الذى تَرَكَ.

حدَّثنا محمدُ بنُ عمرٍو، قال: ثنا أبو عاصمٍ، قال: ثنا عيسى، وحدَّثنى الحارثُ، قال: ثنا الحسنُ، قال: ثنا ورقاءُ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ، عن مجاهدٍ، قال: جَعَل إبراهيمُ الفأسَ التى أهْلَك بها أصنامَهم مُسْندةً إلى صدرِ كبيرِهم الذى تَرَكَ[6].

حدَّثنا ابنُ حميدٍ، قال: ثنا سَلَمةُ، عن ابنِ إسحاقَ، قال: أقبَل عليهنَّ كما قال اللَّهُ تباركَ وتعالى: ﴿ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ [الصافات: ٩٣]. ثم جَعَل يكسِرُهنَّ بفأسٍ

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/٢٣٦ - ٢٣٨ مطولًا بإسناد السدى المعروف.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٢١ إلى ابن المنذر.

(٣) فى ص، ت ١، ت ٢، ف: «الذى».

(٤) فى ص، ت ١، ت ٢، ف: «به».

(٥) فى ص، ت ١، ت ٢، ف: «ظهر».

(٦) تفسير مجاهد ص ٤٧٣.

فى يَدِه ، حتى إذا بَقِى أعظمُ صنمٍ منها رَبَط الفأسَ بيدِه ، ثم تَرَكهنَّ ، فلما رَجَع قومُه رَأَوا ما صُنِع بأصْنامِهم ، فَراعَهم ذلك وأعْظَموه وقالوا : مَن فَعَل هذا بآلهتِنا ؟ إنه لمِن الظالمين[1] .

وقولُه : ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ . يقولُ : فَعَلَ ذلك إبراهيمُ بآلهتِهم ؛ ليَعْتَبِروا ويَعْلَموا أنها إذا لم تَدْفَعْ عن نفسِها ما فعَل بها إبراهيمُ ، فهى مِن أن تدفَعَ عن غيرِها مَن أرادَه بسُوءٍ أبعدُ ، فيرجِعوا عما هم عليه مُقِيمون مِن عبادتِها إلى ما هو عليه مِن دينِه وتوحيدِ اللَّهِ والبراءةِ مِن الأوثانِ .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ . قال : كادَهم بذلك لعلهم يَتَذكَّرون أو يُبْصِرون[2] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : قال قومُ إبراهيمَ لمَّا رَأَوا آلهتَهم قد جُذَّتْ ، إلا الذى رَبَط به الفأسَ إبراهيمُ : مَن فعَل هذا بآلهتِنا ؟ إن الذى فعَل هذا بها لمِن الظالمين . أى : لمِن الفاعلين بها ما لم يكنْ له فعلُه[3] . ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ .

---

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٢٣٨.

(٢) ينظر التبيان ٧/ ٢٢٨.

(٣) فى ص ، ت ٢ ، ف : « فعلها » .

يقولُ: قال الذين سَمِعوه يقولُ: ﴿ تَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴾: ﴿ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ ﴾ بعَيْبٍ، ﴿ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾.

كما **حدَّثنا** القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنى حجاجٌ، عن ابنِ جريجٍ: ﴿ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ ﴾. قال ابنُ جريجٍ: ﴿ يَذْكُرُهُمْ ﴾: يَعِيبُهم.

حدَّثنا ابنُ حميدٍ، قال: ثنا سلمةُ، عن ابنِ إسحاقَ قولَه: ﴿ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾: سَمِعناه[1] يَسُبُّها ويَعِيبُها ويَستهزِئُ بها، لم نسمَعْ أحدًا يقولُ ذلك غيرُه، وهو الذى نظُنُّ صَنَع هذا بها[2].

وقولُه: ﴿ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾. يقولُ تعالى ذكرُه: قال قومُ إبراهيمَ / بعضُهم لبعضٍ: فَأْتُوا بالذى فَعَل هذا بآلهتِنا، الذى سَمِعتُموه ٤٠/١٧
يذكُرُها بعَيْبٍ ويَسُبُّها ويَذُمُّها، على أعيُنِ الناسِ. فقيل: معنى ذلك: على رءوسِ الناسِ[3]. وقال بعضُهم: معناه: بأعيُنِ الناسِ ومَرْأًى منهم. وقالوا: إنما أُريدَ بذلك: أظهِروا الذى فعَل ذلك للناسِ. كما تقولُ العربُ إذا أُظهِرَ الأمرُ وشُهِر: كان ذلك على أعيُنِ الناسِ. يرادُ به: كان بأيْدِى الناسِ[4].

واختلَفَ أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قولِه: ﴿ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾؛ **فقال بعضُهم**: معناه: لعلَّ الناسَ يَشْهَدون عليه أنه الذى فعَل ذلك، فتكونَ شهادتُهم عليه حُجَّةً لنا عليه. وقالوا: إنما فعَلوا ذلك لأنهم كَرِهوا أن يأخُذوه بغيرِ بَيِّنةٍ.

---

(١) فى ص، ت ٢، ف: «سمعنا».

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٢٣٩.

(٣) هوقول الفراء فى معانى القرآن ٢/ ٢٠٦.

(٤) ينظر مجاز القرآن ٢/ ٤٠.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ : عليه أنه فعَل ذلك[1] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ . [2]قال : كَرِهوا أن يأخُذوه بغيرِ بَيِّنةٍ .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لعلهم يَشْهَدون[2] ما يُعاقِبونه به ، فيُعاينونه ويَرَونه .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : بَلَغ ما فعلَ إبراهيمُ بآلهةِ قومِه نُمْرُودَ وأشرافَ قومِه ، فقالوا : ﴿ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ . أى : ما يُصْنعُ به[3] .

وأظهرُ معنى ذلك أنهم قالوا : فَأْتُوا به على أعينُ الناسِ لعلهم يَشْهَدون عُقُوبتَنا إياه ؛ لأنه لو أُريدَ بذلك ليَشْهَدوا عليه بفعلِه كان يقالُ : انظُروا مَن شَهِده يفعلُ ذلك . ولم يقلْ : أحْضِروه بَمْجمعٍ مِن الناسِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : [٢/٣٨١ظ] ﴿ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟

---

(١) تقدم تخريجه فى ص ٢٩٦.

(٢ - ٢) سقط من : ت ٢.

(٣) تقدم تخريجه فى الصفحة السابقة .

يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾.

يقولُ تعالى ذكرُه: فأتَوا بإبراهيمَ، فلما أتَوا به قالوا له: أأنتَ فعلتَ هذا الذى بآلهتِنا مِن الكسرِ بها يا إبراهيمُ؟ فأجابَهم إبراهيمُ، فقال: بل فَعَله كبيرُهم هذا وعظيمُهم، فاسْألوا الآلهةَ مَن فَعَل بها ذلك وكَسَرها إن كانت تَنْطِقُ أو تُعَبِّرُ عن نفسِها.

وبنحوِ الذى قلنا فى تأويلِ ذلك قال أهلُ التأويلِ.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حميدٍ، قال: ثنا سلمةُ، عن ابنِ إسحاقَ، قال: لمَّا أُتِى به واجتَمع له قومُه عندَ ملكِهم نُمْرُودَ، / ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴾: غَضِب مِن أن تَعْبُدوا معه هذه الصِّغارَ وهو أكبرُ منها، فكَسَرَهن[1]. ٤١/١٧

حدَّثنا بشرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ قولَه: ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾ الآية: وهى هذه الخَصلةُ التى كادَهم بها[2].

وقد زَعَم بعضُ مَن لا يُصَدِّقُ بالآثارِ، ولا يقبلُ مِن الأخبارِ إلا ما اسْتفاضَ به النقلُ مِن العَوامِّ، أن معنى قولِه: ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾. إنما هو: بل فَعَله كبيرُهم هذا إن كانوا يَنْطِقون، فاسْألُوهم. أى: إن كانت الآلهةُ المكسورةُ تَنْطِقُ؛ فإن كبيرَهم هو الذى كَسَرهم.

وهذا قولٌ خلافُ ما تَظاهَرَت به الأخبارُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ، أن إبراهيمَ لم يكذِبْ إلا ثلاثَ كَذَباتٍ كلُّها فى اللَّهِ[3]، قولُه: ﴿ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا ﴾.

---

(١) تقدم تخريجه فى ص ٢٩٨.

(٢) تقدم تخريجه ص ٢٩٧.

(٣) سيأتى تخريجه فى تفسير الآية «٨٩» من سورة الصافات.

وقولُه: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٩]. وقولُه لسارةَ: هي أختي. وغيرُ مستحيلٍ أن يكونَ اللَّهُ تعالى ذكرُه أذِن لخليلِه في ذلك ليُقَرِّعَ قومَه به، ويَحْتَجَّ[1] به عليهم، ويُعَرِّفَهم موضعَ خَطَئِهم وسُوءَ نَظَرِهم لأنفسِهم، كما قال مؤذِّنُ يوسفَ لإخوتِه: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ [يوسف: ٧٠]. ولم يكونوا سَرَقوا شيئًا.

القولُ في تأويلِ قولِه تعالى: ﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

يقولُ تعالى ذكرُه: فذَكَروا حينَ قال لهم إبراهيمُ صلواتُ اللَّه عليه: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾. في أنفسِهم، ورَجَعوا إلى عُقولِهم، ونظَر بعضُهم إلى بعضٍ، فقالوا: إنكم معشرَ القومِ الظالمون هذا الرجلَ في مسألتِكم إياه، وقيلِكم له: مَن فعَل هذا بآلهتِنا يا إبراهيمُ؟ وهذه آلهتُكم التي فُعِلَ بها ما فُعِلَ حاضِرتُكم فاسْألوها.

وبنحوِ الذي قلنا في ذلك قال أهلُ التأويلِ.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حميدٍ، قال: ثنا سلمةُ، عن ابنِ إسحاقَ: ﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾. قال: ارعَوَوْا ورجَعوا عنه - يعني: عن إبراهيمَ فيما ادَّعَوا عليه مِن كَسْرِهن - إلى أنفسِهم فيما بينَهم، فقالوا: لقد ظَلَمْناه وما نَراه إلا كما قال[2].

حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثني حجاجٌ، عن ابنِ جريجٍ:

---

(١) في ت ١، ت ٢، ف: «يجمع».

(٢) تقدم تخريجه في ص ٢٩٧.

﴿ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ . قال : نظَر بعضُهم إلى بعضٍ ، فقالوا : ﴿ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[1] .

وقولُه : ﴿ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ﴾ . يقولُ جل ثناؤُه : ثم غُلِبوا فى الحُجَّةِ ، فاحْتَجُّوا على إبراهيمَ بما هو حُجةٌ لإبراهيمَ عليهم ، فقالوا : لقد علمتَ ما هؤلاء الأصنامُ يَنْطِقون .

كما **حدَّثنا** ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سَلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : ثم قالوا - يعنى قومَ إبراهيمَ - وعَرَفوا / أنها ، يعنى آلهتَهم ، لا تضُرُّ ولا تنفَعُ ولا تَبْطِشُ : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ . أى : لا تتكلَّمُ فتُخْبِرَنا مَن صَنَع هذا بها ، وما تَبْطِشُ بالأيدِى فنُصَدِّقَك . يقولُ اللَّهُ : ﴿ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ﴾ . فى الحُجَّةِ عليهم لإبراهيمَ حينَ جادَلهم ، فقال عندَ ذلك إبراهيمُ حينَ ظَهَرت الحُجَّةُ عليهم بقولِهم : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾[2] . ٤٢/١٧

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : قال اللَّهُ : ﴿ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ﴾ . أدْرَكتِ الناسَ حيرةٌ ؛ حيرةُ سَوْءٍ[3] .

وقال آخرون : معنى ذلك : ثم نُكِسوا فى الفتنةِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ ثُمَّ نُكِسُوا۟

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٢١ إلى ابن المنذر .

(٢) كذا فى النسخ ، وسقط منها بقية الأثر ، وبقيته كما فى تاريخ المصنف : قال : ﴿ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ وتقدم أوله فى ص ٢٩٧ .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٥/ ٣٤٤، وفى البداية ١/ ٣٣٦ .

عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ﴾ . قال : نُكِسوا فى الفتنةِ على رءوسِهم ، فقالوا : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾[1] .

وقال بعضُ أهلِ العربيةِ[2] : معنى ذلك : ثم رَجَعوا عما[3] عَرَفوا مِن حُجَّةِ إبراهيمَ ، فقالوا : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ .

وإنَّما اخترْنا القولَ الذى قُلنا فى معنى ذلك ؛ لأن نَكْسَ الشىءِ على رأسِه ، قَلْبُه على رأسِه ، وتَصْيِيرُ أعْلَاه أسفلَه ، ومعلومٌ أن القومَ لم يُقْلَبوا على رءوسِ أنفسِهم ، وأنهم إنما نُكِست حُجَّتُهم ، فأُقِيمَ الخبرُ عنهم مُقامَ الخبرِ عن حُجَّتِهم . وإذ كان ذلك كذلك ، فنَكْسُ الحُجَّةِ - لا شكَّ - إنما هو احتجاجُ المُحْتَجِّ على خَصْمِه بما هو حُجَّةٌ لخَصْمِه .

وأما قولُ السدىِّ : ثم نُكِسوا فى الفتنةِ . فإنهم لم يكونوا خَرَجوا مِن الفتنةِ قبلَ ذلك فنُكِسوا فيها .

وأما قولُ مَن قال مِن أهلِ العربيةِ ما ذكرنا عنه ، فقولٌ بعيدٌ مِن المفهومِ ؛ لأنهم لو كانوا رَجَعوا عما عَرَفوا مِن حُجَّةِ إبراهيمَ ، ما احْتَجُّوا عليه بما هو حُجَّةٌ له ، بل كانوا يقولون : لا نَسْأَلُهم ، ولكن نَسْأَلُك ، فأخبِرْنا مَن فعَل ذلك بها ، وقد سَمِعنا أنك فعلتَ ذلك؟ ولكن صَدَقوه القولَ فقالوا : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾ . وليس ذلك رجوعًا عمَّا كانوا عَرَفوا ، بل هو إقرارٌ به .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : قال إبراهيمُ لقومِه : أفتعبدون أيُّها القومُ مالا ينفعُكم شيئًا ولا

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٥/ ٣٤٤، وفى البداية ١/ ٣٣٦.

(٢) هو الفراء فى معانى القرآن ٢/ ٢٠٧ .

(٣) فى معانى القرآن : « عندما » .

يضُرُّكم ، وأنتم قد علمتُم أنها لم تمنَعْ نفسَها ممن أرادَها بسُوءٍ ، ولا هى تقدِرُ أن تَنْطِقَ إن سُئِلَت عمن يأتِيها بسُوءٍ فتُخْبِرَ به ، أفلا تَسْتَحْيون مِن عبادةِ ما كان هكذا ؟ .

كما حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ : ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾ الآية : يقولُ يرحمُه اللَّهُ : ألَا تَرَون أنهم لم يَدْفَعوا عن أنفسِهم الضُّرَّ الذى أصابَهم ، وأنهم لا يَنْطِقون فيُخْبِرونكم مَن صنَع ذلك بهم ، فكيف يَنْفَعونكم أو يَضُرُّون[1] . ٤٣/١٧

وقولُه : ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ ﴾ . يقولُ : قُبْحًا لكم وللآلهةِ التى تَعْبُدون مِن دونِ اللَّهِ ، أفلا تَعْقِلون قُبْحَ ما تَفْعَلون مِن عبادتِكم مالا يضُرُّ ولا ينفعُ ، فتَتْرُكوا عبادتَه ، وتَعْبُدوا اللَّهَ الذى فَطَر السماواتِ والأرضَ ، والذى بيدِه النفعُ والضَّرُّ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : قال بعضُ قومِ إبراهيمَ لبعضٍ : حَرِّقوا إبراهيمَ بالنارِ : ﴿ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴾ . يقولُ : إن كنتم ناصِريها ، ولم تُريدوا تَرْكَ عبادتِها .

وقيل : إن الذى قال ذلك رجلٌ مِن أكرادِ فارسَ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى يعقوبُ ، قال : ثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه :

---

(١) تقدم تخريجه فى ص ٢٩٧.

﴿ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ ﴾ . قال : قالَها رجلٌ مِن أعرابِ[١] فارسَ ، يعنى الأكرادَ[٢] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال : أخبَرنى وهبُ بنُ سليمانَ ، عن شعيبٍ الجَبَائِيِّ ، قال : إن الذى قال : ﴿ حَرِّقُوهُ ﴾ هيزنُ ، فخَسَف اللَّهُ به الأرضَ ، فهو يَتَجَلْجَلُ فيها إلى يومِ القيامةِ[٣] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : أجمعَ نُمْرودُ وقومُه فى إبراهيمَ فقالوا : ﴿ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴾ . أى : لا تَنْصُروها منه إلا بالتَّحْريقِ بالنارِ إن كنتُم ناصِريها[٤] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سَلَمةُ ، قال : ثنى محمدُ بنُ إسحاقَ ، عن الحسنِ ابنِ دينارٍ ، عن ليثِ بنِ أبى سُلَيمٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : تَلَوتُ هذه الآيةَ على عبدِ اللَّهِ ابنِ عمرَ ، فقال : أتدرى يا مجاهدُ مَن الذى أشارَ بتَحْريقِ إبراهيمَ بالنارِ ؟ قال : قلتُ لا . قال : رجلٌ مِن أعرابِ فارسَ . قلتُ : يا أبا عبدِ الرحمنِ ، وهَلْ للفُرْسِ أعرابٌ ؟ قال : نعم ، [٥] الكُرْدُ هم [٥] أعرابُ فارسَ ؛ فرجلٌ منهم هو الذى أشارَ بتَحْريقِ إبراهيمَ بالنارِ[٦] .

---

(١) فى ت ٢: « أكراد » .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٢٤٠، ٢٤١.

(٣) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٢٤١ وفيه : « هينون » ، وعزاه السيوطى فى الدرالمنثور ٤/ ٣٢٢ إلى ابن أبى حاتم وفيه : « هبون » .

(٤) تقدم تخريجه فى ص ٢٩٧ .

(٥ - ٥) فى ص ، ت ١، ت ٢، ف : « الكند هى » .

(٦) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٢٤٠.

وقولُه : ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ . وفى الكلامِ متروكٌ اجتُزِئَ بدلالةِ ما ذُكِر عليه منه ، وهو : فأوْقَدُوا له نارًا ليُحَرِّقوه ، ثم أَلْقَوه فيها ، فقلنا للنارِ : يا نارُ كونى بردًا وسلامًا على إبراهيمَ .

وذُكِر أنهم لمَّا أرادوا إحْراقَه بَنَوا له بُنْيانًا ، كما حدَّثنا موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ ، قال : ﴿ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصافات : ٩٧] . قال : فحَبَسُوه فى بيتٍ ، وجَمَعوا له حَطَبًا ، حتى / إن كانتِ المرأةُ ٤٤/١٧
لتَمْرَضُ فتقولُ : لئن عافانى اللَّهُ لأجْمَعنَّ حَطَبًا لإبراهيمَ . فلما جَمَعوا له ، وأكثَروا مِن الحطبِ ، حتى إن الطيرَ لتَمُرُّ بها فتحترقُ مِن شدَّةِ وَهَجِها ، فعَمَدوا إليه فرَفَعوه على رأسِ البنيانِ ، فرفَع إبراهيمُ ﷺ رأسَه إلى السماءِ ، فقالت السماءُ والأرضُ والجبالُ والملائكةُ : ربَّنا ، إبراهيمُ يُحْرَقُ فيك . فقال : أنا أعلمُ به ، وإنْ دَعاكم فأَغِيثوه . وقال إبراهيمُ حينَ رَفَع رأسَه إلى السماءِ : اللهمَّ أنت الواحدُ فى السماءِ ، وأنا الواحدُ فى الأرضِ ، ليس فى الأرضِ أحدٌ يعبُدُك غيرى ، حَسْبى اللَّهُ ونعمَ الوكيلُ . فقَذَفوه فى النارِ ، فناداها فقال : ﴿ يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ . فكان جبريلُ عليه السلامُ هو الذى ناداها - وقال ابنُ عباسٍ : لو لم يُتْبِعْ بَرْدُها « سلامًا » لماتَ إبراهيمُ مِن شدَّةِ بَرْدِها ، فلم يَبْقَ يومَئذٍ نارٌ فى الأرضِ إلا طُفِئَتْ ، ظَنَّتْ أنها هى [٣٨٢/٢ظ] تُعْنَى - فلما طُفِئَتِ النارُ نَظَروا إلى إبراهيمَ ، فإذا هو ورجلٌ آخَرُ معه ، وإذا رأسُ إبراهيمَ فى حِجْرِه يمسَحُ عن وَجْهِه العَرَقَ ، وذُكِر أن ذلك الرجلَ هو مَلَكُ الظِّلِّ ، وأنزلَ اللَّهُ نارًا فانتفَعَ بها بنو آدمَ ، وأخْرَجوا إبراهيمَ ، فأدخَلوه على المَلِكِ ، ولم يكنْ قبلَ ذلك دخَل عليه[1] .

---

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٢٤١، ٢٤٢. وذكره السيوطى فى الدر المنثور ٤/ ٣٢٢، مقتصرًا على أن القائل للنار هو جبريل وعزاه إلى المصنف وابن أبى حاتم .

حدَّثنى أحمدُ[(١)] بنُ المقدامِ أبو الأشْعثِ ، قال : ثنا المعتمرُ ، قال : سمعتُ أبى ، قال : ثنا قتادةُ ، عن أبى سليمانَ ، عن كعبٍ ، قال : ما أحْرقَت النارُ مِن إبراهيمَ إلا وَثاقَه[(٢)] .

حدَّثنا بِشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ . قال : ذُكِر لنا أن كَعْبًا كان يقولُ : ما انتفَعَ بها يومَئذٍ أحدٌ مِن الناسِ . وكان كعبٌ يقولُ : ما أحرقَت النارُ يومَئذٍ إلا وَثاقَه .

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا مؤمَّلٌ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن الأعمشِ ، عن شيخٍ ، عن علىٍّ بنِ أبى طالبٍ رضى اللَّهُ عنه فى قولِه : ﴿ يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ قال : بَرَدَتْ عليه حتى كادت تقتُلُه ، حتى قيل : ﴿ وَسَلَـٰمًا ﴾ . قال : لا تَضُرِّيه[(٣)] .

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا جابرُ بنُ نوحٍ ، قال : أخبرَنا إسماعيلُ ، عن المِنْهالِ ابنِ عمرٍو ، قال : قال إبراهيمُ خليلُ اللَّهِ : ما كنتُ أيامًا قَطُّ أنْعَمَ مِنِّى مِن الأيامِ التى كنتُ فيها فى النارِ[(٤)] .

---

(١) فى النسخ : « إبراهيم » ، وتقدم مرارًا .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ٢٤٣/١ بدون ذكر كعب . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٢٢/٤ إلى ابن أبى شيبة وابن المنذر .

(٣) تفسير الثورى ص٢٠٢ ، وأخرجه ابن أبى شيبة ١١/ ٥١٩، ٥٢٠، وأحمد فى الزهد ص٧٩ من طريق الأعمش – وعند ابن أبى شيبة الشيخ المبهم عبد الله بن مليل ، وعند أحمد : عبد الله بن فلفل رجل من آل أبى ليلى . والظاهر أنه تصحيف عن الأول . وينظر التاريخ الكبير ٥/ ١٩٢، والجرح والتعديل ١٦٨/٥– وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٢٢/٤ إلى عبد بن حميد .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ١٩١/٦ من طريق أبى كريب به ، وأخرجه ابن أبى حاتم – كما فى تفسير ابن كثير ٣٤٦/٥– ، وأبو نعيم فى الحلية ١/ ٢٠، وابن عساكر فى تاريخه ١٩١/٦ من طريق إسماعيل به .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا يعقوبُ ، عن جعفرٍ ، عن سعيدٍ ، قال : لمَّا أُلْقِى إبراهيمُ خليلُ اللَّهِ ﷺ فى النارِ ، قال المَلَكُ خازنُ المطرِ : ربِّ ، خليلُك إبراهيمُ ! رَجا أن يُؤْذَنَ له (١فيُمطِرَ عليه١) ، قال : فكان أمرُ اللَّهِ أسرعَ مِن ذلك فقال : ﴿ يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ . فلم يَبْقَ فى الأرضِ نارٌ إلا طُفِئَت[٢] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن مُغيرةَ ، عن الحارثِ ، عن أبى زُرْعةَ ، عن أبى هريرةَ ، قال : إن أحسنَ شىءٍ قاله أبو إبراهيمَ لمَّا رَفَع عنه الطَّبَقَ وهو فى النارِ ، وجَدَه يرشَحُ جبينُه ، فقال عندَ ذلك : نِعْمَ الربُّ ربُّك يا إبراهيمُ[٣] .

/حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال : أخبرَنى وهبُ بنُ سليمانَ ، عن شعيبٍ الجَبَائىِّ ، قال : أُلْقِى إبراهيمُ فى النارِ وهو ابنُ ستَّ عَشْرةَ سنةً ، وذُبِح إسحاقُ[٤] وهو ابنُ سبعِ[٥] سنينَ ، ووَلَدَته سارةُ وهى ابنةُ تسعين سنةً ، وكان مذبحُه مِن بيتِ إيلياءَ على ميلَين ، ولما عَلِمت سارةُ بما أراد بإسحاقَ بُطِنت يومين ، وماتَت اليومَ الثالثَ[٦] . ٤٥/١٧

قال ابنُ جريجٍ : قال كعبُ الأحبارِ : ما أحرقَتِ النارُ مِن إبراهيمَ شيئًا غيرَ وَثاقِه الذى أوثَقوه به .

(١ - ١) فى م ، والدر المنثور : « فيرسل المطر » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٢٢ إلى المصنف .

(٣) أخرجه المصنف فى تاريخه وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٢٣ إلى ابن أبى حاتم .

(٤) الصحيح أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام ، وينظر تعليقنا فى تفسير الآية (١٠٧) من سورة الصافات .

(٥) فى علل أحمد : « تسع » .

(٦) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٢٤٩، وأخرجه أحمد فى العلل - رواية عبد الله - ١/ ١٠١، ١٠٢، وهو فى عرائس المجالس ص٦٨ من قول الشعبى .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا معتمرُ بنُ سليمانَ التَّيْمِيُّ ، عن بعضِ أصحابِه ، قال : جاء جبريلُ إلى إبراهيمَ عليهما السلامُ وهو يُوثَقُ ، أو يُقَمَّطُ ، ليُلقَى فى النارِ ، قال : يا إبراهيمُ ألك حاجةٌ ؟ قال : أمَّا إليك فلا[(١)] .

قال : ثنا معتمرٌ ، قال : ثنا ابنُ كعبٍ ، عن أرقمَ ، أن إبراهيمَ قال حينَ جَعَلوا يُوثِقونه ليُلْقُوه فى النارِ : لا إلهَ إلا أنت سبحانَك ربُّ العالمين ، لك الحمدُ ، ولك الملكُ لا شريكَ لك[(٢)] .

قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن أبى جعفرٍ الرازىِّ ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا ﴾ . قال : السلامُ لا يُؤْذِيه بَرْدُها ، ولولا أنه قال : ﴿ وَسَلَـٰمًا ﴾ لكان البَرْدُ أشدَّ عليه [(٣]مِن الحرِّ[٣)(٢)] .

قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ قولَه : ﴿ بَرْدًا ﴾ . قال : فبَرَدَتْ عليه ، ﴿ وَسَلَـٰمًا ﴾ لا يُؤْذِيه .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ . قال : قال كعبٌ : ما انتفَعَ أحدٌ مِن أهلِ الأرضِ يومَئذٍ بنارٍ ، ولا أحرقَتِ النارُ يومَئذٍ شيئًا إلا وَثاقَ إبراهيمَ .

وقال قتادةُ : لم تأتِ يومَئذٍ دابةٌ إلا أطفأتْ عنه النارَ ، إلا الوَزَغَ[(٣)] .

---

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٢٤٣.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/ ٣٢٣ إلى المصنف .

(٣ - ٣) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ف .

(٤) الوزغة : سام أبرص ، والجمع وزغ . اللسان (و ز غ)

والأثر أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/ ٢٤ ، ٢٥ عن معمر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/ ٣٢٢ إلى عبد بن حميد .

وقال الزهرىُّ: أَمَر النبىُّ ﷺ بقَتْلِه، وسَمَّاه فُوَيسِقًا[١].

وقولُه: ﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا﴾. يقولُ تعالى ذكرُه: وأرادوا بإبراهيمَ كَيْدًا، ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾. يعنى: الهالِكين.

وقد حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنى حجاجٌ، عن ابنِ جريجٍ: ﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾. قال: أَلْقَوا شيخًا منهم فى النارِ؛ لأَنْ يُصِيبوا نَجاتَه، كما نجَا إبراهيمُ عليه السلامُ، فاحْتَرَق[٢].

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾﴾.

يقولُ تعالى ذكرُه: ونَجَّينا إبراهيمَ ولوطًا مِن أعدائِهما؛ نُمْرودَ وقومِه، مِن أرضِ العراقِ [٢/٣٨٣و] ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ / ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ وهى أرضُ الشامِ، ١٧/٤٦
فارَق صلواتُ اللَّهِ عليه قومَه ودينَهم وهاجَر إلى الشامِ.

وهذه القصةُ التى قَصَّ اللَّهُ مِن نَبَأِ إبراهيمَ وقومِه، تذكيرٌ منه بها قومَ محمدٍ ﷺ مِن قريشٍ أنهم قد سَلَكوا فى عبادتِهم الأوثانَ وأَذَاهم محمدًا على نَهْيِه عن عبادتِها[٣]، ودُعائِهم إلى عبادةِ اللَّهِ مُخْلِصين له الدينَ - مَسْلكَ[٤] أعداءِ أبيهم إبراهيمَ[٤]، ومُخالفتَهم دينَه، وأن محمدًا فى[٥] براءتِه مِن عبادتِها،

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢٥ عن معمر به.

(٢) سقط من: ص، ت ١، ت ٢، ف.
والأثر عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٢٣ إلى المصنف.

(٣) فى ص، ت ٢، ف: «عبادته».

(٤ - ٤) فى ص، ت ١، ت ٢، ف: «أعدائهم».

(٥) فى ص، ت ١، ت ٢، ف: «من».

وإخْلاصِه[١] العبادةَ للَّهِ، وفى دُعائِهم إلى البراءةِ مِن الأصنامِ، وفى الصَّبْرِ على ما يَلْقَى منهم فى ذلك - سالكٌ مِنْهاجَ أبيه إبراهيمَ، وأنه مُخْرِجُه مِن بينِ أظْهُرِهم، كما أخرجَ إبراهيمَ مِن بينِ أظْهُرِ قومِه، حينَ[٢] تَمادَوا فى غَيِّهم، إلى مُهاجَرِه مِن أرضِ الشامِ، ومُسَلٍّ بذلك نبيَّه محمدًا ﷺ عما يَلْقَى مِن قومِه مِن المَكْروهِ والأذَى، ومُعْلِمُه أنه مُنَجِّيه منهم، كما نَجَّى أباه إبراهيمَ مِن كَفَرةِ قومِه.

وقد اختلفَ أهلُ التأويلِ فى الأرضِ التى ذَكَر اللَّهُ أنه نَجَّى إبراهيمَ ولوطًا إليها، ووَصْفِه أنه بارَك فيها للعالمين؛ **فقال بعضُهم** بنحوِ الذى قُلنا فى ذلك.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا الحسينُ[٣] بنُ حُرَيثٍ المَرْوَزِىُّ أبو عمارٍ، قال: ثنا الفضلُ بنُ موسى، عن الحسينِ بنِ واقدٍ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ، عن أبى العاليةِ، عن أُبَىِّ بنِ كعبٍ: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾. قال: الشامُ، وما مِن ماءٍ عَذْبٍ إلا خَرَج مِن تلك الصخرةِ التى ببيتِ المقدسِ[٤].

حدَّثنا ابنُ بشارٍ، قال: ثنا أبو أحمدَ، قال: ثنا سفيانُ، عن فُراتٍ القَزَّازِ، عن الحسنِ فى قولِه: ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾. قال: الشامُ[٥].

---

(١) فى ص، ت١، ت٢، ت٣، ف: «إصلاحه».

(٢) فى ص، ت٢، ف: «حتى».

(٣) فى ت ١، ت ٢، ف: «الحسن». وينظر تهذيب الكمال ٦/ ٣٥٨.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ١/ ١٤٠ من طريق أبى عمار به، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/ ٣٢٣ إلى ابن أبى حاتم.

(٥) تقدم تخريجه فى ١٠/ ٤٠٥.

حدَّثنا بِشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ : كانا بأرضِ العراقِ ، فأُنْجِيا إلى أرضِ الشامِ ، وكان يقالُ للشامِ : عمادُ[1] دارِ الهجرةِ ، وما نَقَص مِن الأرضِ زِيد فى الشامِ ، وما نَقَص مِن الشامِ زِيد فى فِلَسْطينَ ، وكان يقالُ : هى أرضُ المحشرِ والمَنْشَرِ ، وبها مَجْمَعُ الناسِ ، وبها ينزلُ عيسى ابنُ مريمَ ، وبها يُهْلِكُ اللَّهُ مسيحَ[2] الضلالةِ الكذَّابَ الدَّجَّالَ[3] .

وحدَّثنا أبو قِلَابةَ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « رأيتُ فيما يَرَى النائمُ كأن الملائكةَ حَمَلَت عَمُودَ الكتابِ فوَضَعَته بالشامِ ، فأَوَّلْتُه أن الفِتَنَ إذا وَقَعَت فإن الإيمانَ بالشامِ »[4] .

وذُكِر لنا أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال ذاتَ يومٍ فى خُطْبتِه : « إنَّه كائِنٌ بالشامِ جُنْدٌ ، وبالعراقِ جُنْدٌ ، وباليمنِ جندٌ » . فقال رجلٌ : يا رسولَ اللَّهِ ، خِرْ لى . فقال : « عليك بالشامِ ، فإنَّ اللَّهَ قد تَكَفَّلَ لى بالشامِ وأهْلِه ، فمَنْ أبَى فَلْيَلْحَقْ بيمنِه[5] وَلْيَسْتقِ بغُدُرِه[6] » .

---

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ف : « أعقاب » .

(٢) فى ص ، ت١ : « مسيخ » ، وفى م ، ف ، والدر المنثور : « شيخ » .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ١/١٨١ من طريق سعيد وخليد به وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٢٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ١/١١٠ من طريق أبى قلابة عن عبد الله بن عمرو به . وأخرجه فى ١/١٠١ - ١١٣ من طرق عن عبد الله بن عمرو وأبى الدرداء وعمرو بن العاص وعمر بن الخطاب وأبى أمامة وعائشة وعبد الله بن حوالة .

(٥) فى النسخ : « بأمنه » . والمثبت من مصادر التخريج .

(٦) فى م : « بقدره » . والغُدُر جمع غدير ، وهو النهر الصغير .

والحديث أخرجه الطبرانى فى الأوسط (٣٨٥١) ، وفى مسند الشاميين ١/٢٢٨ من حديث عبد الله بن عمر . وأخرجه فى الكبير ٢٢/٥٥ ، ١٣٠ ، ٥٨ ، ١٣٧ ، ١٣٨) من حديث واثلة بن الأسقع ، وأخرجه فى =

وذُكِر لنا أن عمرَ بنَ الخطابِ رضِى اللَّهُ عنه قال : يا كعبُ ، ألا تَتَحوَّلُ إلى المدينةِ ؛ فإنها مُهاجَرُ رسولِ اللَّهِ ﷺ وموضعُ قبرِه ؟ فقال له كعبٌ : يا أميرَ المؤمنين ، إنى أجِدُ فى كتابِ اللَّهِ المُنَزَّلِ ، أن الشامَ كَنْزُ اللَّهِ مِن أرضِه ، وبها كنزُه مِن عبادِه[1] .

/حدَّثنا الحسنُ ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾ . قال : هاجَرا جميعًا من كُوثَى[2] إلى الشامِ[3] . ٤٧/١٧

حدَّثنا موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ ، قال : انطَلَق إبراهيمُ ولوطٌ قِبَلَ الشامِ ، فلَقِىَ إبراهيمُ سارةَ ، وهى بنتُ ملكِ حَرَّانَ ، وقد طَعَنَت على قومِها فى دينِهم ، فتَزَوَّجها على ألَّا يُغَيِّرَها[4] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : خَرَج إبراهيمُ مُهاجِرًا إلى ربِّه ، وخَرَج معه لوطٌ مُهاجِرًا ، وتَزوَّج سارةَ ابنةَ عمِّه ، فخَرج بها معه يَلْتَمِسُ الفِرارَ بدينِه والأمانَ على عبادةِ ربِّه ، حتى نَزَل حَرَّانَ ، فمكَث فيها ما شاء اللَّهُ أن يَمْكُثَ ، ثم خَرَج منها مُهاجِرًا حتى قَدِمَ مصرَ ، ثم خَرَج مِن مصرَ إلى الشامِ ، فنَزَل السَّبْعَ مِن أرضِ فِلَسطينَ ، وهى بَرِّيَّةُ الشامِ ، ونَزل لوطٌ

= مسند الشاميين ١/ ٢٩٢، ٥٧٠، ٢/ ١٠٥٤، والحاكم ٤/ ٥١٠ من حديث عبد الله بن حوالة . وأخرجه ابن عساكر فى تاريخه ١/ ٥٦ - ٨٣ من طرق عن عبد الله بن حوالة وعبد الله بن عمر وواثلة بن الأسقع وعبد الله بن الأسقع وأبى الدرداء والعرباض بن سارية .

(١) أخرجه معمر فى جامعه (٢٠٤٥٩) ، والبغوى فى تفسيره ٥/ ٣٢٩ وابن عساكر فى تاريخه ١/ ١٢١، ١٢٢ من طرق عن عمر .

(٢) كُوثَى : موضع بسواد العراق فى أرض بابل . معجم البلدان ٤/ ٣١٧.

(٣) تفسير عبد الرزاق ٢/ ٣٠.

(٤) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٢٤٤. وقال ابن كثير فى تفسيره ٥/ ٣٤٧: وهو غريب ، والمشهور أنها ابنة عمه .

بالمؤتفكةِ، وهى مِن السَّبْعِ على مسيرةِ يومٍ وليلةٍ، أو أقربَ مِن ذلك، فبَعَثَه اللَّهُ نبيًّا ﷺ[(١)].

حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنى حجاجٌ، عن ابنِ جريجٍ قولَه: ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ﴾. قال: نَجَّاه مِن أرضِ العراقِ إلى أرضِ الشامِ.

قال: ثنى حجاجٌ، عن أبى جعفرٍ الرازىِّ، عن الربيعِ، عن أبى العاليةِ أنه قال فى هذه الآيةِ: ﴿بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ﴾. قال: ليس ماءٌ عذبٌ إلا يَهْبِطُ إلى الصخرةِ التى ببيتِ المقدسِ. قال: ثم يَتفرَّقُ فى الأرضِ[(٢)].

حدَّثنى يونسُ، [٢/٣٨٣ظ] قال: أخبَرنا ابنُ وهبٍ، قال: قال ابنُ زيدٍ فى قولِه: ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ﴾. قال: إلى الشامِ.

وقال آخرون: بل يعنى مكةَ، وهى الأرضُ التى قال اللَّهُ تعالى: ﴿ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ﴾.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابنِ عباسٍ قولَه: ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ﴾: يعنى مكةَ، ونُزُولَ إسماعيلَ البيتَ، ألَا تَرى أنه يقولُ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ

---

(١) تقدم أوله فى ص ٢٩٧.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٢٣ إلى عبد بن حميد.

بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[١] [آل عمران: ٩٦].

قال أبو جعفر: وإنما اخترنا ما اخترنا مِن القولِ فى ذلك لأنه لا خلافَ بينَ جميعِ أهلِ العلمِ أن هجرةَ إبراهيمَ مِن العراقِ كانت إلى الشامِ، وبها كان مُقامُه أيامَ حياتِه، وإن كان قد كان قَدِم مكةَ، وبَنَى بها البيتَ، وأسْكَنَها إسماعيلَ ابنَه مع أمِّه هاجرَ، غيرَ أنه لم يُقِمْ بها، ولم يَتَّخِذْها وَطَنًا لنفسِه، ولا لوطٌ، واللَّهُ إنما أخبَر عن إبراهيمَ ولوطٍ أنهما أُنجيا[٢] إلى الأرضِ التى بارك[٣] فيها للعالمين.

٤٨/١٧ /**القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى**: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾.

يقولُ تعالى ذكرُه: ووَهَبْنا لإبراهيمَ إسحاقَ ولدًا، ويعقوبَ ولدَ ولدِه، نافلةً له[٤].

واختلَف أهلُ التأويلِ فى المعنىِّ بقولِه: ﴿ نَافِلَةً ﴾؛ **فقال بعضُهم**: عَنَى به يعقوبَ خاصةً.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابنِ عباسٍ قولَه: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾. يقولُ: وَوَهَبْنا

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٥/ ٣٤٧.

(٢) فى م، ت ١: «أنجاهما»، وفى ص، ف: «أنجاه».

(٣) فى ص، ت ١، ت ٢، ف: «باركنا».

(٤) فى م: «لك».

له إسحاقَ ولدًا، ويعقوبَ ابنَ ابنٍ، نافلةً[١].

حدَّثنا بِشرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ قولَه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾: والنافلةُ ابنُ ابنِه يعقوبُ[٢].

حدَّثني يونسُ، قال: أخبَرنا ابنُ وهبٍ، قال: قال ابنُ زيدٍ في قولِه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾. قال: سأل واحدًا فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠]. فأعْطاه واحدًا، وزادَه يعقوبَ، ويعقوبُ ولدُ ولدِه.

وقال آخرون: بل عنَى بذلك إسحاقَ ويعقوبَ. قالوا: وإنما معنى النافلةِ: العَطِيَّةُ، وهما جميعًا مِن عطاءِ اللَّهِ أعْطاهما إياه.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ بشارٍ، قال: ثنا عبدُ الرحمنِ، قال: ثنا سفيانُ، عن ابنِ جُرَيجٍ، عن عطاءٍ في قولِه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾. قال: عَطِيَّةً[٣].

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو، قال: ثنا أبو عاصمٍ، قال: ثنا عيسى، **وحدَّثني** الحارثُ، قال: ثنا الحسنُ، قال: ثنا ورقاءُ، جميعًا عن ابنِ أبي نجيحٍ، عن مجاهدٍ في قولِه: ﴿إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾. قال: عَطاءً[٤].

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/٣٢٣ إلى المصنف.

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره ٥/٣٤٨.

(٣) تفسير سفيان ص ٢٠٢.

(٤) تفسير مجاهد ص٤٧٣، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/٣٢٣ إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر.

حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنى حجاجٌ، عن ابنِ جُرَيجٍ، عن مجاهدٍ مثلَه.

قال أبو جعفرٍ رحِمه اللَّهُ: وقد بَيَّنا فيما مضَى قبلُ، أن النافلةَ: الفضلُ مِن الشيءِ، يصيرُ إلى الرجلِ مِن أىِّ شيءٍ كان ذلك[1]، وكِلَا وَلدَيه إسحاقَ ويعقوبَ كان فضلًا مِن اللَّهِ تَفَضَّل به على إبراهيمَ، وهِبةً منه له. وجائزٌ أن يكونَ عنَى به أنه آتاهما إياه جميعًا نافلةً منه له، وأن يكونَ عنَى أنه آتاه نافلةً يعقوبَ. ولا برهانَ يَدُلُّ على أىِّ ذلك المرادُ مِن الكلامِ، فلا شيءَ أوْلَى أن يقالَ فى ذلك مما قال اللَّهُ: ووَهَب اللَّهُ لإبراهيمَ إسحاقَ ويعقوبَ نافلةً.

وقولُه: ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾. [2]يقولُ: وكلَّهم جعَلنا صالحين[2]. يعنى: عامِلِين بطاعةِ اللَّهِ، مُجْتَنِبِين محارمَه.

وعنَى بقولِه: ﴿وَكُلًّا﴾: / إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ. ٤٩/١٧

وقولُه: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾. يقولُ تعالى ذكرُه: وجعَلنا إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ أئمةً يُؤْتَمُّ بهم فى الخيرِ فى طاعةِ اللَّهِ فى اتِّباعِ أمْرِه ونَهْيِه، ويُقْتدَى بهم ويُتَّبعون عليه.

كما حدَّثنا بشرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ قولَه: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾: جَعَلهم اللَّهُ أئمةً يُقْتدَى [٢/٣٨٤و] بهم فى أمرِ اللَّهِ[3].

وقولُه: ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾. يقولُ: يَهْدُون الناسَ بأمرِ اللَّهِ إيَّاهم بذلك، ويَدْعُونهم إلى اللَّهِ وإلى عبادتِه.

---

(١) ينظر ما تقدم فى ١١/ ١٠.

(٢ - ٢) سقط من: م، ف.

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٢٣ إلى المصنف وابن المنذر وابن أبى حاتم.

وقولُه : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : وأَوْحَينا فيما أوحَينا : أن افْعَلوا الخيراتِ ، وأقِيموا الصلاةَ بأمْرِنا بذلك . ﴿ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾ . يقولُ : كانوا لنا خاشِعين ، لا يَسْتَكْبِرون عن طاعتِنا وعبادتِنا .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : وآتَينا لوطًا حُكْمًا ، وهو فَصْلُ القضاءِ بينَ الخصومِ . ﴿ وَعِلْمًا ﴾ . يقولُ : وآتَيناه أيضًا عِلْمًا بأمْرِ دينِه ، وما يجبُ عليه للَّهِ مِن فرائضِه .

وفى نَصْبِ « لوطٍ » **وجهان** ؛ **أن يُنْصَبَ** لتعلُّقِ الواوِ بالفعلِ ، كما قلنا : وآتَينا لوطًا . **والآخرُ** ، بمضمرٍ بمعنى : واذكُرْ لوطًا .

وقولُه : ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ ﴾ . يقولُ : ونَجَّيناه مِن عذابِنا الذى أحْلَلْناه بأهلِ القريةِ التى كانت تعملُ الخبائثَ ، وهى قريةُ سَدُومَ التى كان لوطٌ بُعِث إلى أهلِها ، وكانت الخبائثُ التى يَعْمَلونها ؛ إتيانَ الذُّكرانِ فى أدْبارِهم ، وحَذْفَهم[1] الناسَ ، وتَضارُطَهم فى أنديتِهم ، مع أشياءَ أُخَرَ كانوا يَعْمَلونها مِن المُنكرِ ، فأخرَجَه اللَّهُ حينَ أراد إهلاكَهم إلى الشامِ .

كما **حدَّثنا** موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ ، قال : أخرَجهم اللَّهُ - يعنى لوطًا وابنتَيه ريثا وزغرتا[2] - إلى الشامِ حينَ أرادَ إهلاكَ قومِه[3] .

وقولُه : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴾ . مُخالِفين أمرَ اللَّهِ ، خارِجين عن طاعتِه وما يَرْضَى من العملِ .

---

(١) فى م : « خذفهم » .

(٢) فى م : « زعرثا » .

(٣) تقدم تخريجه فى ١٢/ ٤٩٧ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى: ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

يقولُ تعالى ذكرُه: وأدْخَلْنا لوطًا فى رحمتِنا بإنجائِنا إياه مما أحْلَلْنا بقومِه مِن العذابِ والبلاءِ، وإنقاذِناه منه ﴿إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾. يقولُ: إن لوطًا مِن الذين كانوا يَعْمَلون بطاعتِنا، ويَنْتَهُون إلى أمرِنا ونَهْيِنا، ولا يَعْصُونَنا.

/ وكان ابنُ زيدٍ يقولُ فى معنى قولِه: ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ﴾ ما **حدَّثنى** ٥٠/١٧
يونسُ، قال: أخبَرنا ابنُ وهبٍ، قال: قال ابنُ زيدٍ فى قولِه: ﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ﴾. قال: فى الإسلامِ.

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

يقولُ تعالى ذكرُه: واذكُرْ يا محمدُ نوحًا إذ نادَى ربَّه مِن قبلِك، ومِن قبلِ إبراهيمَ ولوطٍ، وسَأَلَنا أن نُهلِكَ قومَه الذين كذَّبوا اللَّهَ فيما تَوَعَّدَهم به مِن وَعيدِه، وكذَّبوا نوحًا فيما أتاهم به مِن الحقِّ مِن عندِ ربِّه وقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]. فاسْتَجَبنا له دعاءَه. ﴿فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ﴾. يعنى بـ «أهلِه» أهلَ الإيمانِ به مِن ولدِه وحَلائِلِهم، ﴿مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾. يعنى بـ «الكَرْبِ العظيمِ»: العذابَ الذى حَلَّ[1] بالمُكذِّبين مِن الطوفانِ والغَرَقِ.

والكَرْبُ شدَّةُ الغَمِّ، يقالُ منه: قد كَرَبَنى هذا الأمرُ، فهو يَكْرُبُنى كَرْبًا.

وقولُه: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾. يقولُ: ونَصَرْنا نوحًا

(١) فى ص، م، ت ٢، ف: «أحل».

على القومِ الذين كذَّبوا بحُجَجِنا وأدلتِنا، فأنْجَيناه منهم، فأغْرَقْناهم أجمعين ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ﴾. يقولُ تعالى ذكرُه: إن قومَ نوحٍ الذين كذَّبوا بآياتِنا كانوا قومَ سَوْءٍ، يُسِيئُون الأعمالَ، فيَعْصُون اللَّهَ، ويُخالِفون أمرَه.

القولُ في تأويلِ قولِه تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾.

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ: واذكُرْ داودَ وسليمانَ يا محمدُ إذ يَحْكُمان فى الحرْثِ.

واختلَف أهلُ التأويلِ فى ذلك الحرْثِ، ما كان؟ **فقال بعضُهم:** كان نَبْتًا.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ بشارٍ، قال: ثنا عبدُ الرحمنِ، قال: ثنا سفيانُ، عن (١أبى إسحاقَ١)، عن مُرَّةَ فى قولِه: ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ﴾. قال: كان الحرثُ نَبْتًا(٢).

حدَّثنا بشرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ، قال: ذُكِر لنا أن غَنَمَ القومِ وَقَعَت فى زَرْعٍ لَيْلًا(٣).

وقال آخرون: بل كان ذلك الحرْثُ كَرْمًا.

(١ - ١) فى ص، م: «ابن إسحاق». وتقدم مرارًا.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور، وهو فى تفسير سفيان ص ٢٠٢ عن أبى إسحاق، عن مرة، عن مسروق قال: الحرث عنب.

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٢٤ إلى المصنف.

/ ذكرُ مَن قال ذلك ٥١/١٧

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا المحاربيُّ ، عن أشعثَ ، عن أبى إسحاقَ ، عن مرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ فى قولِه : ﴿ وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ ﴾ . قال : كَرْمٌ قد أنبتَتْ عناقيدُه[1] .

حدَّثنا تميمُ بنُ المنتصرِ ، قال : أخبرَنا إسحاقُ عن شَريكٍ ، عن أبى إسحاقَ ، عن مسروقٍ ، عن شُريحٍ ، قال : كان الحرثُ كَرْمًا[2] .

قال أبو جعفرٍ : وأولَى الأقوالِ فى ذلك بالصوابِ ما قال اللَّهُ تباركَ وتعالَى : ﴿ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ ﴾ . والحرثُ إنما هو حَرْثُ الأرضِ ، وجائزٌ أن يكونَ ذلك كان زَرْعًا ، وجائزٌ أن يكونَ كان[3] غَرْسًا ، وغيرُ ضائرٍ الجهلُ بأىِّ ذلك كان .

وقولُه : ﴿ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ ﴾ . يقولُ : حينَ دخلَتْ فى هذا الحرْثِ غنَمُ القومِ الآخرين من غيرِ أهلِ الحرْثِ ليلًا ، فرَعَتْه و[4] أفْسَدْته . ﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴾ . يقولُ : وكنا لحكْمِ[5] داودَ وسليمانَ والقومِ الذين حكَم بينَهم فيما أفسَدتْ غنَمُ أهلِ الغنَمِ مِن حرْثِ أهلِ الحرثِ - شاهدِين لا يخفَى علينا منه شىءٌ ، ولا يغيبُ عنا علْمُه .

وقولُه : ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ﴾ . يقولُ : ففهَّمنا القضيةَ فى ذلك سُلَيْمانَ دونَ

---

(١) أخرجه الحاكم ٢/ ٥٨٨- ومن طريقه البيهقى ١٠/ ١١٨، وابن عساكر فى تاريخه ٢٢/ ٢٣٤ - من طريق المحاربى به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/ ٣٢٤ إلى ابن مردويه .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٥/ ٣٤٦، وينظر ص ٣٢٤.

(٣) سقط من : م .

(٤) فى ص ، م ، ت ١ : « أو » .

(٥) فى ت ٢ : « لحكمهم » .

داودَ ، ﴿ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ . يقولُ : وكلَّهم من داودَ وسليمانَ والرسلِ الذين ذكرهم فى أوّلِ هذه السورةِ ﴿ ءَاتَيْنَا حُكْمًا ﴾ ، وهو النبوَّةُ ، ﴿ وَعِلْمًا ﴾ . يعنى : وعلْمًا بأحكامِ اللَّهِ .

وبنحوِ الذى قلنا فى تأويلِ ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أبو كريبٍ وهارونُ بنُ إدريسَ الأصمُّ ، قالا : ثنا المحاربىُّ ، عن أشعثَ ، عن أبى إسحاقَ ، عن مرَّةَ ، عن ابنِ مسعودٍ فى قولِه : ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ ﴾ . قال : كَرْمٌ قد أنبتَت عناقيدُه فأفسَدته . قال : فقضَى داودُ بالغنمِ لصاحبِ الكرْمِ ، فقال سليمانُ : غيرَ هذا يا نبىَّ اللَّهِ . قال : وما ذاكَ ؟ قال : يُدفَعُ الكرْمُ إلى صاحبِ الغنمِ ، فيقومُ عليه حتى يعودَ كما كان ، وتُدفَعُ الغنمُ إلى صاحبِ الكرْمِ فيُصيبُ منها ، حتى إذا كان الكرْمُ كما كان ، دفَعتَ الكرمَ إلى صاحبِه ، ودفَعتَ الغنمَ إلى صاحبِها . فذلك قولُه : ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ﴾[1] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ ﴾ إلى قولِه : ﴿ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴾ . يقولُ : كنا لما حكَما شاهدين ؛ وذلك أن رجُلين دخَلا على داودَ ، أحدُهما صاحبُ حرْثٍ ، والآخرُ صاحبُ غنَمٍ ، فقال صاحبُ الحرْثِ : إن هذا أرسَل غنَمَه فى حَرْثِى ، فلم يُبْقِ من حَرْثِى شيئًا . فقال له داودُ : اذهَبْ فإن الغنَمَ كلَّها لك . فقضَى بذلك داودُ ، ومَرَّ صاحبُ الغنَمِ بسليمانَ ، فأخبرَه بالذى قضَى به داودُ ، فدخَل سليمانُ على داودَ ، فقال : يا نبىَّ اللَّهِ ، إن القضاءَ سِوى الذى قضَيْتَ . فقال : كيف ؟ قال / سليمانُ : إن الحرْثَ لا يَخْفَى ٥٢/١٧

(١) تقدم تخريجه فى الصفحة السابقة .

على صاحبِه ما يخرُجُ منه فى كُلِّ عامٍ ، فله من صاحبِ الغنَمِ أن يبيعَ[١] من أولادِها وأصوافِها وأشعارِها حتى يستوفِىَ ثمنَ الحرْثِ ، فإن الغنَمَ لها نَسْلٌ فى كلِّ عامٍ . فقال داودُ : قد أصَبْتَ ، القضاءُ كما قضيْتَ . ففهَّمَها اللَّهُ سليمانَ[٢] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ ، عن علىِّ ابنِ زيدٍ ، قال : ثنى خليفةُ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قضَى داودُ بالغنَمِ لأصحابِ الحرْثِ ، فخرَج الرِّعاءُ[٣] معهم الكلابُ ، فقال سليمانُ : كيف قضَى بينَكم[٤] ؟ فأخبرَوه ، فقال : لو وافيْتُ أمرَكم[٥] لقضَيْتُ بغيرِ هذا . فأُخبِر بذلك داودُ ، فدعاه فقال : كيف تقضِى بينَهم ؟ قال : أَدْفَعُ الغنَمَ إلى أصحابِ الحرْثِ ، فيكونُ لهم أولادُها وألبانُها وسِلاؤُها[٦] ومنافعُها ، ويَذُرُ أصحابُ الغنَمِ لأهلِ الحرْثِ مثلَ حرْثِهم ، فإذا بلَغ الحرْثُ الذى كان عليه ، أخَذ أصحابُ الحرْثِ الحرْثَ ، وردُّوا الغنَمَ إلى أصحابِها[٧] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسَى ، قال : ثنا ابنُ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ ﴾ . قال : أَعْطاهم داودُ رِقابَ الغنمِ بالحرْثِ ، وحكَم سليمانُ بجِزَّةِ[٨] الغنمِ وألبانِها لأهلِ

---

(١) فى ت ١، ت ٢: « يبتع » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٢٤/٤ إلى المصنف .

(٣) فى ص ، م ، ف : « الرعاة » .

(٤) فى ص ، ت ١، ف : « بينهم » ، وفى ت ٢: « معهم » .

(٥) فى ص ، ت ١، ت ٢: « أمرهم » .

(٦) السلاء : السَّمْن . تاج العروس (س ل أ) .

(٧) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣٤٩/٥ عن حماد بن سلمة ، عن على بن زيد به .

(٨) الجزة : صوف الشاة فى سنة . تاج العروس (ج ز ز) .

الحرثِ، وعليهم رِعايتُها على أهلِ الحرثِ، ويحرثُ لهم أهلُ الغنمِ حتى يكونَ الحرثُ كهيئتِه يومَ أُكِلَ، ثم يدفَعونَه إلى أهلِه، ويأْخُذونَ غنمَهم[1].

حدَّثني الحارثُ، قال: ثنا الحسنُ، قال: ثنى ورقاءُ، عن ابنِ أبى نجيحٍ، عن مجاهدٍ مثلَه.

حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنى حجاجٌ بنحوِه، إلا أنه قال: وعليهم رَعْيُها[2].

حدَّثنا ابنُ بشارٍ، قال: [٢/٣٨٥و] ثنا عبدُ الرحمنِ، قال: ثنا سفيانُ، عن أبى[3] إسحاقَ، عن مُرَّةَ فى قولِه: ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾. قال: كان الحرثُ نبتًا، فنفَشَتْ فيه ليلًا، فاختَصَموا فيه إلى داودَ، فقضَى بالغنَمِ لأصحابِ الحرثِ، فمرُّوا على سليمانَ، فذكَروا ذلك له، فقال: لا، تُدفَعُ الغنمُ فيُصيبونَ منها - يعنى أصحابَ الحرثِ - ويقومُ هؤلاءِ على حَرْثِهم، فإذا كان كما كان، رَدُّوا عليهم. فنزلَت: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾[4].

حدَّثنا تميمُ بنُ المنتصرِ، قال: أخبرَنا إسحاقُ، عن شَريكٍ، عن أبى إسحاقَ، عن مَسروقٍ، عن شُريحٍ فى قولِه: ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾. قال: كان النفْشُ ليلًا، وكان الحرثُ كَرْمًا. قال: فجعَل داودُ الغنمَ لصاحبِ الكَرْمِ. قال: فقال سليمانُ: إن صاحبَ الكرْمِ قد بَقِى له أَصْلُ أَرْضِه، وأَصْلُ كَرْمِه، فاجْعَلْ له أصوافَها وألبانَها. قال: فهو قولُ اللَّهِ: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾[5].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى المصنف (١٨٤٣٥) عن ابن جريج، عن مجاهد.

(٢) فى ص، ت ١، ت ٢، ف: «رعيتها».

(٣) فى ص، م، ت ١: «ابن».

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٢٤ إلى المصنف.

(٥) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/ ٢٦، وفى المصنف (١٨٤٣٣) من طريق أبى إسحاق، عن مرة، عن مسروق من قوله، وهو فى تفسير مجاهد ص ٤٧٣ من طريق مرة، عن مسروق. وعزاه السيوطى فى الدر=

حدَّثنا ابنُ أبى زيادٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، قال : أخبرَنا إسماعيلُ ، عن عامرٍ ، قال : جاءَ رجُلانِ إلى شُرَيحٍ ، فقال أحدُهما : إن شاةَ[1] هذا قطَعتْ غَزْلًا لى . فقال شُريحٌ : نهارًا أم ليلًا[2] ؟ قال : فإن كان نهارًا فقد برِئ صاحبُ الشاةِ ، وإن كان ليلًا فقد ضَمِنَ . ثم قرأ : ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ ﴾ . قال : كان النفْشُ ليلًا[3] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا حكامٌ ، قال : ثنا إسماعيلُ بنُ أبى خالدٍ ، عن عامرٍ ، عن شُريحٍ بنحوِه .

حدَّثنى يعقوبُ ، قال : ثنا هُشيمٌ ، قال : أخبرَنا إسماعيلُ بنُ أبى خالدٍ ، عن الشعبىِّ ، عن شُريحٍ مثلَه .

/ حدَّثنا بِشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ ﴾ الآية : النفْشُ بالليلِ ، والهَمَلُ بالنهارِ . وذُكِر لنا أن غنَمَ القومِ وقَعتْ فى زَرْعٍ ليلًا ، فرُفِع ذلك إلى داودَ ، فقضَى بالغنمِ لأصحابِ الزرعِ ، فقال سليمانُ : ليس كذلك ، ولكن له نَسْلُها ورَسْلُها وعوارضُها[4] وجِزازُها ، حتى إذا كان من العامِ المقبلِ كهيئتِه يومَ أُكِلَ ، دُفِعت الغنمُ إلى رَبِّها ، وقبَض صاحبُ الزرعِ زَرْعَه . فقال اللَّهُ : ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ﴾[5] . ٥٣/١٧

= المنثور ٤/٣٢٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم .

(١) فى م : « شياه » .

(٢) بعده فى ت ١ : « قال كان نهارًا » .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٥/ ٣٥٠ عن المصنف ، وأخرجه وكيع فى أخبار القضاة ٢/ ٢٥٤، ٢٥٩- ومن طريقه ابن أبى شيبة ٩/ ٤٣٦- من طريق إسماعيل به . وأخرجه عبد الرزاق فى المصنف (١٨٤٣٩، ١٨٤٤٠) من طريق الشعبى به . وأخرجه وكيع فى ٢/ ٣٢١ من طريق أشعث بن أبى الشعثاء ، عن شريح بنحوه .

(٤) الرَّسَل : القطيع من كل شىء ، ويجمع على أرسال . والعوارض جمع العَرِيض ، وهو ما فوق الفطيم ودون الجَذَع من المعز . وقيل : هو الجدى إذا نزا . وقيل : هو الذى أتى عليه سنة وتناول الشجر والنبت ، ويجمع على عِرضان وعُرضان . اللسان (ع ر ض ، ر س ل) .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٢٤ إلى المصنف .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلَى، قال: ثنا ابنُ ثورٍ، عن معمرٍ، عن قَتادةَ والزُّهْرِيِّ: ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾. قال: نفشَت غنَمٌ فى حَرْثِ قومٍ. قال الزُّهْرِيُّ: والنفْشُ لا يكونُ إلا ليلًا. فقضَى داودُ أن يأخُذَوا الغنمَ، ففهَّمَها اللَّهُ سليمانَ. قال: فلما أُخبِر بقضاءِ داودَ، قال: لا، ولكن خُذوا الغنَمَ، فلكم ما خرَج مِن رَسَلِها وأولادِها وأصوافِها إلى الحولِ[1].

حدَّثنا الحسنُ، قال: أخبرَنا عبدُ الرزاقِ، عن معمرٍ، عن قتادةَ فى قولِه: ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾. قال: فى حَرْثِ قومٍ. قال معمرٌ: قال الزُّهْرِيُّ: النفْشُ لا يكونُ إلا بالليلِ، والهمَلُ بالنهارِ. قال قَتادةُ: فقضَى أن يأْخُذوا الغنمَ، ففهَّمها اللَّهُ سليمانَ. ثم ذكَر باقىَ الحديثِ نحوَ حديثِ ابنِ عبدِ الأعلَى[2].

حدَّثنى يونسُ، قال: أخبرَنا ابنُ وهبٍ، قال: قال ابنُ زيدٍ فى قولِه: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ الآيتَيْنِ. قال: انفلَتتْ غنمُ رجلٍ علَى حرْثِ رجلٍ فأكلَتْه، فجاءَ إلى داودَ، فقضَى فيها بالغنمِ لصاحبِ الحرْثِ بما أكَلَتْ، وكأنه رأَى أنه وَجْهُ ذاك، فمرُّوا بسليمانَ، فقال: ما قضَى بينَكم نبيُّ اللَّهِ؟ فأخبَروه، فقال: ألا أَقضى بينَكما بقضاءٍ[3] عسَى أن تَرضيا به؟ فقالا: نعَم. فقال: أما أنتَ يا صاحبَ الحرْثِ، فخُذْ غنمَ هذا الرجلِ فكنْ فيها كما كان صاحبُها، أَصِبْ من لبنِها وعارضَتِها وكذا وكذا ما كان يُصيبُ، واحْرُثْ أنت يا صاحبَ الغنمِ حَرْثَ هذا الرجلِ، حتى إذا كان حَرْثُه مثلَه ليلةَ نفَشَت فيه غنَمُك، فأعطِهْ حَرْثَه، وخُذْ غنَمَك. فذلك قولُ اللَّهِ تباركَ وتعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى المصنف (١٨٤٣٢) عن معمر، عن الزهرى.

(٢) تفسير عبد الرزاق ٢/ ٢٤.

(٣) سقط من: م.

يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ . وقرأ حتى بلَغ قولَه : ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن عطاءٍ الخُراسانيِّ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ . قال : رعَتْ[1] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : النفْشُ الرَّعيةُ تحتَ الليلِ .

قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن الزهريِّ ، عن حرامِ بنِ مُحَيِّصةَ بنِ مسعودٍ ، قال : دخَلت ناقةٌ للبراءِ بنِ عازبٍ حائطًا لبعضِ الأنصارِ فأفسَدتْه ، فرُفِع ذلك إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال : ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ﴾ . فقضَى على البراءِ بما أفسَدتِ الناقةُ ، وقال : « علَى أصحابِ الماشيةِ حِفْظُ الماشيةِ باللَّيْلِ ، وعلى أصحابِ الحوائطِ حِفْظُ حيطانِهم بالنَّهارِ » .

قال الزهريُّ : وكان قضاءُ داودَ وسليمانَ فى ذلك أن رجلًا دخَلت ماشيتُه زَرْعًا لرجلٍ فأفسَدتْه - ولا / يكونُ النُّفُوشُ إلا بالليلِ - فارتفَعا إلى داودَ ، فقضَى ٥٤/١٧
بغنمِ صاحبِ الغنمِ لصاحبِ الزرْعِ ، فانصرَفا ، فمرّا بسليمانَ ، فقال : بماذا قضَى بينَكما نبيُّ اللَّهِ ؟ فقالا : قضَى بالغنمِ لصاحبِ الزرعِ . فقال : إن الحُكمَ [٣٨٥/٢ظ] لعلى غيرِ هذا ، انصَرِفا معى . فأَتَى أباه داودَ فقال : يا نبيَّ اللهِ ، قضَيْتَ على هذا بغنَمِه لصاحبِ الزرْعِ ؟ قال : نعَم . قال : يا نبيَّ اللَّهِ ، إنَّ الحكْمَ لعلَى غيرِ هذا . قال : وكيف يا بُنَيَّ ؟ قال : تدفَعُ الغنمَ إلى صاحبِ الزرْعِ ، فيُصيبُ من ألبانِها

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٢٥/٤ إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم .

وسمونِها وأصوافِها ، وتدفَعُ الزرْعَ إلى صاحبِ الغنمِ يقومُ عليه ، فإذا عادَ الزرْعُ إلى حالِه التى أصابتْه الغنمُ عليها ، رُدَّتِ الغنمُ على صاحبِ الغنمِ ، ورُدَّ الزرْعُ على صاحبِ الزرْعِ . فقال داودُ : لا يقطَعُ اللَّهُ فَمَكَ . فقضَى بما قضَى سليمانُ . قال الزهرىُّ : فذلك قولُه : ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ ﴾ إلى قولِه : ﴿ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾[1]

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ وعلىُّ بنُ مجاهدٍ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، قال : فحدَّثنى من سمِع الحسنَ يقولُ : كان الحكْمُ بما قضَى به سليمانُ ، ولم يُعنِّفِ اللَّهُ داودَ فى حُكْمِه[2] .

وقولُه : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ﴾ . يقولُ تعالَى ذكرُه : وسخَّرْنا مع داودَ الجبالَ والطيرَ يُسبِّحْنَ معه إذا هو سَبَّح .

وكان قَتادةُ يقولُ فى معنَى قولِه : ﴿ يُسَبِّحْنَ ﴾ فى هذا الموضِعِ ما حدَّثنا به بِشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ قولَه : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ﴾ . أى : يُصلِّينَ مع داودَ إذا صَلَّى[3] .

وقولُه : ﴿ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ . يقولُ : وكنا قد قَضَينا أنَّا فاعِلُو ذلك ، ومُسَخِّرو الجبالِ والطيرِ فى أُمِّ الكتابِ مع داودَ عليه الصلاةُ والسلامُ .

---

(١) المرفوع أخرجه أحمد ٥/ ٤٣٥، ٤٣٦ (الميمنية) ، وأبو داود (٣٥٧٠) ، وابن ماجه (٢٣٣٢) من طريق الزهرى به . وأخرجه عبد الرزاق فى المصنف (١٨٤٣٨) - ومن طريقه أحمد ٥/٤٣٦ (الميمنية) ، وأبو داود (٣٥٦٩) - من طريق الزهرى ، عن حرام بن محيصة ، عن أبيه .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٢٥ إلى المصنف .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٢٦ إلى المصنف وعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبى الشيخ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم[1] مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

يقولُ تعالى ذكرُه: وعلَّمْنا داودَ صنعةَ لبوسٍ لكم.

واللَّبوسُ عندَ العربِ السِّلاحُ كُلُّه؛ دِرْعًا كان أو جَوْشَنًا[2] أو سَيْفًا أو رُمْحًا. يدُلُّ علَى ذلك قولُ الهُذَلِيِّ[3]:

ومعِى لَبُوسٌ للبَئِيسِ[4] كأنَّهُ رَوْقٌ بجَبْهَةِ ذِى نِعاجٍ مُجْفِلِ

وإنما يصِفُ بذلك رُمْحًا. وأما فى هذا الموضِعِ فإن أهلَ التأويلِ قالوا: عنَى الدُّرُوعَ.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بِشرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ قولَه: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ / لَّكُمْ﴾ الآية. قال: كانت قبلَ داودَ صفائحَ. قال: وكان أوّلَ ٥٥/١٧
من صنَع هذا الحلَقَ وسَرَدَه داودُ.

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلَى، قال: ثنا ابنُ ثورٍ، عن معمرٍ، عن قتادةَ: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾. قال: كانت صفائحَ، فأوّلُ من سَرَدَهَا وحَلَّقها داودُ عليه السلامُ[5].

---

(١) فى ص، ت ١، ت ٢، ف: «ليحصنكم». وهما قراءتان كما سيأتى فى الصفحة الآتية.

(٢) الجوشن: اسم الحديد الذى يلبس من السلاح. اللسان (ج ش ن).

(٣) هو أبو كبير عامر بن الحليس الهذلى، والبيت فى ديوان الهذليين ٢/ ٩٨.

(٤) فى م، ت ١، ت ٢، ف: «لِلَّبيس».

(٥) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/ ٢٧ عن معمر به، وهو تمام الأثر المتقدم فى الصفحة السابقة.

واختلَفت القرأةُ فى قراءةِ قولِه : (لِيُحْصِنَكُم) . فقرأَ ذلك أكثرُ قرأةِ الأمصارِ : (لِيُحْصِنَكُمْ) . بالياءِ[(١)] ، بمعنَى : ليُحصِنَكم اللَّبوسُ من بأْسِكم . ذَكَّروه لتذكيرِ « اللَّبوسِ » . وقرأ ذلك أبو جعفرٍ يزيدُ بنُ القعقاعِ : ﴿ لِتُحْصِنَكُم ﴾ بالتاءِ[(٢)] ، بمعنَى : لتُحصِنَكم الصنعَةُ . فأنَّث لتأْنيثِ الصنعَةِ . وقرأ شيبةُ بنُ نِصَاحٍ[(٣)] وعاصمُ بنُ أبى النَّجودِ : (لِنُحْصِنَكُمْ) بالنونِ[(٤)] ، بمعنَى : لنُحصِنَكم نحنُ من بأْسِكم .

قال أبو جعفرٍ : وأولَى القراءاتِ فى ذلك بالصوابِ عندى قراءةُ من قرأَه بالياءِ ؛ لأنها القراءةُ التى عليها الحجةُ مِن قرأةِ الأمصارِ ، وإن كانت القراءاتُ الثلاثُ التى ذكَرناها متقارباتِ المعانى ، وذلك أن الصَّنعَةَ هى اللَّبوسُ ، واللَّبوسَ هى الصنعةُ ، واللَّهُ هو المحصِنُ به من البأْسِ[(٥)] ، وهو المحصِنُ بتصييرِ اللَّهِ إياه كذلك . ومعنَى قولِه : (لِيُحْصِنَكُمْ) : ليُحرِزَكم . وهو من قولِه : قد أحصَن فلانٌ جاريتَه . وقد بيَّنا معنَى ذلك بشواهِدِه فيما مضَى قبلُ[(٦)] .

والبأْسُ : القتالُ . وعلَّمنا داودَ صنعةَ سلاحٍ لكم ليُحرِزَكم إذا لَبِستموه ، ولقِيتُم فيه أعداءَكم من القتلِ .

وقولُه : ﴿ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾ . يقولُ : فهل أنتم أيها الناسُ شاكِرُو اللَّهِ على

---

(١) هى قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو وحمزة والكسائى . السبعة لابن مجاهد ص ٤٣٠ .

(٢) هى قراءة ابن عامر وحفص عن عاصم . المصدر السابق .

(٣) فى ت ١، ف : « فصاح » ، وينظر غاية النهاية ١/ ٣٢٩.

(٤) هى رواية أبى بكر ورويس عن عاصم . النشر ٢/ ٢٤٣ . وتنظر قراءة شيبة فى تفسير القرطبى ١١/ ٣٢١، وذكرها فى البحر المحيط ٦/ ٣٣٢ بالتاء .

(٥) فى ص ، ت ١، ت ٢، ف : « الناس » .

(٦) ينظر ما تقدم فى ٦/ ٥٧٥.

نِعْمَتِه[1] عليكم بما علَّمكم من صَنْعةِ اللَّبوسِ المحصِنِ فى الحرْبِ ، وغيرِ ذلك من نعَمِه عليكم . يقولُ : فاشْكُرونى علَى ذلك .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ .

يقولُ تعالَى ذكرُه : وسخَّرْنا لِسليمانَ بنِ داودَ ﴿ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً ﴾ ، وعُصوفُها شِدَّةُ هبوبِها ، ﴿ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ ﴾ . يقولُ : تجرِى الريحُ بأمرِ سليمانَ ﴿ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ ﴾ . يعنى : إلى الشامِ ، وذلك أنها كانت تجرِى بسليمانَ وأصحابِه إلى حيثُ شاءَ سليمانُ ، ثم تعودُ به إلى منزلِه بالشامِ ، فلذلك قيلَ : ﴿ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ ﴾ .

كما **حدَّثنا** ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن بعضِ أهلِ العلمِ ، عن وهبِ بنِ منبهٍ ، قال : كان سليمانُ إذا خرَج إلى مجلسِه[٢/٣٨٦و] عكَفتْ عليه الطيرُ ، وقامَ له الجنُّ والإنسُ حتى يجلِسَ إلى سريرِه ، وكان امْرأً غزَّاءً ، قَلَّما يقعُدُ عن الغزوِ ، ولا يسمَعُ فى ناحيةٍ من الأرضِ بمَلِكٍ إلا أتاه حتى يُذِلَّه ، وكان فيما يزعُمونَ إذا أرادَ الغزوَ ، أمَر بعسْكرِه فضُرِب له بخشَبٍ ، ثم نُصِب له على الخشَبِ ، ثم حمَل عليه الناسَ والدوابَّ وآلةَ الحربِ كلَّها ، حتى إذا حمَل معه ما يريدُ ، أمَر العاصِفَ من الريحِ فدخَلت تحتَ ذلك /الخشبِ فاحتَملَته ، ٥٦/١٧ حتى إذا استقَلَّتْ أمَر الرُّخاءَ فمدَّتْه شهرًا فى رَوْحتِه وشهرًا فى غُدْوتِه إلى حيثُ أرادَ ، يقولُ اللَّهُ جلّ وعزّ : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ [ص : ٣٦] . وقال : ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ ﴾ [سبأ : ١٢] . قال : فذُكِر لى أن مَنزِلًا بناحيةِ دِجلةَ مكتوبٌ فيه كتابٌ ، كتَبه بعضُ صحابةِ سليمانَ ؛ إمّا من الجنِّ

---

(١) فى ت ١: « نعمه » .

وإمّا من الإنسِ : نحن نزَلْناه وما بنَيْناه ، ومَبْنيًّا وجَدناه ، غَدَونا من إصْطَخْرَ فقِلناه ، ونحن راحِلون منه إن شاءَ اللَّهُ قائلونَ الشامَ[1] .

حدثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً ﴾ إلى قولِه : ﴿ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴾ . قال : ورَّثَ اللَّهُ سليمانَ داودَ ، فورَّثَه نبوَّتَه ومُلكَه ، وزادَه على ذلك أن سخَّر له الريحَ والشياطينَ[2] .

حدثني يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ ﴾ . قال : عاصفةً شديدةً ، ﴿ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ ﴾ . قال : الشامُ .

واختلَفت القرأةُ في قراءةِ قولِه : ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ ﴾؛ فقرَأته عامةُ قرأةِ الأمصارِ : ﴿ ٱلرِّيحَ ﴾[3] . بالنصبِ على المعنى الذى ذكَرناه . وقرَأ ذلك عبدُ الرحمنِ الأعرجُ : (الريحُ) رفعًا[4] باللامِ[5] في « سليمانَ » ، على ابتداءِ الخبرِ عن أن لسليمانَ الريحَ .

قال أبو جعفرٍ : والقراءةُ التى لا أستجيزُ القراءةَ بغيرِها في ذلك ما عليه قرأةُ الأمصارِ ؛ لإجماعِ الحجَّةِ من القرأةِ عليه .

وقولُه : ﴿ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴾ . يقولُ : وكنا عالمين بأن في[6] فعْلِنا ما

---

(١) أخرجه المصنف في تاريخه ١/ ٤٨٦.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٢٧ إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم .

(٣) سقط من : م ، ف .

(٤) البحر المحيط ٦/ ٣٣٢.

(٥) في م : « بالكلام » .

(٦) سقط من : م .

فعَلنا لسليمانَ من تسخيرِنا له، وإعطائِنا ما أعطَيْناه من الملكِ - صلاحَ[1] الخَلْقِ، فعلى علْمٍ منا بموضِعِ ما فعَلنا به من ذلك فعَلنا ونحنُ عالمونَ بكلِّ شيءٍ، لا يخفَى علينا منه شيءٌ.

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾.

يقولُ تعالى ذكرُه: وسخَّرنا أيضًا لسليمانَ من الشياطينِ من يَغوصونَ له فى البحرِ، ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ﴾؛ من البنيانِ والتماثيلِ والمحاريبِ. ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ﴾. يقولُ: وكنا لأعمالِهم ولأعدادِهم حافظينَ، لا يئودُنا حفظُ ذلك كلَّه.

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾.

/يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ: واذكُرْ أيوبَ يا محمدُ إذ نادَى رَبَّه وقد ٥٧/١٧
مَسَّه الضرُّ والبلاءُ: ربِّ ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ - ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ﴾. يقولُ تعالى ذكرُه: فاستَجبنا لأيوبَ دعاءَه إذ نادانا، فكَشَفنا ما كان به مِن ضُرٍّ وبلاءٍ وجَهْدٍ.

وكان الضُّرُّ الذى أصَابه، والبلاءُ الذى نزَل به، امْتِحانًا من اللَّهِ له واخْتِبارًا.

وكان سببَ ذلك كما **حدَّثنى** محمدُ بنُ سَهْلِ بنِ عَسْكَرٍ البخارىُّ، قال: ثنا

---

١) فى م: «وصلاح».

إسماعيلُ بنُ عبدِ الكريمِ أبو[(١)] هشامٍ، قال: ثنى عبدُ الصمدِ بنُ مَعْقِلٍ، قال: سمِعتُ وهبَ بنَ منبِّهٍ يقولُ: كان بَدءُ أَمْرِ أيوبَ الصديقِ صلواتُ اللَّهِ عليه، أنه كان صابرًا، نِعْمَ العبدُ. قال وهبٌ: إن لجبريلَ بينَ يدي اللَّهِ مقامًا ليس لأحدٍ من الملائكةِ فى القُرْبةِ من اللَّهِ والفضيلةِ عندَه، وإن جبريلَ هو الذى يتلَقَّى الكلامَ، فإذا ذكَر اللَّهُ عبدًا بخيرٍ، تلقَّاه منه جبريلُ، ثم تلقَّاه ميكائيلُ، وحَوْلَه الملائكةُ المقرَّبونَ حافِّينَ من حولِ العرشِ، وشاعَ ذلك فى الملائكةِ المقرَّبينَ، صارتِ الصلاةُ على ذلك العبدِ من أهلِ السماواتِ، فإذا صلَّت عليه ملائكةُ السماواتِ هبطَت عليه بالصلاةِ إلى ملائكةِ الأرضِ، وكان إبليسُ لا[(٢)] يُحْجَبُ بشىءٍ من السماواتِ، وكان يقِفُ فيهنَّ [(٣)]حيثُما أراد[(٣)]، ومن هنالِك وصَل إلى آدمَ حينَ أخرَجه من الجنةِ، فلم يزَلْ على ذلك يصعَدُ فى السماواتِ حتى رفَع اللَّهُ عيسىَ ابنَ مريمَ، فحُجِبَ من أربعٍ، وكان يصعَدُ فى ثلاثٍ، فلما بعَث اللَّهُ محمدًا ﷺ حُجِب من الثلاثِ الباقيةِ، فهو محجوبٌ هو وجميعُ جنودِه من جميعِ السماواتِ إلى يومِ القيامةِ، إلَّا مَن اسْتَرَقَ السَّمْعَ فأتْبعه شهابٌ ثاقبٌ. [٢/٣٨٦ظ] ولذلك أنكَرَت الجنُّ ما كانت تعرِف حينَ قالت: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾، إلى قولِه: ﴿شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٨، ٩].

قال وهبٌ: فلم يَرُعْ إبليسَ إلا تجاوبُ ملائكتِها بالصلاةِ على أيوبَ، وذلك حينَ ذكَره اللَّهُ وأثنَى عليه، فلما سمِع إبليسُ صلاةَ الملائكةِ أدْرَكه البغْيُ والحسَدُ، وصعِد سريعًا حتى وقَف من اللَّهِ مكانًا كان يقِفُه، فقال: يا إلهى، نظَرتُ فى أمْرِ عبدِك أيوبَ، فوجَدتُه عبدًا أنْعَمتَ عليه فشكَرَكَ، وعافَيتَه فحمِدَك، ثم لم تُجرِّبْه

(١) فى م، ت ١، ت ٢، ف: «بن». وينظر تهذيب الكمال ٣/ ١٣٨.

(٢) سقط من: ص، ت ١، ت ٢، ف.

(٣ - ٣) فى م: «حيث شاء ما أرادوا».

بشدَّةٍ ولم تجرِّبْه ببلاءٍ ، وأنا لك زَعيمٌ لئن ضربتَه بالبلاءِ ليكفُرَنَّ بك ولينسَيِنَّك ، وليعبُدَنَّ غيرَك . قال اللَّهُ تبارك وتعالى له : انطلِقْ فقد سلَّطتُك على مالِه ، فإنه الأمرُ الذى تزعُمُ أنه من أجلِه يشكُرُنى ، ليس لك سلطانٌ على جسدِه ، ولا على عقلِه . فانقَضَّ عدوُّ اللَّهِ حتى وقَع على الأرضِ ، ثم جمَع عفاريتَ الشياطينِ وعظماءَهم ، وكان لأيوبَ البَثَنِيةُ[1] من الشامِ كلِّها بما فيها من شرقِها وغربِها ، وكان له بها ألفُ شاةٍ برُعاتِها وخمسُمائةِ فدَّانٍ[2] يَتْبَعُها خمسُمائةِ عبدٍ ، لكلِّ عبدٍ امرأةٌ وولَدٌ ومالٌ ، ويحمِلُ آلةَ كلِّ فدانٍ أتانٌ ، لكلِّ أتانٍ ولدٌ من اثنين وثلاثةٍ وأربعةٍ وخمسةٍ وفوقَ ذلك . فلما جمعَ إبليسُ الشياطينَ ، قال لهم : ماذا عندَكم من القوَّةِ والمعرفةِ ، فإنى قد سُلِّطتُ على مالِ أيوبَ ، فهى المصيبةُ الفادِحةُ ، والفتنةُ التى لا يصبِرُ عليها الرجالُ ؟ قال عفريتٌ من الشياطينِ : أُعطيتُ من القوَّةِ ما إذا شئتُ تحوَّلتُ إعصارًا من نارٍ فأحرَقتُ كلَّ شىءٍ آتى عليه . فقال له /إبليسُ : فأْتِ الإبلَ ورُعاتَها . فانطلَق ٥٨/١٧
يؤمُّ الإبلَ ، وذلك حينَ وضَعت رُءُوسَها وثبتَتْ فى مراعِيها ، فلم يَشعُرِ الناسُ حتى ثار من تحتِ الأرضِ إعصارٌ من نارٍ تُنفَخُ منها أرواحُ السَّمومِ ، لا يَدْنُو منها أحدٌ إلا احتَرقَ ، فلم يزَلْ يَحْرِقُها ورُعاتَها حتى أتَى على آخرِها ، فلما فرَغ منها تمثَّل إبليسُ على قَعودٍ[3] منها براعيها ، ثم انطلَق يؤمُّ أيوبَ حتى وجَده قائمًا يُصلِّى ، فقال : يا أيوبُ . قال : لبَّيكَ . قال : هل تدرِى ما الذى صنَع ربُّك[4] الذى اختَرْتَ وعبَدْتَ ووحَّدْتَ بإبلِكَ ورُعاتِها ؟ قال أيوبُ : إنها مالُه أعارَنيه ، وهو أَوْلى به إذا شاءَ نزَعه ،

---

(١) البثنية والبثنة : اسم ناحية من نواحى دمشق ، وقيل : هى قرية بين دمشق وأذرعات ، كان أيوب عليه السلام منها . معجم البلدان ١/ ٤٩٣ .

(٢) الفدَّان : الذى يحرث به . اللسان (ف د ن) .

(٣) القعود من الإبل : هو البكر حين يركب ، أى : يمكن ظهره من الركوب ، وأدنى ذلك أن يأتى عليه سنتان ، ولا تكون البكرة قعودا ، وإنما تكون قلوصا . اللسان (ق ع د) .

(٤) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ف : « بك » .

وقديمًا ما وطَّنْتُ نفسِى ومالى على الفناءِ . قال إبليسُ : وإن ربَّك أرسَل عليها نارًا من السماءِ فاحترَقَتْ ورُعاتُها حتى أتَى على آخرِ شيءٍ منها ومن رُعاتِها ، فترَكْتُ الناسَ مَبهوتينَ وهم وُقوفٌ عليها يتعَجَّبون ؛ منهم من يقولُ : ما كان أيوبُ يعبُدُ شيئًا ، وما كان إلا فى غُرورٍ . ومنهم من يقولُ : لو كان إلهُ أيوبَ يقدِرُ على أن يصنَعَ[1] من ذلك شيئًا لمَنع وَلِيَّه . ومنهم من يقولُ : بل هو فعَل الذى فَعَل ليُشمِتَ[2] به عدوَّه ، وليُفجِعَ به صديقَه . قال أيوبُ : الحمدُ للَّهِ حينَ أعْطانى ، وحينَ نزَع منى ، عُرْيانًا خرَجتُ من بطنِ أُمِّى ، وعُريانًا أعودُ فى الترابِ ، وعُريانًا أُحشَرُ إلى اللَّهِ ، ليس ينبَغى لك أن تفرَحَ حينَ أعارَك اللَّهُ ، وتجزَعَ حينَ قبَض عاريَتَه ، اللَّهُ أولَى بك وبما أعْطاكَ ، ولو علِم اللَّهُ فيك أيُّها العبدُ خيرًا لنقَل[3] رُوحَك مع ملَكِ[4] الأرواحِ ، فأجرى[5] فيك وصرْتَ شهيدًا ، ولكنه علِم منك شرًّا فأخَّرك من أجلِه ، فعرَّاك اللَّهُ من المصيبةِ ، وخلَّصَك من البلاءِ كما يُخلَّصُ الزُّوانُ[6] من القمحِ الخَلاصِ .

ثم رجَع إبليسُ إلى أصحابِه خاسئًا ذليلًا ، فقال لهم : ماذا عندَكم من القوَّةِ ، فإنى لم أُكلِّمْ قلبَه ؟ قال عفريتٌ من عظمائِهم : عندِى من القوَّةِ ما إذا شئتُ صِحتُ صوتًا لا يسمَعُه ذو رُوحٍ إلا خرَجت مهجةُ نفسِه . قال له إبليسُ : فأتِ الغنَمَ ورُعاتَها . فانطلَق يؤُمُّ الغنمَ ورُعاتَها ، حتى إذا وَسَطها[7] صاحَ صوتًا جثَمت أمواتًا

---

(١) فى م : « يمنع » .

(٢) فى ص ، ت ٢، ف : « وليشمت » .

(٣) فى ت ١ : « ليتقبل » ، وفى ف : « ليقبل » .

(٤) فى ف ، وعرائس المجالس : « تلك » .

(٥) فى م : « فآجرنى » .

(٦) الزوان والزؤان : عشب ينبت بين أعواد الحنطة غالبا ، حبه كحبها ، إلا أنه أسود وأصفر ، وهو يخالط البر ، فيكسبه رداءة . الوسيط (زأن ، زون) .

(٧) فى ت ١، وعرائس المجالس : « توسطها » .

من عندِ آخرِها ورعاؤُها . ثم خرَج إبليسُ متمثِّلًا بقَهْرمانِ[1] الرِّعاءِ ، حتى إذا جاءَ أيوبَ وجَده وهو قائمٌ يُصلِّى ، فقال له القولَ الأوّلَ ، ورَدَّ عليه أيوبُ الردَّ الأوَّلَ ، ثم إن إبليسَ رجَع إلى أصحابِه ، فقال لهم : ماذا عندَكم من القوَّةِ ، فإنى لم أُكلِّمْ قلبَ أيوبَ ؟ فقال عفريتٌ من عظمائِهم : عندى من القوَّةِ إذا شئتُ تحوَّلتُ ريحًا عاصِفًا تنسِفُ كلَّ شيءٍ تأتِى عليه ، حتى لا أُبْقِىَ شيئًا . فقال له إبليسُ : فأتِ الفدادينَ والحرْثَ . فانطلَق يؤمُّهم ، وذلك حين قَرَّبوا الفَدادينَ ، وأنشَئوا فى الحرْثِ ، والأُتُنُ وأولادُها رُتوعٌ ، فلم يَشعروا حتى هبَّت [٢/٣٨٧و] ريحٌ عاصفٌ تنسِفُ كلَّ شيءٍ من ذلك ، حتى كأنه لم يكُنْ . ثم خرَج إبليسُ متمثِّلًا بقهْرمانِ الحَرْثِ حتى جاء أيوبَ وهو قائمٌ يصلِّى ، فقال له مثلَ قولِه الأوَّلِ ، ورَدَّ عليه أيوبُ مثلَ ردِّه الأوَّلِ .

فلما رأى إبليسُ أنه قد أفنَى مالَه ، ولم يُنْجِحْ منه ، صعِد سريعًا حتى وقَف من اللَّهِ الموقِفَ الذى كان يقِفُه ، فقال : يا إلهى ، إن أيوبَ يرَى أنك ما متَّعتَه بنفسِه وولَدِه ، فأنت مُعْطِيه المالَ ، فهل أنت مُسلِّطى على ولَدِه ؟ فإنها الفتْنةُ المضلةُ ، والمصيبةُ التى لا تقومُ لها قلوبُ الرجالِ ، ولا يقوَى عليها صبرُهم . فقال اللَّهُ تعالى : انْطَلِقْ ، فقد سلَّطتُك على ولدِه ، ولا سلطانَ لك على قلبِه ولا جسَدِه ، ولا على عَقْلِه . فانقَضَّ/ عدوُّ اللَّهِ جوادًا حتى جاءَ بنى أيوبَ وهم فى قَصْرِهم ، فلم يزَلْ يُزلْزِلُ ٥٩/١٧ بهم حتى تداعى من قواعدِه ، ثم جعَل يناطِحُ جُدُرَ بعضِها ببعضٍ ، ويرمِيهم بالخشَبِ والجندَلِ ، حتى إذا مَثَّل بهم كلَّ مُثْلَةٍ ، رفَع بهم القصْرَ ، حتى إذا أقلَّه بهم فصاروا فيه مُنَكَّسين ، وانطلَق إلى أيوبَ متمثِّلًا بالمعلِّمِ الذى كان يعلِّمُهم الحكمةَ ، وهو جريحٌ مشدوخُ الوجهِ ، يسيلُ دمُه ودِماغُه ، متغيِّرًا لا يكادُ يُعرَفُ من شدَّةِ التغيُّرِ والـمُثْلَةِ التى جاء متمثِّلًا فيها ، فلما نظَر إليه أيوبُ هالَه ، وحزِن ودَمَعت عيناه ، وقال

---

(١) القهرمان : هو المسيطر الحفيظ على من تحت يديه . اللسان (قهرم) . (تفسير الطبرى ٢٢/١٦)

له : يا أيوبُ ، لو[١] رأيتَ كيف أفْلَتُّ من حيثُ أفلتُّ ، والذى رمانَا به من فوقِنا ومن تحتِنا ! ولو رأيتَ بنيكَ كيف عُذِّبوا وكيف مُثِّل بهم ! وكيف قُلبوا فكانوا منكَّسين على رءوسِهم ، تسيلُ دماؤُهم ودِماغُهم من أُنوفِهم وأجوافِهم ، وتقطُرُ من أشفارِهم ! ولو رأيتَ كيف شُقَّتْ[٢] بطونُهم فتناثَرَت أمعاؤُهم ! ولو رأيتَ كيف قُذِفوا بالخشَبِ والجندَلِ يشدَخُ دِماغَهم ! وكيف دقَّ بالخشبِ[٣] عظامَهم ، وخرَق جلودَهم ، وقطَع عصَبَهم ! ولو رأيتَ العَصَبَ عُريانًا ! ولو رأيتَ العظامَ مُتهَشِّمةً فى الأجوافِ ! ولو رأيتَ الوجوهَ مَشدوخةً ! ولو رأيتَ الجُدُرَ تَناطَحُ عليهم ! ولو رأيتَ ما رأيتُ لقُطِّعَ قلبُك . فلم يزَلْ يقولُ هذا ونحوَه ، ولم يزَلْ يرقِّقُه حتى رَقَّ أيوبُ فبكَى ، وقبَض قبضةً من ترابٍ فوضَعها على رأسِه ، فاغتنَم إبليسُ الفرصةَ منه عندَ ذلك ، فصعِد سريعًا بالذى كان من جزَعِ أيوبَ مسرورًا به ، ثم لم يلبَثْ أيوبُ أن فاء وأبصَرَ فاستغْفَر ، وصَعِد قرناؤه من الملائكةِ بتوبةٍ منه ، فبدَروا إبليسَ إلى اللَّهِ ، فوجَدوه قد علِم بالذى رُفِع إليه من توبةِ أيوبَ ، فوقَف إبليسُ خازيًا ذليلًا ، فقال : يا إلهى ، إنما هوَّن على أيوبَ خَطَرُ المالِ والولَدِ أنه يرَى أنك ما متَّعتَه بنفسِه ، فأنت تعيدُ له المالَ والولدَ ، فهل أنت مسلِّطى على جسَدِه ؟ فأنا لك زعيمٌ ، لئن ابتليتَه فى جسَدِه ليَسَبَّنَّك ، وليكْفُرَنَّ بك ، وليَجْحَدنَّك نعمتَك . قال اللَّهُ : انطلِقْ فقد سلَّطتُك على جسَدِه ، ولكن ليس لك سلطانٌ على لسانِه ، ولا على قلبِه ، ولا على عقلِه .

فانقضَّ عدوُّ اللَّهِ جوادًا ، فوجَد أيوبَ ساجدًا ، فعجَّل قبلَ أن يرفَعَ رأسَه ، فأتاه من قِبَلِ الأرضِ فى موضعِ وَجْهِه ، فنفَخ فى مِنخَرِه نفخةً اشتَعل منها جسدُه ، فترهَّل

---

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ : « قد » .

(٢) فى ت ١ ، ت ٢ : « عضت » ، وفى ف : « عقب » ، وغير منقوطة فى ص .

(٣) فى م : « الخشب » .

ونبتَت به ثآليلُ[١] مثلُ أليات الغنَم ، ووقَعت فيه حِكَّةٌ لا يملِكُها ، فحَكَّ بأظْفارِه حتى سقَطت كلُّها ، ثم حَكَّ بالعظام ، وحَكَّ بالحجارةِ الخَشِنَةِ ، وبقطَعِ المُسوحِ الخشِنَةِ ، فلم يزَلْ يحُكُّه حتى نَفِد لحمُه وتقطَّع ، ولما نَغِل[٢] جلدُ أيوبَ وتغيَّر وأنتَنَ ، أخرَجه أهلُ القريةِ ، فجعَلوه على تَلٍّ وجعَلوا له عَريشًا ، ورفَضه خلقُ اللَّهِ غيرَ امرأتِه ، فكانت[٣] تختَلِفُ إليه بما يُصلِحُه ويلزَمُه ، وكان ثلاثةٌ من أصحابِه اتَّبعوه على دينِه ، فلما رأَوا ما ابتلاه اللَّهُ به رفَضوه من غيرِ أن يترُكوا دينَه واتَّهَموه ؛ يُقال لأحدِهم : بلددُ ، وأليفزُ ، وصافرُ . قال : فانطلَق إليه الثلاثةُ وهو فى بلائِه ، فبكَتوه ، فلما سمِع منهم أقبَل على ربِّه ، فقال أيوبُ عليه السلامُ : ربِّ لأىِّ شىءٍ خلَقتَنى ؟ لو كنتَ إذْ كرِهْتنى فى الخيرِ ترَكتَنى فلم تخلُقْنى ، يا لَيتنى كنتُ حَيْضةً ألقَتْنى أُمِّى ، ويا لَيتنى مِتُّ فى بطنِها فلم أعرِفْ شيئًا ولم تَعْرِفْنى[٤] ، ما الذنبُ الذى أذنبتُ لم يُذنِبْه أحدٌ غيرِى ، وما العمَلُ الذى عمِلتُ فصرَفتَ وجْهَك الكريمَ عنِّى ، لو كنتَ أمتَّنى فألحَقْتَنى بآبائى ، فالموتُ كان أجملَ بى ، فأُسوةٌ لى بالسلاطينِ [٢/٣٨٧ظ] الذين صُفَّتْ من دونِهم الجيوشُ يضرِبون عنهم بالسيوفِ بخلًا بهم عن الموتِ ، وحرصًا على بقائِهم ، أصبَحوا فى القبورِ جاثِمينَ ، /حتى ظنُّوا أنهم سيُخلَّدون ، ٦٠/١٧
وأُسوةٌ لى بالملوكِ الذين كَنَزوا الكنوزَ ، وطَمروا المطامِيرَ[٥] ، وجمَعوا الجموعَ ، وظنُّوا أنهم سيُخلَّدون ، وأُسوةٌ لى بالجبارينَ الذين بنَوا المدائنَ والحصونَ ، وعاشُوا فيها المِئين من السنينَ ، ثم أصبَحت خرابًا مأوًى للوحوشِ ومَبْتًى[٦] للشياطينِ .

---

(١) الثآليل جمع الثُّولول ، وهو الخُرَاج . اللسان (ث أ ل) .

(٢) نغل : عفن وفسد . التاج (ن غ ل) .

(٣) فى ت ٢ : « فإنها كانت » .

(٤) فى ت ١، ت ٢، ف : « يعرفنى » .

(٥) المطامير جمع المطمورة : وهى الحفيرة تحت الأرض يوسع أسفلها ، تخبأ فيها الحبوب . التاج (ط م ر) .

(٦) فى م : « مثنى » ، وفى ت ١، ت ٢ : « مبنى » ، وفى ف : « مبتغى » . ومبتى من قولهم : بتا بالمكان بتوا : أقام . اللسان (ب ت و) .

قال أليفزُ التيمانيُّ[١] : قد أعيانا أمرُك يا أيوبُ ، إن كلَّمْناكَ فما نَرْجُ للكلامِ[٢] منك موضِعًا ، وإن نسْكُتْ عنك مع الذى نرَى فيك من البلاءِ ، فذلك علينا ، قد كنا نرَى من أعمالِك أعمالًا كنا نَرْجو لك عليها من الثوابِ غيرَ ما رَأَيْنا ، فإنما يحصُدُ امرؤٌ ما زرَع ، ويُجزَى بما عمِل ، أشهَدُ على اللَّهِ الذى لا يُقدَّرُ قَدْرُ عظمَتِه ، ولا يُحصَى عددُ نعَمِه ، الذى يُنزِلُ الماءَ من السماءِ ، فيُحيى به الميِّتَ ، ويرفَعُ به الخافِضَ ، ويقوِّى به الضعيفَ ، الذى تَضِلُّ حكمةُ الحكماءِ عندَ حكمتِه ، وعلْمُ العلماءِ عندَ علْمِه ، حتى تراهم من العِىِّ فى ظلمةٍ يموجونَ - أن من رَجا معونةَ اللَّهِ هو القوىُّ ، وأن من توكَّل عليه هو المكفِىُّ ، هو الذى يَكسِرُ ويَجبُرُ ، ويجرَحُ ويُداوِى .

قال أيوبُ : لذلك سكتُّ فعضَضْتُ على لسانى ، ووضَعتُ لسوءِ[٣] الخدمةِ رأسِى ؛ لأنى علِمتُ أن عقوبتَه غيَّرت نورَ وجْهِى ، وأن قوتَه نزَعت قوَّةَ جسَدِى ، فأنا عبدُه ، ما قضَى علىَّ أصابَنى ، ولا قوَّةَ لى إلا ما حمَل علىَّ ، لو كانت عِظامى من حديدٍ ، وجسَدِى من نُحاسٍ ، وقلبى من حجارةٍ ، لم أُطِقْ هذا الأمرَ ، ولكن هو ابتلانى به[٤] ، وهو يحمِلُه عنِّى ، أتيتُمونى غِضابًا ، رَهِبتُم قبلَ أن تُسترْهَبوا ، وبَكَيتُم من قبلِ أن تُضْرَبوا ، كيف بى لو قلتُ لكم : تَصدَّقوا عنى بأموالِكم لعلَّ اللَّهَ أن يُخلِّصَنى ، أو قرِّبوا عنِّى قربانًا لعلَّ اللَّهَ أن يتقبَّلَه منى ويرْضَى عنى . إذا استيقَظْتُ تمنَّيْتُ النومَ ؛ رجاءَ أن أستريحَ ، فإذا نِمْتُ كادَت تجودُ نفسِى ، تقطَّعتْ أصابِعِى ، فإنى لأرفعُ اللُّقمةَ من الطعامِ بيدىَّ جميعًا ، فما تبلغانِ فَمى إلا على الجهْدِ منى ، تساقَطَتْ لَهَواتِى ، ونُخِر رأسِى ، فما بينَ أُذُنىَّ من سِدادٍ ، حتى إن إحداهما لتُرَى

---

(١) فى ص ، ت ١، ت ٢، ف : « اليمانى » .

(٢) فى م : « للحديث » .

(٣) فى ص : « لنبو » .

(٤) سقط من : م ، ت ١، ف .

من الأُخرَى ، وإن دِماغى ليسيلُ من فَمِى ، تساقَط [١] شعَرُ عينى [١] فكأنَّما حُرِّق بالنارِ وَجْهى ، وحدَقتاى هما مُتدلِّيتان على خَدِّى ، ورِمَ لسانى حتى [٢] ملأ فى [٢] ، فما أُدْخِلُ فيه طعامًا إلا غصَّنى ، ورِمتْ شفتاى حتى غطَّت العليا أَنْفى ، والسُّفْلى ذَقَنِى ، تقطَّعت أمعائى فى بَطنى ، فإنى لأُدخِلُ الطعامَ فيخرُجُ كما دخَل ، ما أُحِسُّه ولا ينفَعُنى ، ذهَبَتْ قوَّةُ رِجلَىَّ فكأنهما قِربَتا ماءٍ مُلئَتا لا أُطيقُ حَملَهما ، أحمِلُ لِحافى بيدىَّ وأسنانى ، فما أُطيقُ حمْلَه حتى يحمِلَه معى غيرِى ، ذهَب المالُ فصِرتُ أسألُ بكفِّى ، فيُطعِمُنى من كنتُ أَعولُه اللقمةَ الواحدةَ ، فيمُنُّها علىَّ ، ويعيِّرُنى هُلْكَ بَنىَّ وبناتى ، ولو بقِى منهم أحدٌ أعانَنى على بلائى ونفَعَنى [٣] ، وليس العذابُ بعذابِ الدُّنيا ، إنه يزُولُ عن أهلِها ويموتُونَ عنه ، ولكن طُوبَى لمن [٤] كانت له راحةٌ فى الدارِ التى لا يموتُ أهلُها ، ولا يتحوَّلون عن منازِلِهم ، السعيدُ من سعِد هنالِك ، والشقىُّ من شَقِى فيها .

قال بِلْدَدُ : كيف يقومُ لسانُك بهذا القولِ ، وكيف تُفصِحُ به ؟ أتقولُ : إن العدْلَ يجورُ ؟ أم تقولُ : إن القوىَّ يضعُفُ ؟ ابْكِ على خطِيئتِكَ ، وتضرَّعْ إلى رَبِّك ، عسَى أن يرحَمَك ويتَجاوزَ عن ذَنْبِك ، وعسَى إن كنتَ بريئًا أن يجعَلَ هذا لك ذُخْرًا فى آخرَتِك ، وإن كان قلبُك قد قسَا فإن قولَنا لن ينفَعَك ، ولَن [٥] يأخذَ /فيك ، ٦١/١٧
هيهاتَ أن تنبُتَ الآجامُ فى المفاوِزِ ، وهيهاتَ أن ينبُتَ البَرْدىُّ فى الفَلاةِ ، مَن توكَّلَ على الضعيفِ كيف يَرْجُو أن يمنَعَه ، ومَن جحَد الحقَّ كيف يَرْجُو أن يُوَفَّى حقَّه ؟

(١ - ١) فى م : « شعرى عنى » .

(٢ - ٢) فى م : « ملأ فمى » ، وفى ت ١، ت ٢، ف : « منكفى » .

(٣) فى ص ، ت ١، ت ٢، ف : « عنفنى » .

(٤) فى ص ، ت ١، ف : « من » .

(٥) فى ص ، ت ١، ت ٢، ف : « لكن » .

قال أيوبُ : إنى لأعلَمُ أن هذا هو الحقُّ ، لن يَفْلُجَ[١] العبدُ على رَبِّه ، ولا يُطِيقُ أن يخاصِمَه ، فأىُّ كلامٍ لى معه ، وإن كان إلىَّ القوّةُ ؟ هو الذى سمَكَ السماءَ فأقامَها وحدَه ، وهو الذى يكشُطُها إذا شاءَ فتَنْطَوى له ، وهو الذى سطَحَ الأرضَ فدَحَاها وحدَه ، ونصَب فيها الجبالَ الراسياتِ ، ثم هو الذى يُزَلْزِلُها من أُصولِها ، حتى تعودَ أسافِلُها أعالِيَها ، وإن كان فىَّ الكلامُ ، فأىُّ كلامٍ لى معه ؟ من خلَق عَرْشَه العظيمَ بكلِمةٍ واحدةٍ ، [٢/٣٨٨و] فحَشاهُ السماواتِ والأرضَ وما فيهما من الخلْقِ ، فوسَّعَه فى سَعةٍ واسعةٍ ، وهو الذى كلَّم البحارَ ففهِمَت قولَه ، وأمَرَها فلم تَعْدُ أمرَه ، وهو الذى يفْقَهُ الحِيتانَ والطيرَ وكلَّ دابَّةٍ ، وهو الذى يكلِّمُ المَوْتَى فيُحييهم قولُه ، ويكلِّمُ الحجارةَ فتَفْهَمُه[٢] ، ويأمُرُها فتُطِيعُه .

قال أليفزُ : عظيمٌ ما تقولُ يا أيوبُ ، إن الجلودَ لتقشَعِرُّ من ذكرِ ما تقولُ ، إنما أصابَك ما أصابَك بغيرِ ذنبٍ أذْنَبْتَه ، مثلُ هذه الحدَّةِ وهذا القولِ أنزَلَك هذه المنزلةَ ، عظُمَت خطيئتُكَ ، وكثُر طُلَّابُك ، وغَصَبْتَ أهلَ الأموالِ على أموالِهم ، فلبِسْتَ وهم عراةٌ ، وأكَلْتَ وهم جياعٌ ، وحبَسْتَ عن الضعيفِ بابَك ، وعن الجائعِ طعامَك ، وعن المحتاجِ معروفَك ، وأسْرَرتَ ذلك وأخفيتَه فى بيتِك ، وأظْهَرتَ أعمالًا كنا نَراك تعمَلُها ، فظنَنْتَ أن اللَّهَ لا يَجزِيك إلا على ما ظهَر مِنك ، وظنَنْتَ أن اللَّهَ لا يَطَّلِعُ على ما غيَّبْتَ فى بيتِك ، وكيف لا يطَّلِعُ على ذلك وهو يعلَمُ ما غيَّبَتِ الأرَضون ، وما تحتَ الظلماتِ والهواءِ ؟

قال أيوبُ عليه السلامُ : إن تكلَّمتُ لم ينفَعْنى الكلامُ ، وإن سكَتُّ لم تَعذِرونى ، قد وقَع علىَّ كَيْدِى ، وأسخَطتُ ربِّى بخطيئتِى ، وأشمَتُّ أعدائى ،

---

(١) فى ص ، ت ١، ت ٢، ف : « يفلح » . ويفلج : يظفر . اللسان (ف ل ج) .

(٢) فى م : « فتفهم قوله » .

وأمكنتُهم من عُنُقى ، وجعَلتنى للبلاءِ غَرَضًا ، وجعَلتنى للفتنةِ نُصُبًا ، لم تُنْفِسْنى مع ذلك ، ولكن أتبعَنى [(١)] ببلاءٍ على إثرِ بلاءٍ ، أَلم أكُنْ للغريبِ دارًا ، وللمسكينِ قرارًا ، ولليتيمِ وليًّا ، وللأرملةِ قَيِّمًا ؟ ما رأيتُ غريبًا إلا كنتُ له دارًا مكانَ دارِه ، وقرارًا مكانَ قرارِه ، ولا رأيتُ مسكينًا إلا كنتُ له مالًا مكانَ مالِه ، وأهلًا مكان أهلِه ، وما رأيتُ يتيمًا إلا كنتُ له أَبًا مكانَ أَبيه ، وما رأيتُ أَيِّمًا إلا كنتُ لها قَيِّمًا ترضَى قِيامَه ، وأنا عبدٌ ذليلٌ ، إن أحسَنتُ لم يكُنْ لى كلامٌ بإحسانٍ ؛ لأن المَنَّ لرَبِّى وليسَ لى ، وإن أسَأْتُ فبيدِه عُقوبَتى ، وقد وقَع علىَّ بلاءٌ لو سلَّطتَه على جبَلٍ ضعُف عن حملِه ، فكيف يحمِلُه ضَعْفِى ؟

قال أليفزُ : أتُحاجُّ اللَّهَ يا أيوبُ فى أمْرِه ؟ أم تريدُ أن تُناصِفَه وأنت خاطِئٌ ؟ أو تُبَرِّئَها وأنت [(٢)] غيرُ بريءٍ ؟ خلَق السماواتِ والأرضَ بالحقِّ ، وأحصَى ما فيهما من الخلْقِ ، فكيف لا يعلَمُ ما أَسْرَرْتَ ؟ وكيف لا يعلَمُ ما عمِلتَ فيجزيَك به ؟ وضَع اللَّهُ ملائكتَه صفوفًا حولَ عرْشِه وعلى أرجاءِ سماواتِه ، ثم احتَجَب بالنورِ ، فأبصارُهم عنه كليلةٌ ، وقوَّتُهم عنه ضَعيفةٌ ، وعزُّهم [(٣)] عنه ذليلٌ ، وأنتَ تزعُمُ أن لو خاصَمَك ، وأَدْلى إلى الحكْمِ معك ! وهل تراه فتُناصِفَه ؟ أم هل تسمَعُه فتحاوِرَه ؟ قد عرَفنا فيك قضاءَه ، إنه مَن أرادَ أن يرتَفِعَ وضَعه ، ومَن اتَّضَعَ له رفَعه .

/ قال أيوبُ : إن أهلَكنى فمن ذا الذى يَعرِضُ له فى عبدِه ويسأَلُه عن أمرِه ؟ لا ٦٢/١٧
يرُدُّ غضبَه شىءٌ إلا رحمتُه ، ولا ينفَعُ عبدَه إلا التضرُّعُ له ، رَبِّ أقبِلْ علىَّ برحمتِك ، وأَعلِمْنى ما ذَنْبى الذى أذنبتُ ؟ أو لأىِّ شىءٍ صرَفتَ وَجْهَك الكريمَ عنى ، وجَعَلْتنى

---

(١) فى ص : « أتعبتنى » ، وفى ت ١، ف : « ألعبتنى » .

(٢) بعده فى ص ، ت ١، ت ٢، ف : « ذوى » .

(٣) فى م : « عزيزهم » ، وفى ت ١، ت ٢، ف : « عزرهم » .

لك مثلَ العدوِّ ، وقد كنتَ تُكرِمُنى ؟ ليس يغيبُ عنك شىءٌ ، تُحصِى قَطْرَ الأمطارِ ، وورَقَ الأشجارِ ، وذرَّ الترابِ ، أصبَح جِلدِى كالثوبِ العَفِنِ ، بأَيِّهِ أمسَكتُ سقَط فى يدِى ، فهَبْ لى قُربانًا من عندِك ، وفرَجًا من بلائِى ، بالقدرَةِ التى تبعَثُ مَوْتَى العبادِ ، وتنشُرُ بها مَيْتَ البلادِ ، ولا تُهلِكْنى بغيرِ أن تُعلِمَنى ما ذَنْبِى ، ولا تُفسِدْ عمَلَ يَدَيْكَ ، وإن كنتَ غنيًّا عنِّى ، ليس ينْبَغِى فى حُكْمِك ظُلْمٌ ، ولا فى نِقْمتِك عَجَلٌ ، وإنما يحتاجُ إلى الظُّلْمِ الضعيفُ ، وإنما يعجَلُ مَن يخافُ الفَوْتَ ، ولا تُذَكِّرْنى خطَئِى وذُنوبِى ، اذكُرْ كيفَ خَلَقتَنى من طينٍ ، فجُعِلتُ مضغةً ، ثم خلَقتَ المضغةَ عِظامًا ، وكسَوتَ العظامَ لحمًا وجِلدًا ، وجعَلتَ العصَبَ والعروقَ لذلك قوامًا وشدَّةً ، ورَبَّيْتَنى صغيرًا ، ورَزَقتنى كبيرًا ، ثم حفِظتُ عهدَك وفعَلتُ أمرَك ، فإن أخطأتُ فبيِّنْ لى ، ولا تُهلِكْنى غمًّا ، وأعلِمْنى ذَنْبِى ، فإن لم أُرْضِك فأنا أَهْلٌ أن تعذِّبَنى ، وإن كنتُ من بينِ خلْقِك تُحصِى علىَّ عمَلِى ، وأستَغْفِرُك فلا تغفِرُ لى ، إن أحسَنتُ لم أرْفَعْ رأسِى ، وإن أسأْتُ لم تُبلِغْنى رِيقى ، ولم تُقِلْنى عَثرتى ، وقد ترَى ضَعْفى تحتَك ، [٢/٣٨٨ظ] وتضرُّعِى لك ، فلِمَ خَلَقْتنى ؟ أو لِمَ أخرَجْتَنى من بطنِ أمِّى ؟ لو كنتُ كمن لم يكُنْ لكان خيرًا لى ، فليستِ الدنيا عندِى بخطَرٍ لغضَبِك ، وليس جسَدِى يقومُ بعذابِك ، فارْحَمْنى وأَذِقْنى طعْمَ العافيةِ من قبلِ أن أصيرَ إلى ضِيقِ القبرِ وظُلمةِ الأرضِ وغمِّ الموتِ .

قال صافِرُ[1] : قد تكلَّمتَ يا أيوبُ ، وما يُطيقُ أحدٌ أن يحبِسَ فمَك ، تزعُمُ أنك برىءٌ ، فهل ينفَعُك إن كنتَ بريئًا ، وعليك مَن يُحصِى عمَلَك ؟ وتزْعُمُ أنك تعلَمُ أن اللَّهَ يغفِرُ لك ذنوبَك ، هل تعلَمُ سُمْكَ السماءِ كم بُعدُه ؟ أم هل تعلَمُ عُمْقَ

(١) فى ص ، ت ١، ت ٢: « طافر » ، وفى ف : « ظافر » .

الهواءِ كم بعدُه ؟ أم هل تعلَمُ أىُّ الأرضِ أعْرَضُها ؟ أم هل[1] عندَك لها من مقدارِ تُقدِّرُها به ؟ أم هل[2] تعلَمُ أىُّ البحرِ أعمَقُه ؟ أم هل تعلَمُ بأىِّ شىءٍ تحبِسُه ؟ فإن كنتَ تعلَمُ هذا العلمَ ، وإن كنتَ لا تعلَمُه ، فإن اللَّهَ خلَقه وهو يُحصِيه ، لو تركْتَ كثرةَ الحديثِ ، وطلَبتَ إلى رَبِّك ، رَجَوْتُ أن يرحمَك ، فبذلك تستَخرجُ رحمتَه ، وإن كنتَ تقيمُ على خطيئَتِك وترفَعُ إلى اللَّهِ يدَيْك عندَ الحاجةِ ، وأنت مُصِرٌّ على ذنبِك إصرارَ الماءِ الجارِى فى صَبَبٍ لا يُستطاعُ إحباسُه ، فعندَ طلَبِ الحاجاتِ إلى الرحمنِ تسوَدُّ وجوهُ الأشرارِ ، وتُظْلِمُ عيونُهم ، وعندَ ذلك يُسَرُّ بنجاحِ حوائجِهم الذين تَرَكوا الشهواتِ تزيُّنًا بذلك عندَ ربِّهم ، وتقدَّموا فى التضرُّعِ ليستَحِقُّوا بذلك الرحمةَ حين يحتاجونَ إليها ، وهم الذين كابَدوا الليلَ ، واعتزَلوا الفُرُشَ ، وانتظَروا الأسحارَ .

قال أيوبُ : أنتم قومٌ قد أعجَبتكُم أنفسُكم ، وقد كنتُ فيما خَلا والرجالُ يُوَقِّرونَنى ، وأنا معروفٌ حَقِّى ، مُنتَصِفٌ من خَصْمِى ، قاهرٌ لمن هو اليومَ يَقْهَرُنى ، يسألُنى عن علْمِ غيبِ اللَّهِ لا أعلَمُه ويسألُنى ، فلَعَمْرِى ، ما نُصْحُ الأخِ لأخِيه حينَ نزَل به البلاءُ كذلك ، ولكنه يَبكِى معه ، وإن كنتَ جادًّا فإن عقلِى يقصُرُ عن الذى تسألُنى عنه ، فسَلْ طيرَ السماءِ هل تُخبِرُك ؟ وسَلْ وُحوشَ الأرضِ هل تَرْجِعُ إليك ؟ وسَلْ سباعَ البَرِّيَّةِ هل تُجيبُك ؟ وسَلْ حيتانَ البحرِ هل تَصِفُ لك كُلَّ ما عدَدتَ ؟ تَعَلَّمْ أن اللَّهَ صنَع هذا بحكمتِه ، وهيَّأه بلُطْفِه .

/ أما يعلَمُ ابنُ آدمَ من الكلامِ ما سمِع بأُذُنيه ، وما طعِم بفِيه ، وما شَمَّ بأنفِه ، ٦٣/١٧
وأن العلْمَ الذى سألتَ عنه لا يعلَمُه إلا اللَّهُ الذى خلَقَه ، له الحكمةُ والجبروتُ ، وله

---

(١) سقط من : م .

(٢) بعده فى ت ٢ : « عندك » .

العظمةُ واللُّطفُ ، وله الجلالُ والقدرةُ ، إن أفسَد فمن ذا الذى يُصلِحُ ؟ وإن أعجَم فمن ذا الذى يُفْصِحُ ؟ إن نظَر إلى البحارِ يبِسَتْ من خوفِه ، وإن أَذِن لها ابتلَعت الأرضَ ، فإنما يحمِلُها بقدرَتِه ، هو الذى تبْهَتُ الملوكُ عندَ مُلكِه ، وتَطِيشُ العلماءُ عندَ علْمِه ، وتَعْيا الحكماءُ عندَ حكْمتِه ، ويخسَأُ المبطِلُونَ عندَ سلطانِه ، هو الذى يُذكِّرُ المنسِىَّ ، ويُنسِّى المذكورَ ، ويُجرِى الظلماتِ والنورَ ، هذا علمِى ، وخلقُه أعظَمُ من أن يُحصيَه عَقْلِى ، وعظمتُه أعظَمُ من أن يَقْدُرَها مِثلى .

قال بِلْدَدُ : إن المنافِقَ يُجزَى بما أسَرَّ من نِفاقِه ، وتَضِلُّ عنه العلانيةُ التى خادَع بها ، ويُوكَلُ على الجزاءِ بها على[1] الذى عمِلها ، ويَهلِكُ ذِكرُه من الدنيا ، ويُظلِمُ نورُه فى الآخرةِ ، ويُوحِشُ سبيلُه ، وتوقِعُه فى الأُحبولَةِ سريرتُه ، وينقَطِعُ اسمُه من الأرضِ ، فلا ذِكْرَ له[1] فيها ولا عُمرانَ ، لا يرِثُه ولدٌ مُصلِحونَ من بعدِه ، ولا يبقَى له أصلٌ يُعْرَفُ به ، ويَبْهَتُ من يراهُ ، وتقِفُ الأشعارُ عندَ ذكْرِه .

قال أيوبُ : إن أكُنْ غَوِيًّا فعلَىَّ غَواى ، وإن أكُنْ بَرِيًّا فأىُّ مَنَعَةٍ عندِى ؛ إن صرَختُ فمن ذا الذى يُصرِخُنى ؟ وإن سكَتُّ فمَن ذا الذى يعذِرُنى ؟ ذهَب رجائى وانقضَتْ أحلامى ، وتنكَّرتْ لى معارفى ، دعَوْتُ غلامى فلم يُجِبْنى ، وتضرَّعتُ لأمَتى فلم ترْحَمْنى ، وقَع علىَّ البلاءُ فرفَضُونى ، أنتم كنتُم أشدَّ علىَّ من مُصِيبتى ، انظُروا تَبْهَتُوا[2] من العجائبِ التى فى جسدِى ، أما سمِعتم[3] بما أصابَنى ؟ وما شغَلكم عنى ما رأيتُم بى ؟ لو كان عبدٌ يُخاصِمُ رَبَّه رجَوتُ أن أتغلَّبَ عندَ الحكَمِ ، ولكنَّ لى رَبًّا جبارًا تعالى فوقَ سماواتِه ، وألقَانى هلهنا ، وهُنْتُ عليه ، لا هو عذَرَنى

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ف : « وابهتوا » .

(٣) بعده فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ف : « لى » .

بعُذْرِى ، ولا هو أَدْنانى فأُخاصِمَ عن نفسِى ، يَسمَعُنى ولا أَسمَعُه ، ويرانى ولا أَرَاه ، وهو محيطٌ بى ، ولو تجلَّى لى لذابَتْ كُليَتاى ، وصعِق رُوحِى ، ولو نَفَّسَنى فأتكلَّمَ بملءِ فى ، ونزَع الهيبةَ مِنى ، علِمتُ بأىِّ ذنبٍ عَذَّبنى .

نُودِى فقيلَ : يا أيوبُ . قال : لبَّيْكَ . قال : أنا هذا قد دَنوتُ مِنك ، فقُمْ فاشدُدْ إزارَك ، وقُمْ مقامَ جبَّارٍ ، فإنه لا ينبغى لى أن يُخاصِمَنى إلا جبَّارٌ مِثلى ، ولا ينبغى أن يُخاصِمَنى إلا من يجعَلُ الزِّمامَ[1] فى فَمِ الأسدِ ، والسِّخالَ[2] فى فَمِ العنقاءِ[3] ، واللجامَ[4] فى فَمِ التِّنِّينِ ، ويَكيلُ مكيالًا من النورِ ، ويزِنُ مثقالًا من الريحِ ، ويَصُرُّ صُرَّةً من الشمسِ ، ويرُدُّ أمسِ لغدٍ ، لقد مَنَّتْك نفسُك أمرًا ما يبلُغُ بمثلِ قوَّتِك ، ولو كنتَ إذ مَنَّتْك نفسُك ذلك ودَعَتْك إليه تذكَّرْتَ أىَّ مرامٍ رامَتْ بك ، أرَدتَ أن تُخاصِمَنى بِغيِّك ؟ أم أرَدتَ أن تُحاجَّنى بخطَئِك ؟ أم أرَدتَ أن تُكاثِرَنى بضَعْفِك ؟ أينَ كنتَ[5] مِنى يومَ خلَقتُ الأرضَ فوضعتُها على أساسِها ؟ هل علمتَ بأىِّ مقدارٍ قدَّرْتُها ؟ أم كنتَ معى تمرُّ بأطرافِها ؟ أم تعلَمُ ما بُعدُ زَواياها ؟ أم علَى أىِّ شىءٍ وضَعتُ أكنافَها ؟ أبطاعتِك حمَل الماءُ الأرضَ ؟ أم بحكْمتِك كانتَ الأرضُ للماءِ غطاءً ؟ أين كُنتَ مِنِّى يومَ رفَعتُ السماءَ سَقفًا فى الهواءِ لا بعلائِقَ ثبتَتْ من فوقِها ، ولا يحمِلُها دعائمُ[6] من تحتِها ؟ هل يبلُغُ من حكمتِك أن تُجرِىَ نورَها ؟ أو

---

(١) فى ص ، م ، ت١ ، ف : « الزنار » ، وفى ت ٢ : « الزمان » .

(٢) السخال جمع السخلة : ولد الشاة من المعز والضأن ، ذكرًا كان أو أنثى . اللسان (س خ ل) .

(٣) العنقاء : طائر ضخم ليس بالعقاب ، وقيل : العنقاء المُغْرِب كلمة لا أصل لها ، يقال : إنها طائر عظيم لا ترى إلا فى الدهور . اللسان (ع ن ق) .

(٤) فى م ، وعرائس المجالس : « اللحم » .

(٥) فى ص ، ت ٢ : « أنت » .

(٦) فى ص ، ت ٢ : « دعم » .

تُسَيِّرَ نجومَها ، أو يختلِفَ بأمرِك ليلُها ونهارُها ؟ أينَ كنتَ[١] منى يومَ سَجَّرتُ[٢] البحارَ وأنبعتُ الأنهارَ ؟ أقدرتُك حبَستْ أمواجَ البحارِ على حدودِها ؟ أم قدرتُك فتَحَتِ الأرحامَ حينَ بلَغتْ مدتَها ؟ أين أنتَ منى يومَ صببتُ الماءَ على الترابِ ، ونصَبتُ شوامِخَ الجبالِ ؟ هل لك من ذِراعٍ تُطيقُ حَمْلَها ؟ أم هل تدرِى كم من مثقالٍ فيها ؟ أم أينَ الماءُ الذى أُنزِلُ من السماءِ ؟ هل تدرِى [٣]أمٌّ تلِدُه أو أبٌ تَوَلَّدَه[٣] ؟
٦٤/١٧ أَحِكمتُك / أحصَتِ القَطْرَ ، وقسَمتِ الأرزاقَ ؟ أم قدرتُك تُثيرُ السحابَ ، وتغشِيه الماءَ ؟ هل تدرِى ما أصواتُ الرعودِ ؟ أم من أىِّ شىءٍ لهبُ البروقِ ؟ هل رأيتَ عُمقَ البحرِ[٤] ؟ أم هل تدرِى ما بُعدُ الهواءِ ؟ أم هل خزَنتَ أرواحَ الأمواتِ ؟ أم هل تدرِى أينَ خِزانةُ الثلجِ ، أو أينَ خزائنُ البَرَدِ ؟ أم أين جبالُ البَرَدِ ؟ أم هل تدرِى أينَ خِزانةُ الليلِ بالنهارِ ، وأين خِزانةُ النهارِ بالليلِ ؟ وأين طريقُ النورِ ؟ وبأىِّ لغةٍ تتكلَّمُ الأشجارُ ؟ وأين خِزانةُ الريحِ ؟ وكيف تحبِسُه الأغلاقُ ؟ ومن جعَل العقولَ فى أجوافِ الرجالِ ؟ ومن شَقَّ الأسماعَ والأبصارَ ؟ ومن ذلَّت الملائكةُ لملكِه ؟ وقهَر الجبارين بجبروتِه ؟ وقسَم أرزاقَ الدوابِّ بحكمتِه ؟ ومن قسَم للأُسدِ أرزاقَها ؟ وعرَّف الطيرَ معايشَها ؟ وعطَفها على أفراخِها ؟ من أعتقَ الوحشَ من الخدمةِ ، وجعَل مساكنَها البرِّيَّةَ ، لا تستأنِسُ بالأصواتِ ولا تهابُ السلاطينَ[٥] ؛ أمِن حكمتِك تفرَّعت أفراخُ الطيرِ وأولادُ الدَّوابِّ لأمهاتِها ؟ أم مِن حكمتِك عطَفت أمهاتُها عليها حتى أخرَجت لها الطعامَ من بطونِها ، وآثرَتْها بالعيشِ على نفوسِها ؟ أم

---

(١) فى ص ، ت ١، ت ٢، ف : « أنت » .

(٢) فى ت ١، ت ٢، ف : « سخرت » ، وغير منقوطة فى : ص ، والمثبت موافق لما فى عرائس المجالس .

(٣ - ٣) فى عرائس المجالس : « كم بلدة أهلكتها » .

(٤) فى م : « البحور » .

(٥) فى ص ، م ، ت ١، ف : « المسلطين » .

مِن حكمتِك [١] يبصِرُ العُقابُ [٢] الصيدَ البصرَ البعيدَ [٢] فأصبَح فى أماكنِ القتلَى [١] ؟ أين أنت منى يومَ خلَقتُ بهموتَ مكانَه فى منقطعِ الترابِ ؟ والوتيان [٣] يحملانِ الجبالَ والقرَى والعمرانَ ، آذانُهما كأنها شجَرُ الصَّنَوْبَرِ الطوالِ ، رُءوسُهما كأنها آكامُ [٤] الجبالِ ، وعروقُ أفخاذِهما كأنها أوتادُ الحديدِ ، وكأن جلودَهما فِلَقُ الصخورِ ، وعظامُهما [٥] كأنها عُمُدُ النُّحاسِ ، هما رأسا خلْقى الذين [٦] خلَقْتُ للقتالِ ، أأنت ملأتَ جلودَهما لحمًا ؟ أم أنت ملأتَ رءوسَهما دِماغًا ؟ أم هل لك فى خلقِهما من شِرْكٍ ؟ أم لك بالقوَّةِ التى عمِلَتْهما [٧] يدانِ ؟ أو هل يبلُغُ من قوَّتِك أن تَخطِمَ على أُنوفِهما ؟ أو تضَعَ يدَك على رُءوسِهما ؟ أو تقعُدَ لهما على طريقِ فتحبِسَهما ، أو تصُدَّهما عن [٨] قوَّتِهما ؟ أين أنتَ يومَ خلَقتُ التِّنِّينَ ؟ رِزقُه فى البحرِ ومسكَنُه فى السحابِ ، عيناهُ تَوَقَّدانِ نارًا ، ومِنخراه يثورانِ دُخَانًا ، أُذناه مثلُ قوسِ السحابِ ، يثورُ منهما لهبٌ كأنه إعصارُ العجاجِ ، جَوفُه يَحْتَرِقُ ، ونَفَسُه يلتهِبُ ، وزبدُه [٩] جَمرٌ أمثالُ [٩] الصخورِ ، وكأن صريفَ أسنانِه أصواتُ الصواعقِ ، وكأن نظرَ عينيهِ لهبُ البرْقِ ، أسرارٌ [١٠] لا تدخُلُه الهمومُ ، تمرُّ به الجيوشُ وهو مُتَّكئٌ لا يُفْزِعُه شىءٌ ، ليس فيه مِفصَلٌ [١١] ، الحديدُ عندَه مثلُ التبنِ ، والنُّحاسُ عندَه مثلُ الخيوطِ ، لا

(١ - ١) فى عرائس المجالس : « يبصر العقاب الصيد البعيد واضحا فى أماكن الفلا » .

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) فى م : « الوتينان » ، وفى ت ٢ : « الويتان » ، وفى عرائس المجالس : « اللوتيا » .

(٤) فى ص ، ت ١ ، ف : « كوم » ، وفى ت ٢ : « أكرم » .

(٥) فى ت ٢ : « أفخاذهما » .

(٦) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ف : « الذى » .

(٧) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ف : « علمتها » .

(٨) فى ص ، ت ١ ، ف : « من » .

(٩ - ٩) فى م : « كأمثال » .

(١٠) فى م : « أسراره » .

(١١) بعده فى م بين معكوفين : « زير » .

يفزَعُ من النُّشَّابِ ، ولا يُحِسُّ وقْعَ الصخورِ على جسدِه ، ويضحَكُ من النيازِكِ ، ويسيرُ فى الهواءِ كأنه عصفورٌ ، ويُهلِكُ كلَّ شىءٍ يمرُّ به ، ملكُ الوحوشِ ، وإياه آثرتُ بالقوَّةِ على خلْقِى ، هل أنت آخِذُه بأُحبولَتِك فرابطُه بلسانِه ، أو واضِعٌ اللجامَ فى شِدقِه ؟ أتظنُّه يُوفِى بعهدِك ، أو يُسبِّحُ من خوفِك ؟ هل تُحصِى عُمُرَه ، أم هل تدرِى أجلَه ؟ أو تُفوِّتُ رزْقَه ؟ أم هل تدرِى ماذا خرَبَ من الأرضِ ؟ أم ماذا يُخرِّبُ فيما بقِى من عُمُرِه ؟ أتطيقُ غضبَه حينَ يغضَبُ ؟ أم تأمرُه فيُطيعَك[1] ؟ تبارَك اللَّهُ وتعالَى .

قال أيوبُ عليه السلامُ : قَصَرْتُ عن هذا الأمرِ الذى تعرِضُ لى ، ليتَ الأرضَ انشَقَّت بى ، فذهبتُ فى بلائى ، ولم أتكَلَّمْ بشىءٍ يُسخِطُ رَبِّى ، اجتَمَع علىَّ البلاءُ ، إلهى جعَلتنى لك مثلَ العدوِّ ، وقد كنتَ تُكرِمُنى ، وتعرِفُ نُصْحِى ، وقد علِمتُ أن كلَّ[2] الذى ذكَرتَ صُنْعُ يديْك ، وتدبيرُ حكمتِك ، وأعظَمُ من هذا ما شئتَ عمِلتَ ، لا يُعجِزُك شىءٌ ، ولا تخفَى عنك[3] خافيةٌ ، ولا تغيبُ [٢/٣٨٩ظ] عنك غائبةٌ ، مَنْ هذا الذى يظُنُّ أن يُسِرَّ عنك سرًّا ، وأنت تعلَمُ ما يخطُرُ على القلوبِ ؟ وقد علِمتُ منك فى بَلائِى هذا ما لم أكُنْ أعلَمُ ، وخِفْتُ / حينَ بلوتُ ٦٥/١٧
أمرَك أكثرَ مما كنتُ أخافُ ، إنما كنتُ أسمَعُ بسَطوتِك[4] سَمعًا ، فأمَّا الآنَ فهو بصَرُ العينِ ، إنما تكلَّمتُ حينَ تكلمتُ لتعذِرَنى ، وسكتُّ حينَ سكتُّ لترحَمَنى ، كلمةٌ زَلَّتْ فلن أعودَ ، قد وضَعتُ يدى على فَمِى ، وعَضَضتُ على لسانى ، وألصَقتُ

---

(١) فى م : « فيعطيك » ، وفى ت ٢ : « فتطيعك » .

(٢) سقط من : م .

(٣) فى م ، ف : « عليك » .

(٤) فى ت ٢ ، ف : « بصوتك » .

بالترابِ خَدِّى ، ودَسَسْتُ[١] وَجْهِى لصَغارِى ، وسكتُّ كما أسكَتَتْنى خطيئَتى ، فاغفِرْ لى ما قلتُ ، فلن أعودَ لشىءٍ تكرَهُه مِنِّى .

قال اللَّهُ تباركَ وتعالَى : يا أيوبُ نفَذ فيك عِلْمى ، وبحِلْمى صرَفتُ عنك غَضَبى إذ خطِئْتَ ، فقد غَفَرتُ لك وردَدتُ عليك أهلَك ومالَك ومثلَهم معهم ، فاغتَسِلْ بهذا الماءِ ، فإن فيه شفاءَك ، وقرِّبْ عن صحابتِك قُربانًا ، واستغفِرْ لهم ، فإنهم قد عَصَوْنى فيك[٢] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، قال : ثنى محمدُ بنُ إسحاقَ ، عمَّن لا يَتَّهِمُ ، عن وهبِ بنِ مُنبهٍ اليمانىِّ وغيرِه من أهلِ الكُتبِ الأُوَلِ ، أنه كان من حديثِ أيوبَ أنه كان رجلًا من الرومِ ، وكان اللَّهُ قد اصطفاه ونبّأَه ، وابتَلاهُ فى الغِنَى بكثرةِ الولدِ والمالِ ، وبسَط عليه من الدنيا ، فوسَّع عليه فى الرزقِ ، وكانت له البَثَنيةُ من أرضِ الشامِ ، أعلَاها وأسفلُها ، وسهلُها وجبَلُها ، وكان له فيها من أصنافِ المالِ كلِّه ؛ من الإبلِ والبقرِ والغنمِ والخيلِ والحميرِ ما لا يكونُ للرجلِ أفضَلُ منه فى العِدَّةِ والكثرةِ ، وكان اللَّهُ قد أعطاهُ أهلًا وولدًا من رجالٍ ونساءٍ ، وكان بَرًّا تَقيًّا رحيمًا بالمساكين ، يُطعِمُ المساكينَ ، ويحمِلُ الأراملَ ، ويكفُلُ الأيتامَ ، ويُكرِمُ الضيفَ ، ويُبلِّغُ ابنَ السبيلِ ، وكان شاكِرًا لأنعُمِ اللَّهِ عليه ، مؤدِّيًا لحقِّ اللَّهِ فى الغِنى ، قد امتنَع من عدوِّ اللَّهِ إبليسَ أن يُصيبَ منه ما أصابَ من أهلِ الغِنى من العِزَّةِ والغفْلَةِ ، والسهوِ[٣] والتشاغُلِ عن أمرِ اللَّهِ بما هو فيه من الدنيا ، وكان معه ثلاثةٌ قد آمنوا به

---

(١) فى م : « دست » .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ٣٢٢/١ مختصرًا جدًّا ، وذكره الثعالبى فى عرائس المجالس ص١٣٥ عن وهب وكعب وغيرهما ، وذكره البغوى فى تفسيره ٣٣٧/٥ عن وهب ، وقال ابن كثير فى تفسيره ٣٥٤/٥: وقد ذكر عن وهب بن منبه فى خبره قصة طويلة ساقها ابن جرير و ابن أبى حاتم بالسند عنه ، وذكرها غير واحد من متأخرى المفسرين ، وفيها غرابة ، تركناها لحال الطول .

(٣) فى ت ١، ت ٢: « الشهوة » .

وصدَّقوه ، وعرَفوا فضْلَ ما أعطاه اللَّهُ على مَن سِواه ؛ منهم رجلٌ من أهلِ اليمنِ يقالُ له : أليفزُ . ورجلانِ مِن أهلِ بلادِه يقالُ لأحدِهما : صوفرُ . وللآخرِ : بلدُدُ . وكانوا من بلادِه كُهولًا ، وكان لإبليسَ عدوِّ اللَّهِ مُنزَلٌ من السماءِ السابعةِ يقَعُ به كلَّ سنةٍ مَوقِعًا يسألُ فيه ، فصعِد إلى السماءِ فى ذلك اليومِ الذى كان يصعَدُ فيه ، فقال اللَّهُ له ، أو قيلَ له عن اللَّهِ : هل قدَرْت من أيوبَ عبدِى على شىءٍ ؟ قال : أىْ رَبِّ ، وكيف أقدِرُ منه على شىءٍ و[1] إنما ابتلَيْتَه بالرخاءِ والنعمَةِ والسَّعةِ والعافيةِ ، وأعطيتَه الأهلَ والمالَ والولدَ والغِنى والعافيةَ فى جسَدِه وأهلِه ومالِه ، فما له لا يشكُرُك ويعبُدُك ويُطيعُك وقد صنَعتَ ذلك به ، لو ابتليتَه بنَزْعِ ما أعْطيتَه لحالَ عما كان عليه من شُكْرِك ، ولترَك عبادتَك ، ولخرَج من طاعتِك إلى غيرِها . أو كما قال عدوُّ اللَّهِ ، فقال : قد سلَّطتُك على أهلِه ومالِه . وكان اللَّهُ هو أعلَمَ به ، ولم يُسلِّطْه عليه إلا رحمةً ؛ ليُعظِمَ له الثوابَ بالذى يُصيبُه مِن البلاءِ ، وليجعَلَه عبرةً للصابرين ، وذِكرَى للعابدين ، فى كُلِّ بلاءٍ نزَل بهم ، ليأْتَسُوا[2] به ، وليرْجُوا من عاقبةِ الصبرِ فى عَرَضِ الدنيا ثوابَ الآخرةِ ، وما صنَع اللَّهُ بأيوبَ ، فانحطَّ عدوُّ اللَّهِ سريعًا ، فجمعَ عفاريتَ الجنِّ ومَرَدةَ الشياطينِ من جنودِه ، فقال : إنى قد سُلِّطتُ على أهلِ أيوبَ ومالِه ، فماذا عليكم ؟ فقال قائلٌ منهم : أكونُ إعصارًا فيه نارٌ ، فلا أمُرُّ بشىءٍ من مالِه إلا أهلكْتُه . قال : أنت وذاك . فخرَج حتى أتى إبلَه ، فأحرَقها ورُعاتَها جميعًا ، ثم جاءَ عدوُّ اللَّهِ إلى أيوبَ فى صورةِ قَيِّمِه عليها وهو فى مُصلًّى ، فقال : يا أيوبُ أقبلَت نارٌ حتى غَشِيت إبلَك / فأحرقَتها ومن[3] فيها غيرِى ، فجئتُك أُخبِرُك ذلك[4] . فعرَفه أيوبُ ، فقال : الحمدُ للَّهِ الذى هو أعطاها ، وهو أخَذها ، الذى أخرَجك منها كما يُخْرِجُ الزُّؤانُ[5] من الحبِّ ٦٦/١٧

(١) فى م : « أو » .

(٢) فى م : « ليتأسوا » .

(٣) فى ت ٢ : « ما » .

(٤) فى م ، ت ٢ : « بذلك » .

(٥) فى ص ، ت ١ ، ف : « الزلال » ، وفى ت ٢ : « الدلال » . والزؤان ، بهمز وبغيره : حب يخالط البُرَّ فيكسبه رداءة ، وهو حب يُسكِر . اللسان (ز أ ن ، ز و ن) .

النقيّ . ثم انصرَف عنه ، فجعَل يُصيبُ مالَه مالًا مالًا ، حتى مرَّ على آخِرِه ، كلَّما انتهى إليه هلاكُ مالٍ من مالِه حمِد اللَّهَ وأحسَن عليه الثناءَ ، ورَضِيَ بالقضاءِ ، ووطَّن نفسَه للصبرِ على البلاءِ ، حتى إذا لم يبقَ له مالٌ أتَى أهلَه وولَده وهم فى قصرٍ لهم ، معهم حَظِيَّاتُهم وخدّامُهم ، فتمثَّل ريحًا عاصفًا ، فاحتَمل القصرَ من نواحِيه ، فألقاه على أهلِه ووَلَدِه ، فشدَخهم تحتَه ، ثم أتاه فى صورةِ قَهْرمانِه عليهم ، قد شُدِخ وَجْهُه ، فقال : يا أيوبُ ، قد أتَتْ ريحٌ عاصفٌ ، فاحتَملَت القصرَ من نواحِيه ، ثم ألقَتْه على أهلِك وولدِك فشدَخَهم غيرِى ، فجئتُك أخبِرُك ذلك . فلم يجزَعْ على شىءٍ أصابَه جزَعه على أهلِه وولَدِه ، وأخَذ ترابًا فوضَعه على رأسِه ، ثم قال : ليتَ أُمِّى لم تلِدْنى ، ولم أكُ شيئًا . [٢/٣٩٠و] وسُرَّ بها عدوُّ اللَّهِ منه ، فأصعَد إلى السماءِ جَذِلًا ، وراجَع أيوبُ التوبةَ مما قال ، فحمِد اللَّهَ ، فسبَقت توبتُه عدوَّ اللَّهِ إلى اللَّهِ ، فلما جاءَ وذكَر ما صنَع ، قيل له : قد سبَقتْك توبتُه إلى اللَّهِ ومراجَعتُه . قال : أىْ رَبِّ ، فسلِّطْنى على جسَدِه . قال : قد سلَّطتُك على جسَدِه إلا على لسانِه وقلبِه ونفَسِه وسَمعِه وبصَرِه . فأقبلَ إليه عدوُّ اللَّهِ وهو ساجِدٌ ، فنفَخ فى جسَدِه نفخةً أشعَل ما بينَ قرنِه إلى قدَمِه ، كحريقِ النارِ ، ثم خرَج فى جسدِه ثآليلُ كأليَاتِ الغنَمِ ، فحَكَّ بأظفارِه حتى ذهَبت ، ثم بالفَخَّارِ والحجارةِ حتى تساقَطَ لحمُه ، فلم يبقَ منه إلا العروقُ والعصَبُ والعظامُ ، عيناه تجولانِ فى رأسِه للنظرِ ، وقلبُه للعقلِ ، ولم يخلُصْ إلى شىءٍ من حشوِ البطْنِ ؛ لأنه لا بقاءَ للنفسِ إلا بها ، فهو يأكُلُ ويشرَبُ على التواءٍ من حُشوتِه ، فمكَث كذلك ما شاءَ اللَّهُ أن يمكُثَ .

فحدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن الحسنِ[(١)] بنِ دينارٍ ، عن الحسنِ ، أنه كان يقولُ : مكَث أيوبُ فى ذلك البلاءِ سبعَ سنينَ وستةَ أشهرٍ ملقًى على رمادٍ مكنسةٍ فى جانبِ القريةِ . قال وهبُ بنُ منبهٍ : ولم يبقَ من أهلِه إلا امرأةٌ واحدةٌ تقومُ عليه وتكسِبُ له ، ولا يقدِرُ عدوُّ اللَّهِ منه على قليلٍ ولا كثيرٍ مما يريدُ .

---

(١) سقط من : م ، وينظر الجرح والتعديل ٣/ ١١.

فلما طالَ البلاءُ عليه وعليها ، وسئِمها الناسُ ، وكانت تكسِبُ عليه ما تُطعِمُه وتَسقِيه . قال وَهْبُ بنُ منبهٍ : فحُدِّثتُ أنها التَمَست له يومًا من الأيام ما تُطعِمُه ، فما وجَدَت شيئًا حتى جزَّت قَرْنًا من رأسِها[1] فباعَته برغيفٍ . فأتَته به[2] فعشَّتْه إياه ، فلبِث فى ذلك البلاءِ تلك السنينَ ، حتى إن كان المارُّ ليمُرُّ فيقولُ : لو كان لهذا عندَ اللَّهِ خيرٌ لأراحَه مما هو فيه .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، قال : فحدَّثنى محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : وكان وهبُ بنُ منبهٍ يقولُ : لَبِث فى ذلك البلاءِ ثلاثَ سنينَ لم يزِدْ يومًا واحدًا ، فلما غلَبه أيوبُ فلم يستَطِعْ منه شيئًا ، [3]اعترَض امرأتَه[3] فى هيئةٍ ليست كهيئةِ بنى آدمَ فى العِظَمِ والجسْمِ والطولِ ، على مركبٍ ليس من مراكبِ الناسِ ، له عِظَمٌ وبهاءٌ وجمالٌ ليس لها ، فقال لها : أنت صاحبةُ أيوبَ هذا الرجلِ المبتلَى ؟ قالت : نعَم . قال : هل تعرِفينَنى ؟ قالت : لا . قال : فأنا إلَهُ الأرضِ ، وأنا الذى صنَعتُ بصاحِبِك ما صنَعتُ ، وذلك أنه عبَد إلَهَ السماءِ وترَكنى فأغضَبَنى ، ولو سجَد لى سجدةً واحدةً ردَدتُ عليه وعليكِ كلَّ ما كان لكُما من مالٍ وولَدٍ ، فإنه عِندى . ثم أراها إياهم فيما ترَى ببطنِ الوادى الذى لَقيها فيه . قال : وقد سمِعتُ أنه إنما قال : لو أن صاحِبَك أكَل / طعامًا ولم ٦٧/١٧
يُسَمِّ عليه ، لعُوفِى مما به من البلاءِ . واللَّهُ أعلَمُ . وأرادَ عدوُّ اللَّهِ أن يأتيَه من قِبَلِها ، فرجَعت إلى أيوبَ فأخبرَته بما قال لها وما أراها ، قال : أقد[4] أتاكِ عدوُّ اللَّهِ ليفتِنَكِ عن دِينِكِ ؟ ثم أقسَم إنِ اللَّهُ عافاه ليضرِبَنَّها مائةَ ضربةٍ .

فلما طالَ عليه البلاءُ ، جاءه أولئك النفَرُ الذين كانوا معه قد آمنوا به وصدَّقوه ،

---

(١) فى ت ٢: « شعرها » .

(٢) سقط من : ص ، ت ١، ت ٢، ف .

(٣ - ٣) فى ص ، ف : « أعرض امرأته » .

(٤) فى م : « أو قد » .

معهم فتًى حديثُ السنِّ ، قد كان آمن به وصدَّقه ، فجلَسُوا إلى أيوبَ ونظَروا إلى ما به من البلاءِ ، فأعظَموا ذلك وفَظِعوا به ، وبلَغ من أيوبَ صلواتُ اللَّهِ عليه مجهودُه ، وذلك حينَ أرادَ اللَّهُ أن يُفرِّجَ عنه ما به ، فلما رأى أيوبُ ما أعظَموا مما أصابَه ، قال : أى رَبِّ ، لأىِّ شيءٍ خَلَقتَنى ؟ ولو كنتَ إذ قضَيْتَ علىَّ البلاءَ تركتَنى فلم تخلُقْنى ، ليتَنى كنتُ دَمًا ألقَتْنى أُمِّى . ثم ذكَر نحوَ حديثِ ابنِ عسْكَرٍ ، عن إسماعيلَ بنِ عبدِ الكريمِ ، إلى : وكابَدُوا الليلَ ، واعتزَلوا الفُرُشَ ، وانتظَروا الأسحارَ . ثم زاد فيه : أولئك الآمنون الذين لا يَخافُون ، ولا يهتَمُّون ولا يحزَنون ، فأين عاقبةُ أمرِك يا أيوبُ من عواقبِهم ؟ قال فتًى حضَرهم ، وسمِع قولَهم[1] ، ولم يفطِنوا له ، ولم يأبَهوا[2] لمجلِسِه ، وإنما قيَّضَه اللَّهُ لهم ؛ لما كان من جَوْرِهم فى المنطِقِ وشطَطِهم ، فأرادَ اللَّهُ أن يُصغِرَ به إليهم أنفسَهم ، وأن يُسَفِّهَ بصَغَرِه لهم أحلامَهم ، فلما تكلَّم تمادَى فى الكلامِ فلم يزدَدْ إلا حُكْمًا ، وكان القومُ من شأنِهم الاستماعُ والخشوعُ إذا وُعِظوا أو ذُكِّروا ، فقال : إنكم تكلَّمتُم قَبْلى أيها الكهولُ ، وكُنتُم أحقَّ بالكلامِ وأَوْلى به منى ؛ لحقِّ أسنانِكم ، ولأنكم قد جرَّبْتُم قَبْلى ، ورأيتُم وعلِمتم ما لم أعلَمْ ، وعرَفتُم ما لم أعرِفْ ، ومع ذلك قد تركتُم من القولِ أحسَنَ من الذى قلتُم ، ومن الرأيِ أصوبَ من الذى رأيتُم ، ومن الأمرِ أجملَ من الذى أتيتُم ، ومن الموعظةِ أحكَمَ من الذى وصَفتُم ، وقد كان لأيوبَ عليكم من الحقِّ والذِّمامِ أفضلُ من الذى وصَفتم ، فهل تدرونَ أيها الكهولُ حقَّ مَن انتقَصْتم ؟ وحُرمةَ مَن انتهَكْتم ؟ ومَن الرجلُ الذى عِبْتُم واتَّهَمْتم ؟ ألم تعلَموا أيها الكهولُ أن أيوبَ نبىُّ اللَّهِ

---

(١) فى ص ، ت ١، ت ٢، ف : « قوله » .

(٢) فى ت ١ : « ينتبهوا » .

وخِيرتُه وصِفوتُه من أهلِ [٢/٣٩٠ظ] الأرضِ يومَكم هذا؟ اختارَه اللَّهُ لوحيِه، واصطَفاه لنفسِه، وائْتَمنه على نبوَّتِه، ثم لم تعلَموا ولم يُطلِعْكم اللَّهُ على أنه سخِط شيئًا من أمرِه مذ آتاه ما آتاه إلى يومِكم هذا، ولا على أنه نزَع منه شيئًا من الكرامةِ التى أكرَمه بها مذ آتاه ما آتاه إلى يومِكم هذا، ولا أن أيوبَ غَيَّر الحقَّ فى طولِ ما صحِبتُموه إلى يومِكم هذا، فإن كان البلاءُ هو الذى أزْرَى به عندَكم، ووضَعه فى أنفسِكم، فقد علِمتم أن اللَّهَ يَبتَلِى النبيِّين والصدِّيقين والشهداءَ والصالحين، ثم ليس بلاؤُه لأولئك بدليلِ سخْطِه عليهم، ولا لهوانِه لهم، ولكنها كرامةٌ وخِيرَةٌ لهم، ولو كان أيوبُ ليس من اللَّهِ بهذه المنزلةِ، ولا فى النبوَّةِ ولا فى الأَثرةِ ولا فى الفضيلةِ ولا فى الكرامةِ، إلا أنه أخٌ آخَيْتُموه[(١)] على وَجْهِ الصحابةِ، لكان، [(٢)]وهو[(٢)] لا يجمُلُ بالحكيمِ أن يعذِلَ أخاه عندَ البلاءِ، ولا يُعيِّره بالمصيبةِ بما لا يعلَمُ وهو مكروبٌ حزينٌ، ولكن يرحَمُه ويبكِى معه، ويستغفِرُ له، ويحزَنُ لحزنِه، ويدُلُّه على مراشِدِ أمرِه، وليس بحكيمٍ ولا رشيدٍ من جهِل هذا، فاللَّهَ اللَّهَ أيها الكهولُ فى أنفسِكم.

قال: ثم أقبَل على[(٣)] أيوبَ عليه السلامُ فقال، وقد كان فى عَظمةِ اللَّهِ وجَلالِه، وذكْرِ الموتِ: ما يقطَعُ لسانَك، ويكسِرُ قلبَك، ويُنسيك حُجَجَك، ألم تعلَمْ يا أيوبُ أن للَّهِ عبادًا أسكنَتْهم خَشْيتُه من غيرِ عِىٍّ[(٤)] ولا بَكَمٍ؟ وإنهم لهم الفصحاءُ النُّطَقاءُ النبلاءُ الألبّاءُ العالمون باللَّهِ وبآياتِه، ولكنهم إذا ذكرُوا عظمةَ اللَّهِ
/انقطَعت ألسنتُهم، واقْشَعرَّت جلودُهم، وانكسرَت قلوبُهم، وطاشَت عقولُهم، ٦٨/١٧
إعظامًا للَّهِ، وإعزازًا وإجلالًا، فإذا استَفاقوا من ذلك استَبَقُوا إلى اللَّهِ بالأعمالِ

(١) فى م: «أجبتموه».
(٢ - ٢) سقط من: م.
(٣) فى ت ٢: «إلى».
(٤) فى ص، ت ١، ف: «عمى».

الزاكيةِ ، يَعُدُّونَ أنفسَهم مع الظالمين والخاطئين ، وإنهم لأنزاهٌ برآءُ ، مع[١] المقصِّرين والمفرِّطين ، وإنهم لأكياسٌ أقوياءُ ، ولكنهم لا يستكثِرون للَّهِ الكثيرَ ، ولا يَرضَوْن للَّهِ بالقليلِ ، ولا يُدِلُّون عليه بالأعمالِ ، فهم مُروَّعون مُفزَّعون مغتَمُّون ، خاشِعون وجِلون ، مستكِينون معترِفون ، متى ما رأيتَهم يا أيوبُ .

قال أيوبُ : إن اللَّهَ يزرَعُ الحكمةَ بالرحمةِ فى قلبِ الصغيرِ والكبيرِ ، فمتى نبتَت فى القلبِ يُظهِرُها اللَّهُ على اللسانِ ، وليست تكونُ الحكمةُ من قِبَلِ السنِّ ولا الشبيبةِ ، [٢]ولا[٢] طولِ التجرِبةِ ، وإذا جعَل اللَّهُ العبدَ حكيمًا فى الصِّبَا[٣] لم تَسْقُطْ منزلتُه[٤] عندَ الحكماءِ ، وهم يَرَون عليه من اللَّهِ نورَ الكرامةِ ، ولكنكم قد أعجبَتْكُم أنفسُكم ، وظنَنْتم[٥] أنكم عُوفِيتم بإحسانِكم ، فهنالِك بغَيتم وتعزَّزْتم ، ولو نظَرتم فيما بينَكم وبينَ رَبِّكم ، ثم صدَقتم أنفسَكم ، لوجَدتم لكم عيوبًا ستَرها اللَّهُ بالعافيةِ التى ألبَسكم ، ولكنى قد أصبَحتُ اليومَ وليس لى رأىٌ ولا كلامٌ معكم ، قد كنتُ فيما خَلا مسموعًا كلامِى ، معروفًا حقِّى ، مُنتصِفًا من خَصْمِى ، قاهرًا لمن هو اليومَ يقهَرُنى ، مَهيبًا مَكانى ، والرجالُ مع ذلك يُنصِتون لى ويوقِّرونى ، فأصبَحتُ اليومَ قد انقَطَع رَجائى ، ورُفِع حَذَرِى ، ومَلَّنى أهلِى ، وعَقَّنى أرحامِى ، وتنكَّرَت لى معارِفى ، ورغِب عنِّى صَديقى ، وقطَعنى أصحابى ، وكفَرنى أهلُ بيتى ، وجُحِدَتْ حُقوقى ، ونُسِيت صنائِعى ، أصرُخُ فلا يُصْرِخونَنى ، وأعتذِرُ فلا يُعذِرونَنى ، وإن قضاءَه هو الذى أذلَّنى ، وأقمأَنى ، وأخسأَنى ، وإن سُلطانَه هو الذى أسقَمنى ،

---

(١) فى م ، ت ١، ت ٢، ف : « ومع » .

(٢ - ٢) فى ص ، ت ١، ت ٢، ف : « إلا » .

(٣) فى م : « الصيام » .

(٤) فى ص ، م ، ت ١، ت ٢: « منزله » .

(٥) فى ص ، ت ١، ت ٢، ف : « ظنى » .

وأنحَل جِسْمى ، ولو أن رَبى نزَع الهيبةَ التى فى صَدرِى ، وأطلَق لِسانى حتى أتكلَّمَ بملءِ فَمِى ، ثم كان ينبَغى للعبدِ أن يُحاجَّ عن نفسِه ، لرجَوتُ أن يُعافيَنى عندَ ذلك مما بى ، ولكنه ألقانى وتعالى عنى ، فهو يَرانى ولا أَراه ، ويسمَعُنى ولا أسمَعُه ، لا نظَر إلىَّ فرحِمنى ، ولا دَنا منى ولا أدنانى فأُدْلِىَ بعُذرِى ، وأتكلَّمَ ببراءَتى ، وأُخاصِمَ عن نفسِى .

لمّا قال ذلك أيوبُ وأصحابُه عندَه ، أظَلَّه غمامٌ حتى ظَنَّ أصحابُه أنه عذابٌ ، ثم نُودِىَ منه[1] : يا أيوبُ ، إن اللَّهَ يقولُ : ها أنذا ذا قد دَنوتُ منك ، ولم أَزَلْ منك قريبًا ، فقُمْ فأَدْلِ بعُذرِك الذى زَعَمتَ ، وتكلَّمْ ببراءتِك ، وخاصِمْ عن نفسِك ، واشدُدْ إزارَك . ثم ذكَر نحوَ حديثِ ابنِ عسكرٍ ، عن إسماعيلَ ، إلى آخرِه ، وزاد فيه : ورَحمتى سبَقت غضَبى ، فاركُضْ برِجلِك هذا مغتَسَلٌ باردٌ وشرابٌ فيه شفاؤُك ، وقد وهَبتُ لك أهلَك ومثلَهم معهم ، ومالَك ومثلَه معه . وزعَموا : ومثلَه معه لتكونَ لمن خلفَك آيةً ، ولتكونَ عبرةً لأهلِ البلاءِ ، [٢/٣٩١و] وعزاءً للصابرين . فركَض برِجْلِه ، فانفجَرتْ له عَيْنٌ ، فدخَل فيها فاغتَسل ، فأذهَب اللَّهُ عنه كلَّ ما كان به من البلاءِ ، ثم خرَج فجلَس ، وأقبلَت امرأتُه تلتمِسُه فى مضجَعِه ، فلم تجِدْه ، فقامَتْ كالوالهةِ متلدِّدةً ، ثم قالت : يا عبدَ اللَّهِ ، هل لك عِلمٌ بالرجلِ المبتَلى الذى كان ههنا ؟ قال : لا . ثم تبَسَّم ، فعرَفته بمضحَكِه ، فاعتنقَتْه .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن بعضِ أهلِ العلمِ ، عن وهبِ بنِ منبهٍ ، / قال : فحدَّثتُ عبدَ اللَّهِ بنَ عباسٍ حديثَه ، واعتِناقَها إياه ، فقال عبدُ اللَّهِ : فوالذى نفسُ عبدِ اللَّهِ بيدِه ، ما فارَقَتْه من عِناقِه حتى مرَّ بهما[2] ٦٩/١٧

(١) بعده فى م : « ثم قيل له » .

(٢) فى م : « بها » .

كلُّ مالٍ لهما وولَدٍ[(١)] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : وقد سمِعتُ بعضَ من يذكُرُ الحديثَ عنه أنه دَعاها حينَ سألتْ عنه ، فقال لها : وهل تعرِفينَه إذا رأيتِه ؟ قالت : نعَم ، ومالى لا أعرِفُه ؟ فتبسَّم ، ثم قال : ها أنا هو ، وقد فرَّج اللَّهُ عنى ما كنتُ فيه . فعندَ ذلك اعتنقَتْه .

قال وهبٌ : فأوحَى اللَّهُ إليه[(٢)] فى قسَمِه ليضرِبَنَّها فى الذى كلَّمتْه أن : ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْۗ﴾ [ص : ٤٤] . أى : قد بَرَرتَ يمينَك . يقولُ اللَّهُ تعالى : ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ . يقولُ اللَّهُ : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص : ٤٣] .

حدَّثنا يحيى بنُ طلحةَ اليربوعىُّ ، قال : ثنا فُضَيلُ بنُ عياضٍ ، عن هشامٍ ، عن الحسنِ ، قال : لقد مكَث أيوبُ مطروحًا على كُناسةٍ سبعَ سنينَ وأشهرًا ما يسأَلُ اللَّهَ أن يكشِفَ ما به . قال : وما على وَجْهِ الأرضِ خلقٌ أكرَمُ على اللَّهِ من أيوبَ ، فيزعُمون أن بعضَ الناسِ قال : لو كان لرَبِّ هذا فيه حاجةٌ ما صنَع به هذا . فعندَ ذلك دَعا[(٣)] .

حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا ابنُ عُليةَ ، عن يونسَ ، عن الحسنِ ، قال : بَقِى أيوبُ على كُناسةٍ لبنى إسرائيلَ سبعَ سنينَ وأشهرًا تختلِفُ فيه[(٤)] الدوابُّ[(٥)] .

---

(١) ذكره البغوى فى تفسيره ٥/٣٤٢ عن ابن عباس .

(٢) سقط من : م .

(٣) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٣٢٤.

(٤) فى م : « عليه » .

(٥) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٣٢٤، ووقع فى آخره : اختلف فيها - فيه - الرواة . وهو خطأ .

حدَّثني محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : ثنا يحيى بنُ معينٍ ، قال : ثنا ابنُ عُيينةَ ، عن عمرٍو ، عن وهبِ بنِ منبهٍ ، قال : لم يكُنْ بأيوبَ الأَكَلَةُ ، إنما كان يخرُجُ به مثلُ ثَدْيِ النساءِ ثم ينقُفُه[1][2] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا مخلدُ بنُ حسينٍ ، عن هشامٍ ، عن الحسنِ ، وحجاجٌ ، عن مباركٍ ، عن الحسنِ - زاد أحدُهما على الآخرِ - قال : إن أيوبَ آتاه اللَّهُ مالًا ، وأوسَع عليه ، وله من النساءِ والبقرِ والغنَمِ والإبلِ ، وإن عدوَّ اللَّهِ إبليسَ قيل له : هل تقدِرُ أن تفتِنَ أيوبَ ؟ قال : رَبِّ إن أيوبَ أصبَح فى دُنيا من مالٍ وولَدٍ ، ولا يستطيعُ ألا يشكُرَك ، ولكن سلِّطْنى[3] على مالِه وولَدِه ، فستَرى كيف يُطيعُنى ويَعصِيك . قال : فسلَّطَه[3] على مالِه وولَدِه . قال : فكان يأتى بالماشيةِ من مالِه من الغنمِ فيحرِقُها بالنيرانِ ، ثم يأتى أيوبَ وهو يُصلِّى متشبِّهًا براعِى الغنمِ ، فيقولُ : يا أيوبُ ، تُصلِّى لربِّك ! ما ترَك اللَّهُ لك من ماشيتِك شيئًا من الغنمِ إلا أحرَقها بالنيرانِ ، وكنتُ ناحيةً فجئتُ لأُخبِرَك . قال : فيقولُ أيوبُ : اللهمَّ أنت أعطيتَ ، وأنتَ أخذتَ ، مهما تُبْقِ نفسِى أَحمَدْك على حُسْنِ بلائِك . فلا يقْدِرُ منه على شىءٍ مما يريدُ ، ثم يأتى ماشيتَه من البقرِ فيحرِقُها بالنيرانِ ، ثم يأتى أيوبَ فيقولُ له ذلك ، ويرُدُّ عليه أيوبُ مثلَ ذلك . قال : وكذلك فعَل بالإبلِ حتى ما ترَك نه[4] ماشيةً ، حتى هدَم البيتَ على ولَدِه ، فقال : يا أيوبُ أرسَل اللَّهُ على ولَدِك من هدَم عليهم البيوتَ ، حتى هلكوا . فيقول أيوبُ مثلَ ذلك ، وقال : رَبِّ هذا حينَ أحسنتَ إلىَّ الإحسانَ كلَّه ، قد كنتُ قبلَ اليومِ يشغَلُنى حُبُّ المالِ بالنهارِ ، ويشغَلُنى حُبُّ الولَدِ بالليلِ شفقةً عليهم ، فالآن

---

(١) النَّقْفُ : كسر الهامة عن الدماغ ونحو ذلك ، كما ينقف الظليم الحنظل عن حبه - أى يشقه - ونقف الفرخُ البيضة : نقبها وخرج منها . التاج (ن ق ف) .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٢٨ إلى المصنف .

(٣) بعده فى ت ٢ : « عليه و » .

(٤) بعده فى م ، ت ١ ، ف : « من » .

أُفرِغُ سمْعِى / لك[١] وبصَرى ، وليلى ونهارِى ، بالذكْرِ والحمدِ ، والتقديسِ والتهليلِ . ٧٠/١٧
فينصرِفُ عدوُّ اللَّهِ من عندِه لم يُصِبْ منه شيئًا مما يريدُ .

قال : ثم إن اللَّهَ تبارك وتعالى قال : كيف رأيتَ أيوبَ ؟ قال إبليسُ : أيوبُ قد علِم أنك سترُدُّ عليه مالَه وولدَه ، ولكن سلِّطنى على جسَدِه ، فإن أصابَه الضرُّ فيه أطاعَنى وعَصاك . قال : فسُلِّط على جسَدِه ، فأتاه فنفَخ فيه نفخةً قَرِح من لَدُن قرنِه إلى قدَمِه . قال : فأصابَه البلاءُ بعدَ البلاءِ ، حتى حُمِل [٢/٣٩١ظ] فوُضِعَ على مَزْبلَةِ كُناسةِ لبنى إسرائيلَ ، فلم يبقَ له مالٌ ولا ولَدٌ ولا صَديقٌ ولا أحدٌ يَقرَبُه غيرُ زوجَتِه ، صبَرت معه ، تَصَدَّقُ[٢] و[٣] تأتيه بطعامٍ ، وتحمَدُ اللَّهَ معه إذا حمِد ، وأيوبُ على ذلك لا يفتُرُ من ذكرِ اللَّهِ والتحميدِ والثناءِ على اللَّهِ ، والصبرِ على ما ابتلاهُ اللَّهُ .

قال الحسنُ : فصرَخ إبليسُ عدوُّ اللَّهِ صرخةً جمَع فيها جنودَه من أقطارِ الأرضِ جزَعًا من صبرِ أيوبَ ، فاجتَمَعوا إليه وقالوا له : اجْتَمَعْنا[٤] ، ما حَزَبَك[٥] ؟ ما أعياكَ ؟ قال : أعيانى هذا العبدُ الذى سألتُ رَبِّى أن يُسلِّطَنى على مالِه وولَدِه ، فلم أدَعْ له مالًا ولا ولَدًا ، فلم يزدَدْ بذلك إلا صبرًا وثناءً على اللَّهِ وتحميدًا له ، ثم سُلِّطتُ على جسَدِه فترَكتُه قُرْحةً ملقاةً على كُناسةِ بنى إسرائيلَ ، لا يقرَبُه إلا امرأتُه ، فقد افتضَحْتُ برَبِّى ، فاستعَنْتُ بكم ، فأَعينونى عليه . قال : فقالوا له : أين مكرُك ؟ أين عِلمُك الذى أهلَكْتَ به من مضَى ؟ قال : بطَل ذلك كلُّه فى أيوبَ ، فأَشيروا علىَّ . قالوا :

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى م : « بصدق » ، وفى ت ٢ : « فتصدق » . وتصدق هنا بمعنى : تسأل . ينظر اللسان (ص د ق) .

(٣) بعده فى م : « كانت » .

(٤) فى م : « جمعتنا » .

(٥) فى م ، ت ٢ : « خبرك » ، وفى ت ١ ، ف : « أحزنك » . وحزبه الأمر : نابه ، واشتد عليه ، وقيل : ضغطه . اللسان (ح ز ب) .

نُشيرُ عليك ، أرأيتَ آدمَ حينَ أخرَجْتَه من الجنةِ ، من أينَ أتيتَه ؟ قال : من قِبَلِ امرأتِه . قالوا : فشأنُك بأيوبَ مِن قبَلِ امرأتِه ، فإنه لا يستطيعُ أن يَعصِيَها ، وليس أحدٌ يقرَبُه غيرُها . قال : أصبْتُم . فانطلَق حتى أتى امرأتَه وهى تَصَدَّقُ ، فتمثَّل لها فى صورةِ رجلٍ ، فقال : أينَ بعلُكِ يا أمةَ اللَّهِ ؟ قالت : ها هو ذاك يحُكُّ قروحَه ، وتتردَّدُ الدوابُّ فى جسَدِه . فلما سمِعها طمِع أن تكونَ كلمةَ جزَعٍ ، فوقَع فى صَدْرِها ، فوسْوَسَ إليها ، فذكَّرها ما كانت فيه من النِّعَمِ والمالِ والدوابِّ ، وذكَّرها جمالَ أيوبَ وشبابَه ، وما هو فيه من الضرِّ ، وأن ذلك لا ينقَطِعُ عنهم أبدًا . قال الحسنُ : فصرَخت . فلما صرَخت علِم أن قد صرَخت وجَزِعَتْ ، أتاها بسَخْلةٍ ، فقال : ليذبَحَ هذا إلىَّ أيوبُ ويبرأُ . قال : فجاءت تصرُخُ : يا أيوبُ ، يا أيوبُ ، حتى متى يعذِّبُك رَبُّك ؟ ألا يرحَمُك ؟ أينَ الماشيةُ ؟ أين المالُ ؟ أين الولَدُ ؟ أين الصديقُ ؟ أين لونُك الحسَنُ ؟ قد تغيَّر وصارَ مثلَ الرمادِ ، أينَ جسمُك الحسَنُ الذى قد بلِى وتردَّدَ فيه الدوابُّ ؟ اذبَحْ هذه السَّخْلةَ واسترِحْ . قال أيوبُ : أتاكِ عدوُّ اللَّهِ فنفَخ فيكِ ، فوجَد فيكِ رِفْقًا وأَجبتِه ، ويلَكِ ، أرأيتِ ما تبكين عليه مما تذكُرين مما كنا فيه من المالِ والولَدِ والصحةِ والشبابِ ، من أعطانيه ؟ قالت : اللَّهُ . قال : فكم متَّعَنا به ؟ قالت : ثمانين سنةً . قال : فمُذْ كم ابتَلانا اللَّهُ بهذا البلاءِ الذى ابتَلانا به ؟ قالت : منذُ سبعِ سنين وأشهرٍ . قال : ويلَكِ ! واللَّهِ ما عدَلتِ ولا أنصَفتِ رَبَّك ، ألا صبَرتِ حتى نكونَ فى هذا البلاءِ الذى ابتلانا رَبُّنَا به ثمانين سنةً كما كُنا فى الرخاءِ ثمانين سنةً ؟ واللَّهِ لئن شفانى اللَّهُ لأجْلِدنَّكِ مائةَ جلدةٍ ، هِيهِ ، أمرتِينى أن أذْبَح لغيرِ اللَّهِ ، طعامُك وشرابُك الذى تأتينى به علىَّ حرامٌ ، وأن أذُوقَ ما تأتينى به بعدُ ، إذ قلتِ لى هذا فاغرُبى عَنِّى ، فلا أراكِ . فطردَها فذهَبت ، فقال الشيطانُ : هذا قد وطَّن نفسَه ثمانين سنةً على هذا البلاءِ الذى هو فيه ، / فباءَ بالغلَبةِ ورفَضه . ونظَر أيوبُ إلى امرأتِه ٧١/١٧

قد طرَدها ، وليس عندَه طعامٌ ولا شرابٌ ولا صَديقٌ . قال الحسنُ : ومرَّ به رجلانِ وهو على تلك الحالِ ، ولا واللَّهِ ما على ظهْرِ الأرضِ يومئذٍ أكرَمُ على اللَّهِ من أيوبَ ، فقال أحدُ الرجلين لصاحبِه : لو كان للَّهِ فى هذا حاجةٌ ما بلَغ به هذا . فلم يسمَعْ أيوبُ شيئًا كان أشدَّ عليه من هذه الكلمةِ[1] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن جريرِ بنِ حازمٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عُبيدِ بنِ عُميرٍ ، قال : كان لأيوبَ أخوانِ ، فأتياه ، فقاما من بعيدٍ لا يقدِرانِ أن يدنوَا منه من رِيحِه ، فقال أحدُهما لصاحبِه : لو كان اللَّهُ علِم فى أيوبَ خيرًا ما ابتَلاه بما أرَى . قال : فما جزِع أيوبُ من شىءٍ أصابَه جزَعَه من كلمةِ الرجلِ ، فقال أيوبُ : اللهمَّ إن كنتَ تعلَمُ أنى لم أبِتْ ليلةً شبعانَ قطُّ وأنا أعلَمُ مكانَ جائعٍ فصَدِّقْنى . فصُدِّق وهما يسمَعانِ ، ثم قال : اللهمَّ إن كنتَ تعلَمُ أنى لم أتخِذْ قَميصَين قطُّ وأنا أعلَمُ مكانَ عارٍ فصَدِّقْنى . فصُدِّق وهما يسمعانِ . قال : ثم خَرَّ ساجدًا[2] .

فحدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : فحدَّثنى مخلدُ بنُ الحسينِ ، عن هشامٍ ، عن الحسنِ ، قال : فقال : ربِّ ﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ ﴾ . ثم ردَّ ذلك إلى رَبِّه فقال : ﴿ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[3] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن جريرٍ ، عن عبدِ اللَّهِ ابنِ عبيدِ بنِ عميرٍ ، قال : فقيل [٢/٣٩٢و] له : ارفَعْ رأسَك فقد استُجِيب لك .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/ ٣٢٨، ٣٢٩ إلى المصنف .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم - كما فى البداية والنهاية ١/ ٥١٠ - وابن عساكر فى تاريخه ١٠/ ٦٢ من طريق جرير بن حازم به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/ ٣٢٧ إلى ابن أبى شيبة وأحمد فى الوهد وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ١٠/ ٦٣ من طريق مخلد بن الحسين به .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن مباركٍ ، عن الحسنِ ، ومخلدٌ ، عن هشامٍ ، عن الحسنِ ، دخَل حديثُ أحدِهما فى الآخرِ ، قالا : فقيل له : ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ [ص : ٤٢] . فركَض برجلِه فنبعَت عينٌ ، فاغتسَل منها ، فلم يبقَ عليه من دائِه شىءٌ ظاهرٌ إلا سقَط ، فأذهَب اللَّهُ كلَّ ألمٍ وكلَّ سَقَمٍ ، وعاد إليه شبابُه وجمالُه أحسنَ ما كان وأفضلَ ما كان ، ثم ضرَب برجلِه ، فنبَعت عينٌ أُخرى فشرِب منها ، فلم يبقَ فى جوفِه داءٌ إلا خرَج ، فقام صحيحًا ، وكُسِى حُلةً . قال : فجعَل يتلفَّتُ ولا يَرَى شيئًا مما كان له من أهلٍ ومالٍ إلا وقد أضعَفه اللَّهُ له ، حتى واللَّهِ ذُكِر لنا أن الماءَ الذى اغتسَل به تطايَر على صدرِه جرادًا من ذهَبٍ . قال : فجعَل يضمُّه بيدِه ، فأوحَى اللَّهُ إليه : يا أيوبُ ألم أُغنِك ؟ قال : بلَى ، ولكنها بركَتُك ، فمن يشبَعُ منها ! قال : فخرَج حتى جلَس على مكانٍ مُشرِفٍ ، ثم إن امرأتَه قالت : أرأيتِ إن كان طردَنى إلى مَن أكِلُه ؟ أدَعُه يموتُ جوعًا أو يَضيعُ فتأكُلُه السِّباعُ ؟ لأرجِعنَّ إليه . فرجَعتْ ، فلا كُناسةَ ترَى ، ولا من تلك الحالِ التى كانت ، وإذا الأمورُ قد تغيَّرتْ ، فجعَلت تطوفُ حيثُ كانت الكُناسةُ وتَبْكِى ، وذلك بعينِ أيوبَ . قال[1] : وهابَتْ صاحِبَ الحُلَّةِ أن تأتيَه فتسألَه عنه ، فأرسَل إليها أيوبُ فدعاها ، فقال : ما تُريدين يا أمَةَ اللَّهِ ؟ فبكَتْ وقالت : أردتُ ذلك المبتَلَى الذى كان مَنْبوذًا على الكُناسةِ ، لا أدرِى أضاعَ أم ما فعَل ؟ قال لها أيوبُ : ما كان منك ؟ فبكَت وقالت : بَعْلى ، فهل رأيتَه ؟ وهى تبكِى ، إنه قد كان ههنا . قال : وهل تعرِفينَه إذا رأَيتِه[2] ؟ قالت : وهل يَخْفَى على / أحدٍ رآه ؟ ثم جعَلت تنظُر إليه وهى تهابُه ، ثم قالت : أما إنه كان أشبَهَ خلْقِ اللَّهِ بك إذ كان صحيحًا . قال : فإنى أنا أيوبُ الذى أمرتينى أن أذبَح للشيطانِ ، وإنى أطعْتُ اللَّهَ وعَصيتُ الشيطانَ ، فدعوتُ اللَّهَ فردَّ علىَّ ٧٢/١٧

(١) فى م : « قالت » .

(٢) فى م : « رأيتيه » .

ما تَرَين . قال الحسنُ : ثم إن اللَّهَ رحِمها بصبرِها معه على البلاءِ ، أن أمَره تخفيفًا عنها أن يأخُذَ جماعةً من الشجَرِ فيضرِبَها ضربةً واحدةً تخفيفًا عنها بصبرِها معه[1] .

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ ﴾ إلى آخرِ الآيتين : فإنه لما مسَّه الشيطانُ بنصْبٍ وعذابٍ ، أنساهُ اللَّهُ الدعاءَ ؛ أن يدعُوَه فيكشِفَ ما به من ضُرٍّ ، غيرَ أنه كان يذكُرُ اللَّهَ كثيرًا ، ولا يزيدُه البلاءُ فى اللَّهِ إلا رغبةً وحُسْنَ إيمانٍ ، فلمَّا انتهى الأجلُ ، وقضَى اللَّهُ أنه كاشِفٌ ما به من ضُرٍّ ، أذِن له فى الدعاءِ ، ويسَّره له ، وكان قبلَ ذلك يقولُ تبارَك وتعالى : لا ينبَغى لعبدِى أيوبَ أن يدعوَنى ثم لا أستجيبَ له . فلمَّا دَعا استجابَ له ، وأبدَله بكلِّ شىءٍ ذهَب له ضِعفَين ؛ رَدَّ إليه أهلَه ومثلَهم معهم ، وأثنى عليه فقال : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾[2] .

واختلَف أهلُ التأويلِ فى « الأهْلِ » الذين[3] ذكَر اللَّهُ فى قولِه : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ﴾ . أهُم أهلُه الذين أُوتيهم فى الدنيا ؟ أم ذلك وَعْدٌ وعَده اللَّهُ أيوبَ أن يفعَلَ به فى الآخرةِ ؟ **فقال بعضُهم** : إنما آتَى اللَّهُ أيوبَ فى الدنيا مثلَ أهلِه الذين هلَكوا ، فإنهم لم يُرَدّوا عليه فى الدنيا ، وإنما وعَد اللَّهُ أيوبَ أن يؤتيَه إيَّاهم فى الآخرةِ .

حدَّثنى أبو السائبِ سلْمُ بنُ جُنادةَ ، قال : ثنا ابنُ إدريسَ ، عن ليثٍ ، قال : أرسَل مجاهدٌ رجلًا ، يقالُ له : قاسمٌ ، إلى عكرمةَ يسألُه عن قولِ اللَّهِ لأيوبَ :

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٢٩ إلى المصنف من تمام الأثر المتقدم فى ص ٣٦٠-٣٦٣ .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٢٨ إلى المصنف .

(٣) فى م : « الذى » .

﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ﴾ . فقال : قيلَ له : إن أهلَك لك فى الآخرةِ ، فإن شئْتَ عجَّلناهم لك فى الدنيا ، وإن شئتَ كانوا لك فى الآخرةِ ، وآتيناكَ مثلَهم فى الدنيا . فقال : يكونون لى فى الآخرةِ . وأُوتِى مثلَهم فى الدنيا . قال : فرجَع إلى مجاهدٍ ، فقال : أصابَ[1] .

وقال آخرون : بل رَدَّهم إليه بأعيانِهم ، وأعطاه مثلَهم معَهم .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال[2] : ثنا حكَّامُ بنُ سلْمٍ ، عن أبى سنانٍ ، عن ثابتٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ مسعودٍ : ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ﴾ . قال : أهلَه بأعيانِهم[3] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : لما دَعا أيوبُ استجابَ[4] له ، وأبدَله بكلِّ شىءٍ ذهَب له ضِعفين ، رَدَّ إليه أهلَه ومثلَهم معَهم[5] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ﴾ . قال : أحياهُم بأعيانِهم ، ورَدَّ إليه مثلَهم[6] .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٢٨ إلى المصنف .

(٢) بعده فى ت ١ : « ثنا سلمة قال » .

(٣) أخرجه الطبرانى فى الكبير ٩/٢٥٤ من طريق أبى سنان به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٢٨ إلى ابن أبى شيبة وابن المنذر .

(٤) بعده فى م : « الله » .

(٥) تقدم تخريجه فى الصفحة السابقة .

(٦) ينظر تفسير ابن كثير ٥/٣٥٧.

حدَّثنا ابنُ حميدٍ، قال: ثنا جريرٌ، عن ليثٍ، عن مجاهدٍ فى قولِه: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾. قال: قيلَ له: إن شئتَ أحْيَيْناهم لك، وإن ٧٣/١٧
شِئْتَ كانوا لك فى الآخرةِ، وتُعْطَى مثلَهم فى الدنيا. فاخْتارَ أن يكونوا له[١] فى الآخرةِ ومثلَهم فى الدنيا.

حدَّثنا بشرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾. قال الحسنُ وقتادةُ: أحْيا اللَّهُ أهلَه بأعيانِهم، وزاده إليهم مثلَهم[٢].

وقال آخرون: بل آتاه المثلَ مِن نسلِ مالِه الذى ردَّه عليه وأهلِه، فأما الأهلُ والمالُ فإنه ردَّهما عليه بأعيانِهما[٣].

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى، قال: ثنا ابنُ ثورٍ، عن معمرٍ، عن رجلٍ، عن الحسنِ: ﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾. قال: مِن نسلِهم[٤].

وقولُه: ﴿رَحْمَةً﴾. نُصِبَت بمعنى: فعَلْنا ذلك بهم رحمةً منَّا له[٥].

وقولُه: ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْعَـٰبِدِينَ﴾. يقولُ: وتذكرةً للعابدين ربَّهم فعَلْنا ذلك به، ليَعْتَبِروا به، ويَعْلَموا أن اللَّهَ قد يَبْتَلى أولياءَه ومَن أحَبَّ مِن عبادِه فى الدنيا بضُروبٍ مِن البلاءِ، فى نفسِه وأهلِه ومالِه، من غيرِ هَوانٍ به عليه، ولكن اختبارًا منه

---

(١) سقط من: م، ت ١، ف.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٢٨ إلى المصنف.

(٣) سقط من: م.

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٢٨ إلى المصنف.

(٥) فى ت ٢، ف: «لهم».

له، ليَبْلُغَ بصبرِه عليه، واحتسابِه إياه، وحسنِ يقينِه - منزلتَه التى أعَدَّها له تبارك وتعالى مِن الكرامةِ عندَه.

وقد **حدَّثنا** القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنى حجاجٌ، عن أبى معشرٍ، عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظىِّ فى قولِه: ﴿رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾. (١وقولِه: ﴿رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾١) [ص: ٤٣]. قال: أيُّما مؤمنٍ أصابَه بلاءٌ، فذكَر ما أصاب أيوبَ، فلْيَقُلْ: قد أصاب مَن هو خيرٌ منا؛ نبيًّا مِن الأنبياءِ.

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

يعنى تعالى ذكرُه بإسماعيلَ: إسماعيلَ بنَ إبراهيمَ صادقَ الوعدِ، وبإدريسَ: خَنُوخَ(٢)، وبذى الكِفْلِ: رجلًا تكَفَّل مِن بعضِ الناسِ، إما مِن نبىٍّ وإما مِن ملكٍ مِن صالحى الملوكِ، بعملٍ مِن الأعمالِ، فقام به مِن بعدِه، فأثْنَى اللَّهُ عليه حسنَ وفائِه بما تكَفَّل به، وجعَله مِن المعدودين فى عبادِه، (٣مع مَن حمِد٣) صبرَه على طاعةِ اللَّهِ. وبالذى قلنا فى أمرِه جاءت الأخبارُ عن سلفِ العلماءِ.

ذكرُ الروايةِ بذلك عنهم

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ، قال: ثنا مُؤَمَّلٌ، قال: ثنا سفيانُ، عن الأعمشِ، عن المِنْهالِ بنِ عمرٍو، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ، أن نبيًّا مِن الأنبياءِ، قال: مَن يكْفلُ(٤) لى

(١ - ١) سقط من: م، ت ١، ف.

(٢) فى ص: «حنوح»، وفى م، ت ١، ف: «أخنوخ». وهذا الأخير مما قيل فيه. وينظر فتح البارى ٦/ ٣٧٣، والتاج (خ ن خ).

(٣ - ٣) فى ت ٢: «من حسن».

(٤) فى م، ت ٢: «تكفل».

أن يصومَ النهارَ ، ويقومَ الليلَ ، ولا يَغْضَبَ ؟ فقام شابٌّ فقال : أنا . فقال : اجْلِسْ . ثم عاد فقال : مَن يَكْفُلُ[1] لى أن يقومَ الليلَ ، ويصومَ النهارَ ، ولا يَغْضَبَ ؟ فقام ذلك الشابُّ فقال : أنا . فقال : اجْلِسْ . ثم عاد فقال : مَن يَكْفُلُ[1] لى أن يقومَ الليلَ ، ويصومَ النهارَ ، ولا يَغْضَبَ ؟ فقام ذلك الشابُّ فقال : أنا . فقال : تقومُ الليلَ ، وتصومُ النهارَ ، ولا تَغْضَبُ ؟ /فمات ذلك النبىُّ ، فجلَس ذلك الشابُّ مكانَه يَقْضِى بينَ ٧٤/١٧
الناسِ ، فكان لا يَغْضَبُ ، فجاءه الشيطانُ فى صورةِ إنسانٍ ليُغْضِبَه ، وهو صائمٌ يُرِيدُ أن يَقِيلَ[2] ، فضرَب البابَ ضربًا شديدًا ، فقال : مَن هذا ؟ فقال : رجلٌ له حاجةٌ . فأرْسَل معه رجلًا ، فقال : لا أرْضَى بهذا الرجلِ . فأرْسَل معه آخرَ ، فقال : لا أرْضَى بهذا . فخرَج إليه ، فأخَذ بيدِه ، فانْطَلَق معه ، حتى إذا كان فى السوقِ خلَّاه وذهَب ، فسُمِّى ذا الكِفْلِ[3] .

حدَّثنا ابنُ المثنى ، قال : ثنا عفانُ بنُ مسلمٍ ، قال : ثنا وُهَيْبٌ ، قال : ثنا داودُ ، عن مجاهدٍ ، قال : لما كبِر الْيَسَعُ قال : لو أنى اسْتَخْلَفْتُ رجلًا على الناسِ يَعْمَلُ عليهم فى حياتى حتى أَنْظُرَ كيف يَعْمَلُ . قال : فجمَع الناسَ ، فقال : مَن يَتَقَبَّلْ[4] لى بثلاثٍ أَسْتَخْلِفْه ؛ يصومُ النهارَ ، ويقومُ الليلَ ، ولا يَغْضَبُ ؟ قال : فقام رجلٌ تَزْدَرِيه العينُ ، فقال : أنا . فقال : أنت تصومُ النهارَ ، وتقومُ الليلَ ، ولا تَغْضَبُ ؟ قال : نعم . فردَّهم ذلك اليومَ ، وقال مثلَها اليومَ الآخرَ ، فسكَت الناسُ ، وقام ذلك الرجلُ ، فقال : أنا . فاسْتَخْلَفه . قال : فجعَل إبليسُ يقولُ للشياطينِ : عليكم

---

(١) فى م ، ت٢ : « تكفل » .

(٢) فى ت ١ : « يفتن » .

(٣) أخرجه ابن عساكر ٣٧٣/١٧ من طريق سفيان به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣٢/٤ إلى عبد بن حميد وابن أبى الدنيا فى ذم الغضب وابن المنذر وابن أبى حاتم .

(٤) فى ف : « يقبل » ، وفى الدر : « يتكفل » ، ويتقبل ، من قَبِل - بالفتح - : إذا كَفَل ، وقَبُل - بالضم - إذا صار قبيلا : أى كفيلا . وينظر النهاية ٤/ ١٠. (تفسير الطبرى ٢٤/١٦)

بفلانٍ . فأعْياهم ، فقال : دَعُونى وإياه . فأتاه فى صورةِ شيخٍ كبيرٍ فقيرٍ ، فأتاه حينَ أخَذ مَضْجَعَه للقائلةِ ، وكان لا يَنامُ الليلَ والنهارَ إلا تلك النَّوْمةَ ، فدقَّ البابَ ، فقال : مَن هذا ؟ قال : شيخٌ كبيرٌ مظلومٌ . قال : فقام ففتَح البابَ ، فجعَل يَقُصُّ عليه ، فقال : إن بينى وبينَ قومى خُصومةً ، (١ وإنهم ظلَمونى ١) وفعَلوا بى وفعَلوا . فجعَل يُطَوِّلُ عليه حتى حضَر الرَّوَاحُ ، وذَهَبت القائلةُ ، وقال : إذا رُحْتُ فأْتِنى آخُذْ لك بحقِّك . فانْطَلَق وراح ، فكان فى مجلسِه ، فجعَل يَنْظُرُ هل يَرَى الشيخَ ، فلم يَرَه ، فجعَل يَبْتَغِيه ، فلمَّا كان الغدُ جعَل يَقْضِى بينَ الناسِ ، [٢/٣٩٣و] ويَنْتَظِرُه فلا يَراه ، فلمَّا رجَع إلى القائلةِ ، فأخَذ مَضْجَعَه ، أتاه فدقَّ البابَ ، فقال : مَن هذا ؟ قال : الشيخُ الكبيرُ المظلومُ . ففتَح له ، فقال : ألم أَقُلْ لك : إذا قعَدْتُ فأْتِنى ؟ فقال : إنهم أخبثُ قومٍ إذا عرَفوا أنك قاعدٌ ، قالوا : نحن نُعْطِيك حقَّك . وإذا قمْتَ جحَدونى . قال : فانْطَلِقْ فإذا رُحْتُ فأْتِنى . قال : ففاتته القائلةُ ، فراح فجعَل يَنْظُرُ فلا يراه ، فشقَّ عليه النُّعاسُ ، فقال لبعضِ أهلِه : لا تَدَعَنَّ أحدًا يَقْرَبُ هذا البابَ حتى أنامَ ، فإنى قد شقَّ علىَّ النومُ . فلما كان تلك الساعةُ جاء ، فقال له الرجلُ : وراءَك . فقال : إنى قد أتَيْتُه (٢) أمسِ ، فذكَرْتُ له أمرى ، قال : واللَّهِ لقد أمَرَنا أن لا نَدَعَ أحدًا يَقْرَبُه . فلمَّا أعْياه نظَر فرأَى كُوَّةً فى البيتِ ، فتسَوَّر منها ، فإذا هو فى البيتِ ، وإذا هو يَدُقُّ البابَ . قال : فاسْتَيْقَظ الرجلُ ، فقال : يا فلانُ ، ألم آمُرْك ؟ قال : أما مِن قِبَلى واللَّهِ فلم تُؤْتَ ، فانْظُرْ مِن أينَ أُتِيتَ . قال : فقام إلى البابِ ، فإذا هو مُغْلَقٌ كما أغْلَقه ، وإذا هو معه فى البيتِ ، فعرَفه فقال : أعدوُّ اللَّهِ ؟ قال : نعم ، أعْيَيْتَنى فى كلِّ شىءٍ ، ففعَلْتُ ما تَرَى لأُغْضِبَك . فسمَّاه اللَّهُ (٣) ذا الكِفْلِ ؛ لأنه

(١ - ١) سقط من : ت ٢.

(٢) فى ص ، ت ٢ ، ف : « أتيتك » .

(٣) سقط من النسخ . و استدركناه من مصدرى التخريج .

تكَفَّل بأمرٍ فوفَّى به[١] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ وَذَا ٱلْكِفْلِ ﴾ . قال : رجلٌ صالحٌ غيرُ نبىٍّ ، تكفَّل لنبىٍّ قومِه أن يَكْفِيَه أمرَ قومِه ، [٢]ويُقِيمَه لهم[٢] ، ويَقْضِىَ بينَهم بالعدلِ ، ففعَل ذلك ، فسُمِّىَ ذا الكِفْلِ[٣] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، /قال : ثنا وَرْقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ ٧٥/١٧ بنحوِه ، إلا أنه قال : ويَقْضِىَ بينَهم بالحقِّ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن أبى معشرٍ ، عن محمدِ بنِ قيسٍ ، قال : كان فى بنى إسرائيلَ ملكٌ صالحٌ ، فكبِر ، فجمَع قومَه ، فقال : أيُّكم تكفَّل[٤] لى بملكى هذا ، على أن يصومَ النهارَ ، ويقومَ الليلَ ، ويَحْكُمَ بينَ بنى إسرائيلَ بما أنْزَل اللَّهُ ، ولا يَغْضَبَ ؟ قال : فلم يَقُمْ أحدٌ إلا فتًى شابٌّ ، فازْدَراه لحَداثةِ سنِّه ، فقال : أيُّكم تكَفَّلَ[٤] لى بملكى هذا ، على أن يصومَ النهارَ ، ويقومَ الليلَ ، ولا يَغْضَبَ ، ويَحْكُمَ بينَ بنى إسرائيلَ بما أنْزَل اللَّهُ ؟ فلم يَقُمْ إلا ذلك الفتى ، فازْدَراه ، فلمَّا كانت الثالثةُ قال مثلَ ذلك ، فلم يَقُمْ إلا ذلك الفتى ، فقال : تَعالَ . فخلَّى بينَه وبينَ ملكِه ، فقام الفتى ليلَه[٥] ، فلما أصْبَح جعَل يَحْكُمُ بينَ

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣٥٨/٥ عن المصنف ، وعزاه إلى ابن أبى حاتم من طريق زهير ، عن داود ، عن مجاهد .

(٢ - ٢) فى مصدرى التخريج : « يقيمهم له » .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣٥٨/٥ عن ابن جريج به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣١/٤ إلى المصنف وابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم .

(٤) فى ص ، م ، ت ١ ، ف : « يكفل » .

(٥) فى م : « ليلة » .

بنى إسرائيلَ ، فلما انْتَصَف النهارُ دخَل ليَقِيلَ ، فأتاه الشيطانُ فى صورةِ رجلٍ مِن بنى آدمَ ، فجذَب ثوبَه ، فقال : أتَنامُ والخصومُ ببابِك ؟! قال : إذا كان العشيةُ فأْتِنى . قال : فانْتَظَره بالعشىِّ فلم يَأْتِه ، فلما انْتَصَف النهارُ ودخَل ليَقِيلَ ، جذَب ثوبَه ، وقال : أتَنامُ والخصومُ ببابِك ؟! قال : قلتُ لك : ائْتِنى العشىَّ ، فلم تَأْتِنى ، ائْتِنى العشيةَ . فلما كان بالعشىِّ انْتَظَره فلم يَأْتِ ، فلمَّا دخَل ليَقِيلَ جذَب ثوبَه ، وقال : أتَنامُ والخصومُ ببابِك ؟! قال : أخْبِرْنى مَن أنت ؟! لو كنتَ مِن الإنسِ سمِعْتَ ما قلتُ ! قال : هو الشيطانُ ؛ جئتُ لأَفْتِنَك ، فعصَمَك اللَّهُ منى . فقضَى بينَ بنى إسرائيلَ بما أنْزَل اللَّهُ زمانًا طويلًا ، وهو ذو الكِفْلِ ، سُمِّىَ ذا الكفلِ ؛ لأنه تكفَّلَ بالمُلْكِ[1] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، عن أبى موسى الأشعرىِّ أنه قال وهو يَخْطُبُ الناسَ : إن ذا الكِفْلِ لم يَكُنْ نبيًّا ، ولكن كان عبدًا صالحًا ، تكَفَّل بعملِ رجلٍ صالحٍ عندَ موتِه ، كان يُصَلِّى للَّهِ كلَّ يومٍ مائةَ صلاةٍ ، فأحْسَن اللَّهُ عليه الثناءَ فى كَفالتِه إياه .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا الحكمُ ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : أمَّا ذو الكِفْلِ ، فإنه كان على بنى إسرائيلَ ملِكٌ ، فلما حضَره الموتُ قال : مَن يَكْفُلُ لى أن يَكْفِيَنى بنى إسرائيلَ ، ولا يَغْضَبَ ، ويُصَلِّىَ كلَّ يومٍ مائةَ صلاةٍ ؟ فقال ذو الكِفْلِ : أنا . فجعَل ذو الكِفْلِ يَقْضِى بينَ الناسِ ، فإذا فرَغ صلَّى مائةَ صلاةٍ ، فكاده الشيطانُ ، فأمْهَله حتى إذا قضَى بينَ الناسِ ، وفرَغ مِن صلاتِه ، وأخَذ مضجعَه فنام ، أتَى الشيطانُ بابَه فجعَل يَدُقُّه ، فخرَج إليه ، فقال : ظُلِمْتُ وصُنِع بى وصُنِع . فأعْطاه خاتَمَه ، وقال : اذْهَبْ

(١) ينظر تفسير ابن كثير ٤/ ٣٥٩.

فأْتِنى بصاحبِك . وانْتَظَرَه ، فأبْطَأ عليه الآخرُ ، حتى إذا عرَف أنه قد نام ، وأخَذ مضجعَه ، أتَى البابَ أيضًا كى يُغْضِبَه ، فجعَل يَدُقُّه ، وخدَش وجهَ نفسِه ، فسالَت[1] الدماءُ ، فخرَج إليه فقال : مالك ؟ فقال : لم يَتْبَعْنى وضُربتُ وفعَل . فأخَذه ذو الكِفْلِ ، وأنْكَر أمرَه ، فقال : أخْبِرْنى مَن أنت ؟ وأخَذَه أخْذًا شديدًا ، قال : فأخبَره مَن هو .

حدَّثنا الحسنُ ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنى معمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَذَا ٱلْكِفْلِ ﴾ . قال : قال أبو موسى الأشْعَرىُّ : لم يَكُنْ ذو الكِفْلِ نبيًّا ، ولكنه كفَل بصلاةِ رجلٍ كان يُصَلِّى كلَّ يومٍ مائةَ صلاةٍ فتُوفِّىَ[2] ، فكفَل بصلاتِه ، فلذلك سُمِّى ذا الكِفْلِ[3] .

ونصَب ﴿ إِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ﴾ عطفًا على /﴿ أَيُّوبَ ﴾ ، [٢/٣٩٣ظ] ٧٦/١٧ ثم اسْتُؤْنِف بقولِه : ﴿ كُلٌّ ﴾ . فقال : ﴿ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ . ومعنى الكلامِ : كلُّهم مِن أهلِ الصبرِ فيما نابَهم فى اللَّهِ .

وقولُه : ﴿ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه : وأدْخَلْنا إسماعيلَ وإدريسَ وذا الكِفْلِ . والهاءُ والميمُ عائدتان عليهم . ﴿ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ . يقولُ : إنهم ممن صلَح ، فأطاع اللَّهَ ، وعمِل بما أمَره .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ

---

(١) فى ت ١ : « حتى سالت » .

(٢) فى ص ، م ، ت ١ ، ف : « فوفى » .

(٣) تفسير عبد الرزاق ٢/٢٧- ومن طريقه ابن عساكر فى تاريخه ١٧/٣٧٥ - وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٣٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم .

عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : واذْكُرْ يا محمدُ ذا النونِ . يعنى : صاحبَ النونِ . والنونُ : الحوتُ ، وإنما عَنَى بذى النونِ يونُسَ بنَ مَتَّى . وقد ذكَرْنا قصتَه فى سورةِ « يونُسَ » بما أغْنَى عن ذكرِه فى هذا الموضعِ[1] .

وقولُه : ﴿ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا ﴾ . يقولُ : حينَ ذهَب مُغاضِبًا .

واخْتَلَف أهلُ التأويلِ فى معنى ذَهابِه مُغاضِبًا ، وعمَّن كان ذهابُه ، وعلى مَن كان غضبُه ؛ **فقال بعضُهم** : كان ذهابُه عن قومِه ، وإياهم غاضَب .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا ﴾ . يقولُ : غضِب على قومِه[2] .

حُدِّثْتُ عن الحسينِ ، قال : سمِعْتُ أبا مُعاذٍ يقولُ : ثنا عبيدٌ ، قال : سمِعْتُ الضحاكَ يقولُ فى قولِه : ﴿ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا ﴾ : [3]أما غضبُه ، فكان[3] على قومِه[4] .

وقال آخرون : ذهَب عن قومِه مُغاضِبًا لربِّه ، إذ كشَف عنهم العذابَ بعدَ ما وعَدهموه .

---

(١) ينظر ما تقدم فى ١٢/٢٩١ - ٢٩٧.

(٢) أخرجه البيهقى فى الأسماء والصفات (١٠٧٧) من طريق محمد بن سعد به .

(٣ - ٣) فى ت ٢: « يقول غضب » .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٣٣ إلى المصنف وابن أبى شيبة وابن المنذر وابن أبى حاتم .

ذكرُ مَن قال ذلك ، وذكرُ سببِ مُغاضَبتِه ربَّه فى قولِهم

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن يزيدَ بنِ زيادٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى سلمةَ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : بعَثه اللَّهُ - يعنى يونُسَ - إلى أهلِ قريتِه ، فردُّوا عليه ما جاءهم به ، وامْتَنَعوا منه ، فلمَّا فعَلوا ذلك أوْحَى اللَّهُ إليه : إنى مُرْسِلٌ عليهم العذابَ فى[1] يومِ كذا وكذا ، فاخْرُجْ مِن بينِ أظْهُرهم . فأعْلَم قومَه الذى وعَدَهم[2] اللَّهُ مِن عذابِه إياهم ، فقالوا : ارْمُقوه ، فإن خرَج مِن بينِ أظهرِكم ، فهو واللَّهِ كائنٌ ما وعَدَكم .

فلمَّا كانت الليلةُ التى وُعِدوا العذابَ فى صبحِها أدْلَج ورآه القومُ ، فخرَجوا مِن القريةِ إلى بَرازٍ[3] مِن أرضِهم ، وفرَّقوا بينَ كلِّ دابةٍ وولدِها ، ثم عَجُّوا إلى اللَّهِ ، فاسْتَقالوه ، فأقالهم ، وتنَظَّر[4] يونُسُ الخبرَ عن القريةِ وأهلِها ، حتى مرَّ به مارٌّ فقال : ما فعَل أهلُ القريةِ ؟ فقال : فعَلوا أن نبيَّهم خرَج مِن بينِ أظهرِهم ، عرَفوا أنه صدَقهم ما وعَدَهم مِن العذابِ ، فخرَجوا مِن قريتِهم إلى بَرازٍ مِن /الأرضِ ، ثم فرَّقوا بينَ كلِّ ٧٧/١٧
ذاتِ ولدٍ وولدِها ، وعَجُّوا إلى اللَّهِ ، وتابوا إليه ، فقبِل منهم ، وأخَّر عنهم العذابَ . قال : فقال يونُسُ عندَ ذلك ، وغضِب : واللَّهِ لا أَرْجِعُ إليهم كذَّابًا أبدًا ، وعَدْتُهم العذابَ فى يومٍ ، ثم رُدَّ عنهم ! ومضَى على وجهِه مُغاضِبًا[5] .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا عوفٌ ، عن سعيدِ بنِ أبى

---

(١) بعده فى ص ، ف : « كل » .

(٢) فى ص ، م ، ت ١ ، ف : « وعده » .

(٣) البراز : المكان الفضاء من الأرض البعيد الواسع . اللسان (ب ر ز) .

(٤) فى ت ٢ : « ينظر » ، وتنظره : انتظره فى مهلة . اللسان (ن ظ ر) .

(٥) فى ت ١ ، ف : « مغضبا » .

والأثر أخرجه المصنف فى تاريخه ٢/ ١٣ ، وزاد فى آخره : « لربه فاستزله الشيطان » . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/ ٣٣٣ إلى ابن أبى حاتم بنحوه مطولًا .

الحسنِ، قال: بلَغَني أن يونُسَ لما أصاب الذنبَ انْطَلَق مُغاضِبًا لربِّه، واسْتَزَلَّه الشيطانُ[(١)].

حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنا يحيى بنُ زكريا بنِ أبى زائدةَ، عن [(٢)]مُجالدِ بنِ[(٢)] سعيدٍ، عن الشعبىِّ فى قولِه: ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا﴾. قال: مُغاضِبًا لربِّه[(٣)].

حدَّثنا الحارثُ، قال: ثنا عبدُ العزيزِ، قال: ثنا سفيانُ، عن إسماعيلَ بنِ عبدِ الملكِ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ. فذكَر نحوَ حديثِ ابنِ حميدٍ، عن سلمةَ، وزاد فيه: قال: فخرَج يونُسُ يَنْظُرُ العذابَ، فلم يَرَ شيئًا، قال: جرَّبوا علىَّ كذبًا. فذهَب مُغاضِبًا لربِّه حتى أتَى البحرَ[(٤)].

حدَّثنا ابنُ حميدٍ، قال: ثنا سلمةُ، قال: ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ، عن ربيعةَ بنِ أبى عبدِ الرحمنِ، عن وهبِ بنِ مُنَبِّهٍ اليَمانىِّ، قال: سمِعْتُه يقولُ: إن يونُسَ بنَ مَتَّى كان عبدًا صالحًا، وكان فى خُلُقِه ضِيقٌ، فلما حُمِّلَت عليه أثقالُ النبوةِ - ولها أثقالٌ لا يَحْمِلُها إلا قليلٌ - تفَسَّخ تحتَها تفَسُّخَ الرُّبَعِ تحتَ الحِمْلِ[(٥)]، فقذَفها بينَ يديه، وخرَج هاربًا منها، يقولُ اللَّهُ لنبيِّه ﷺ: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. و﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨]. أى: لا تُلْقِ أمرى كما ألقاه[(٦)].

---

(١) سيأتى تخريجه فى ص٣٨٠.

(٢ - ٢) فى ت ٢: «مجاهد عن». وينظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٢١٩.

(٣) ذكره الطوسى فى التبيان ٧/ ٢٤٢.

(٤) تقدم تخريجه فى ١٢/ ٢٩٥.

(٥) الرُّبَع: الفصيل، وهو ولد الناقة إذا فُصِل عن أمه، وتَفسَّخ الربع تحت الحمل الثقيل إذا لم يطقه. التاج (ف س خ، ر ب ع).

(٦) ذكره ابن منظور فى تاريخه ٢٨/ ١٠٦ عن وهب بن منبه.

وهذا القولُ - أعنى قولَ مَن قال : ذهَب عن قومِه مُغاضِبًا لربِّه - أشبهُ بتأويلِ [٢/٣٩٤و] الآيةِ ، وذلك لدَلالةِ قولِه : ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ . على ذلك . على أن الذين وجَّهوا تأويلَ ذلك إلى أنه ذهَب مُغاضِبًا لقومِه ، إنما زعَموا أنهم فعَلوا ذلك استنكارًا منهم أن يُغاضِبَ نبيٌّ مِن الأنبياءِ ربَّه ، واستعظامًا له . وهم بقيلِهم : إنه ذَهب مُغاضِبًا لقومِه . قد دخَلوا فى أعظمَ مما أنْكَروا ، وذلك أن الذين قالوا : ذهَب مُغاضِبًا لربِّه . اخْتَلَفوا فى سببِ ذَهابِه كذلك ؛ فقال بعضُهم : إنما فعَل ما فعَل مِن ذلك كراهةَ أن يكونَ بينَ قومٍ قد جرَّبوا عليه الخُلْفَ فيما وعَدَهم ، واسْتَحْيا منهم ، ولم يَعْلَمِ السببَ الذى دُفِع به عنهم البلاءُ .

وقال بعضُ مَن قال هذا القولَ : كان مِن أخلاقِ قومِه الذين فارَقَهم قتلُ مَن جرَّبوا عليه الكذبَ ، عسى أن يَقْتُلوه مِن أجلِ أنه وعَدَهم العذابَ ، فلم يَنْزِلْ بهم ما وعَدَهم مِن ذلك . وقد ذكَرْنا الروايةَ بذلك فى سورةِ « يونُسَ » ، فكرِهْنا إعادتَها[1] فى هذا الموضعِ .

وقال آخرون : بل إنما غاضَب ربَّه مِن أجلِ أنه أُمِر بالمصيرِ إلى قومٍ لِيُنْذِرَهم بأسَه ، ويَدْعُوَهم إليه ، فسأَل ربَّه أن يُنْظِرَه ؛ ليَتَأَهَّبَ للشُّخوصِ إليهم ، فقيل له : الأمرُ أسرعُ مِن ذلك ، ولم يُنْظَرْ حتى شاء أن يُنْظَرَ إلى أن يَأْخُذَ نعلًا يَلبَسُها[2] ، فقيل له نحوُ القولِ الأولِ ، وكان رجلًا فى خُلُقِه ضِيقٌ ، فقال : أعْجلَنى ربى أن آخُذَ نعلًا ! فذهَب مُغاضِبًا .

/وممن ذُكِر هذا القولُ عنه الحسنُ البصرىُّ ، حدَّثنى بذلك الحارثُ ، قال : ثنا ٧٨/١٧

(١) فى ص ، م ، ت ١ ، ف : « إعادته » . وينظر ما تقدم فى ١٢/ ٢٩٦.

(٢) فى م : « ليلبسها » .

الحسنُ بنُ موسى، عن[(١)] أبى هلالٍ، عن شهرِ بنِ حَوْشَبٍ عنه[(٢)].

قال أبو جعفرٍ: وليس فى واحدٍ مِن هذين القولين مِن وصفِ نبىِّ اللَّهِ يونُسَ عليه السلامُ - شىءٌ إلا وهو دونَ ما فى وصْفِه بما وَصَفه الذين قالوا: ذهَب مُغاضِبًا لقومِه؛ لأن ذَهابَه عن قومِه مُغاضِبًا لهم، وقد أمَرَه اللَّهُ تعالى بالمُقامِ بينَ أظهُرِهم؛ ليُبَلِّغَهم رسالتَه، ويُحَذِّرَهم بأسَه، وعقوبتَه على تركِهم الإيمانَ به والعملَ بطاعتِه - لا شكَّ أن فيه ما فيه، ولولا أنه قد كان عليه السلامُ أتَى ما قاله الذين وصَفوه بإتيانِ الخطيئةِ، لم يَكُنِ اللَّهُ تعالى ذِكْرُه لِيُعاقِبَه العقوبةَ التى ذكَرها فى كتابِه، ويَصِفَه بالصفةِ التى وَصَفَه بها، فيقولَ لنبيِّه ﷺ: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨]. ويقولَ: ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٢- ١٤٤].

وقولُه: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾. **اختَلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِه؛ فقال بعضُهم**: معناه: فظنَّ أن لن نُعاقِبَه بالتَّضييقِ عليه. مِن قولِهم: قدَرْتُ على فلانٍ. إذا ضَيَّقْتَ عليه، كما قال اللَّهُ جلَّ ثناؤُه: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ﴾ [الطلاق: ٧].

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى علىٌّ، قال: ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ[(٣)]، قال: ثنى معاويةُ، عن علىٍّ، عن ابنِ عباسٍ قولَه: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾. يقولُ: ظنَّ أن لن يَأْخُذَه العذابُ

---

(١) بعده فى ت ٢: «ابن». وتقدم فى ٣/٢٥٣.

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ٢/١٢ عن الحارث به. دون ذكر الحسن.

(٣) فى ت ١، ت ٢: «صبيح»، وفى ف: «صبح».

الذى أصابه[١] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ . يقولُ : ظنَّ أن لن نَقْضِىَ عليه عُقوبةً ولا بلاءً فيما صنَع بقومِه فى غضبِه إذ غضِب عليهم ، وفرارِه ، وعقوبتُه أخْذُ النونِ إياه[٢] .

حدَّثنا محمدُ بنُ المثنى ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، عن شعبةَ ، عن الحكمِ ، عن مجاهدٍ أنه قال فى هذه الآيةِ : ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ . قال : فظنَّ أن لن نُعاقِبَه بذنبِه[٣] .

حدَّثنى موسى بنُ عبدِ الرحمنِ المَسْروقىُّ ، قال : ثنا زيدُ بنُ حُبابٍ ، قال : ثنى شعبةُ ، عن مجاهدٍ . ولم يَذْكُرْ فيه الحَكَمَ .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ . قال : يقولُ : ظنَّ أن لن نُعاقِبَه[٤] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ والكلبىِّ : ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ . قالا : ظنَّ أن لن نَقْضِىَ عليه العقوبةَ[٥] .

---

(١) أخرجه البيهقى فى الأسماء والصفات (١٠٧٦) من طريق عبد الله بن صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٣٣ إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم .

(٢) تقدم تخريجه فى ص ٣٧٤.

(٣) أخرجه البيهقى فى الأسماء والصفات (١٠٨٠) من طريق شعبة به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٣٣ إلى ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم .

(٤) أخرجه البيهقى فى الأسماء والصفات (١٠٧٩) من طريق سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن .

(٥) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢٧ عن معمر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٣٣ إلى ابن أبى حاتم .

حُدِّثْتُ عن الحسينِ ، قال : سمِعْتُ أبا معاذٍ يقولُ : ثنا عبيدٌ ، قال : سمِعْتُ الضحاكَ يقولُ فى قولِه : /﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ . يقولُ : ظنَّ أن اللَّهَ لن ٧٩/١٧
يَقْضِىَ عليه عُقوبةً ولا بلاءً فى غضبِه الذى غضِب على قومِه ، وفراقِه إياهم[(١)] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن منصورٍ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ . قال : البلاءُ الذى أصابه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فظنَّ أنه يُعْجِزُ ربَّه فلا يَقْدِرُ عليه .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا عوفٌ ، عن سعيدِ بنِ أبى الحسنِ ، قال : بلَغَنى أن يونُسَ لما أصاب الذنبَ ، انْطَلَقَ مُغاضِبًا لربِّه ، واسْتَزَلَّه الشيطانُ ، حتى ظنَّ أن لن نَقْدِرَ عليه . قال : وكان له سلفٌ وعبادةٌ وتسبيحٌ ، فأبَى اللَّهُ أن يَدَعَه للشيطانِ ، فأخَذَه فقذَفَه فى بطنِ الحوتِ ، فمكَث فى بطنِ الحوتِ أربعين ، مِن بينِ ليلةٍ ويومٍ ، فأمْسَكَ اللَّهُ نفسَه فلم يَقْتُلْه هناك ، فتاب إلى ربِّه فى بطنِ الحوتِ ، وراجَع نفسَه . قال : فقال : ﴿ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ . قال : فاسْتَخْرَجه اللَّهُ مِن بطنِ الحوتِ برحمتِه ، بما كان سلَف مِن العبادةِ والتسبيحِ ، فجعَله مِن الصالحين . قال عوفٌ : وبلَغَنى أنه قال فى دعائِه : وبنَيْتُ لك مسجدًا فى مكانٍ لم يَبْنِه أحدٌ قبلى[(٢)] .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا هَوْذَةُ ، قال : ثنا عوفٌ ، عن الحسنِ : ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ : وكان له سلفٌ مِن عبادةٍ وتسبيحٍ ، فتدارَكه اللَّهُ بها ، فلم يَدَعْه

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٣٣ إلى المصنف وابن أبى حاتم .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٥/٣٦١ مختصرًا جدًّا - وفيه : سعيد بن الحسن البصرى . وهو سعيد بن أبى الحسن البصرى ، أخو الحسن البصرى . ينظر تهذيب الكمال ١٠/٣٨٥ ، والبداية والنهاية ٢/ ٢٠ .

للشيطانِ[١] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ ، عن إياسِ بنِ مُعاويةَ المُدَنىِّ ، أنه كان إذا ذُكِر عندَه يونُسُ وقولُه : ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ . يقولُ إياسٌ : فلِمَ فرَّ ؟

وقال آخرون : بل ذلك بمعنى الاستفهامِ ، وإنما تأويلُه : أفظَنَّ أن لن نَقْدِرَ عليه ؟

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ . قال : هذا استفهامٌ . وفى قولِه : ﴿ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴾ . قال : استفهامٌ أيضًا[٢] .

قال أبو جعفرٍ : وأولى هذه الأقوالِ فى تأويلِ ذلك عندى بالصوابِ قولُ مَن قال : عُنِى به : فظنَّ يونُسُ أن لن نَحْبِسَه ونُضَيِّقَ عليه ، عقوبةً له على مُغاضبتِه ربَّه .

وإنما قلنا : ذلك أولى بتأويلِ الكلمةِ ؛ لأنه لا يَجوزُ أن يُنْسَبَ إلى الكفرِ وقد اخْتارَه لنبوتِه ، ووصفُه بأن ظنَّ أن ربَّه يَعْجِزُ عما أراد به ، ولا يَقْدِرُ عليه ، وصفٌ له بأنه جهِل قدرةَ اللَّهِ ، وذلك وصفٌ له بالكفرِ ، وغيرُ جائزٍ لأحدٍ وصفُه بذلك .

وأما ما قاله ابنُ زيدٍ ، فإنه قولٌ ، لو كان فى الكلامِ دليلٌ على أنه استفهامٌ - حسنٌ ، ولكنه لا دلالةَ فيه على أن ذلك كذلك ، والعربُ لا تَحْذِفُ مِن الكلامِ شيئًا[٣] إليه حاجةٌ إلا وقد أبْقَت دليلًا على أنه مرادٌ فى الكلامِ ، فإذ لم يكنْ فى قولِه :

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٣٣ إلى أحمد فى الزهد وابن المنذر وعبد بن حميد .

(٢) ذكره البغوى فى تفسيره ٥/ ٣٥١.

(٣) بعده فى ص ، ت ١ ، ف : « له » ، وبعده فى م : « لهم » .

٨٠/١٧ ﴿ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ . دلالةٌ على/ أن المرادَ به الاستفهامُ - كما قال ابنُ زيدٍ - كان معلومًا أنه ليس به ، وإذ فسَد هذان الوجهان ، صحَّ الثالثُ وهو ما قلنا .

وقولُه : ﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ . **اختَلَفَ أهلُ التأويلِ** في المعنيِّ بهذه الظلماتِ ؛ **فقال بعضُهم** : عُنِي بها ظلمةُ الليلِ ، وظلمةُ البحرِ ، وظلمةُ بطنِ الحوتِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ[(١)] ، عن إسرائيلَ ، [(٢)]عن أبي إسحاقَ[(٢)] ، عن عمرِو بنِ ميمونٍ : ﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ . قال : ظلمةِ بطنِ الحوتِ ، وظلمةِ البحرِ ، وظلمةِ الليلِ[(٣)] . وكذلك قال أيضًا ابنُ جُريجٍ .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن يزيدَ بنِ زيادٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبي سلمةَ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : نادَى في الظلماتِ ؛ ظلمةِ الليلِ ، وظلمةِ البحرِ ، وظلمةِ بطنِ الحوتِ : ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[(٤)] .

حدَّثني محمدُ بنُ إبراهيمَ السُّلَميُّ ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : أخبَرنا محمدُ بنُ رِفاعةَ ، قال : سمِعْتُ محمدَ بنَ كعبٍ يقولُ في هذه الآيةِ : ﴿ فَنَادَىٰ فِي

---

(١) بعده في ت ١، ت ٢: « عن ابن جريج » .

(٢ - ٢) سقط من : ت ٢.

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/٣٣٣ إلى المصنف ، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١١/ ٥٤١، وابن أبي الدنيا في العقوبات (١٧١) ، والمصنف في تاريخه ٢/١٥ من طريق إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو ابن ميمون ، عن ابن مسعود ، مطولا .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/٣٣٣ إلى المصنف .

ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ . قال : ظلمةِ الليلِ ، وظلمةِ البحرِ ، وظلمةِ بطنِ الحوتِ[١] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ . قال : ظلمةِ الليلِ ، وظلمةِ البحرِ ، وظلمةِ بطنِ الحوتِ .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ . قال : ظلمةِ بطنِ الحوتِ ، وظلمةِ البحرِ ، وظلمةِ الليلِ[٢] .

وقال [٢/ ٣٩٠] **آخرون** : إنما عُنِي بذلك أنه نادَى فى ظلمةِ جوفِ حوتٍ فى جوفِ حوتٍ آخرَ فى البحرِ . قالوا : فذلك هو الظلماتُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن منصورٍ ، عن سالمِ بنِ أبى الجَعْدِ : ﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ . قال : أوْحَى اللَّهُ إلى الحوتِ ألا تَضُرَّ له لحمًا ولا عظمًا . ثم ابْتَلَع الحوتَ حوتٌ آخرُ ، قال : ﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ . قال : ظلمةِ الحوتِ[٣] ، ثم حوتٍ ، ثم ظلمةِ البحرِ[٤] .

قال أبو جعفرٍ : والصوابُ مِن القولِ فى ذلك أن يقالَ : إن اللَّهَ أخْبَر عن يونُسَ أنه ناداه فى الظلُماتِ : ﴿ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ . ولا شكَّ أنه قد عنَى بإحدى الظلماتِ بطنَ الحوتِ ، وبالأُخرى ظلمةَ البحرِ ، وفى

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٣٣ إلى المصنف .

(٢) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢٧ عن معمر به .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ف : « حوت » .

(٤) أخرجه أحمد فى الزهد ص٣٤ من طريق عبد الرحمن به ، وأخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه ١١/ ٥٤٣ ، ٥٤٤ عن سفيان به .

الثالثةِ اختلافٌ ، وجائزٌ أن تكونَ تلك الثالثةُ ظلمةَ الليلِ ، وجائزٌ أن تكونَ كونَ الحوتِ فى جوفِ حوتٍ آخرَ ، ولا دليلَ يَدُلُّ على أىٍّ ذلك مِن أىٍّ[1] ، فلا قولَ فى ذلك أولى بالحقِّ مِن التسليمِ لظاهرِ التنزيلِ .

٨١/١٧ /وقولُه : ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ ﴾ . يقولُ : نادَى يونُسُ بهذا القولِ معترفًا بذنبِه ، تائبًا مِن خطيئتِه : ﴿ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ فى معصيتى إياك .

كما حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن يزيدَ بنِ زيادٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى سلمةَ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : ﴿ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ، معترفًا بذنبِه ، تائبًا مِن خطيئتِه .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، قال : قال أبو مَعْشَرٍ : قال محمدُ بنُ قيسٍ قولَه : ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ ﴾ : ما صنَعْتُ مِن شىءٍ فلم أَعْبُدْ غيرَك ، ﴿ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ حينَ عصَيْتُك .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا جعفرُ بنُ سليمانَ ، عن عوفٍ الأعرابىِّ ، قال : لما صار يونُسُ فى بطنِ الحوتِ ظنَّ أنه قد مات ، ثم حرَّك رِجلَيه[2] ، فلما تحرَّكت سجَد مكانَه ، ثم نادَى : يارَبِّ اتَّخَذْتُ لك مسجدًا فى موضعٍ ما اتَّخَذه أحدٌ[3] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، قال : ثنى ابنُ إسحاقَ ، عمَّن حدَّثه ، عن

---

(١) بعده فى ت ٢ : « قول » .

(٢) فى م : « رجله » .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٥/٣٦١ عن عوف ، وأخرجه ابن أبى الدنيا فى الفرج بعد الشدة ص١٣ ، وفى العقوبات (١٧٨) من طريق جعفر بن سليمان ، عن عوف ، عن سعيد بن أبى الحسن بمعناه .

عبدِ اللَّهِ بنِ رافعٍ مولى أمِّ سلمةَ زوجِ النبىِّ ﷺ ، قال : سمِعْتُ أبا هريرةَ يقولُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لما أراد اللَّهُ حبْسَ يونُسَ فى بطنِ الحوتِ أوْحَى اللَّهُ إلى الحوتِ أن خُذْه ، ولا تَخْدِشْ له لحمًا ، ولا تَكْسِرْ عظمًا . فأخَذَه ، ثم هوَى به إلى مسكنِه مِن البحر ، فلمَّا انتهى به إلى أسفلِ البحرِ ، سمِع يونُسُ حِسًّا ، فقال فى نفسِه : ما هذا ؟ قال : فأوْحَى اللَّهُ إليه وهو فى بطنِ الحوتِ : إن هذا تسبيحُ دوابِّ البحرِ ، قال : فسبَّح وهو فى بطنِ الحوتِ ، فسمِعَت الملائكةُ تسبيحَه ، فقالوا : يا ربَّنا ، إنا نَسْمَعُ صوتًا ضعيفًا بأرضٍ غريبةٍ . قال : ذاك عبدى يونُسُ ، عصانى فحبَسْتُه فى بطنِ الحوتِ فى البحرِ . قالوا : العبدُ الصالحُ الذى كان يَصْعَدُ إليك منه فى كلِّ يومٍ وليلةٍ عملٌ صالحٌ ؟ قال : نعم . قال : فشفَعوا له عندَ ذلك ، فأمَرَ الحوتَ فقذَفه فى الساحلِ ، كما قال اللَّهُ تبارَك وتعالى : ﴿ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ [الصافات : ١٤٥] »[1] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : فاسْتَجبْنا ليونُسَ دعاءَه إيانا ، إذ دَعانا فى بطنِ الحوتِ ، ونجَّيْناه مِن الغمِّ الذى كان فيه بحَبْسِناه فى بطنِ الحوتِ ، وغمِّه بخطيئتِه وذنبِه ، ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . يقولُ جلَّ ثناؤُه : وكما أنْجَيْنا يونُسَ مِن كربِ الحبسِ فى بطنِ الحوتِ فى البحرِ إذ دعانا ، كذلك نُنْجِى المؤمنين مِن كربِهم إذا اسْتَغاثوا بنا ودَعَونا .

/وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك جاء الأثرُ . ٨٢/١٧

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ٢/ ١٦ ، وأخرجه البزار فى مسنده - كشف (٢٢٥٤) - من طريق محمد بن إسحاق به .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا عمرانُ بنُ بكَّارٍ الكَلَاعيُّ ، قال : ثنا يحيى بنُ صالحٍ ، قال : ثنا أبو يحيى ابنُ عبدِ الرحمنِ ، قال : ثنى بشرُ بنُ منصورٍ ، عن عليِّ بنِ زيدٍ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، قال : سمِعْتُ سعدَ بنَ مالكٍ يقولُ : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « اسمُ اللَّهِ الذى إذا دُعِى به أجاب ، وإذا سُئِل به أعْطَى ، دعوةُ يونُسَ بنِ مَتَّى » . قال : فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، هى ليونُسَ بنِ مَتّى خاصةً ، أم لجماعةِ المسلمين ؟ قال : « هى ليونُسَ بنِ مَتَّى خاصةً ، وللمؤمنين عامةً إذا دَعَوْا بها ، ألم تَسْمَعْ قولَ اللَّهِ تبارَك وتعالى : ﴿ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فهو شرطُ اللَّهِ لمن دعاه بها »[1] .

واختَلَفت القرأةُ فى قراءةِ قولِه : ﴿ نُنجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . فقرَأت ذلك قرأةُ الأمصارِ ، سوى عاصمٍ ، بنونين ، الثانيةُ منهما ساكنةٌ مِن : أنْجيناه ، فنحن نُنْجِيه . وإنما قرءوا ذلك كذلك ، وكتابتُه فى المصاحفِ بنونٍ واحدةٍ ؛ لأنه لو قُرِئَ بنونٍ واحدةٍ وتشديد الجيمِ ، بمعنى ما لم يُسَمَّ فاعلُه ، كان « المؤمنون » رفعًا ، وهم فى المصاحفِ منصوبون ، ولو قُرِئَ بنونٍ واحدةٍ وتخفيفِ الجيمِ ، كان الفعلُ للمؤمنين ، وكانوا رفعًا ، ووجَب مع ذلك أن يكونَ قولُه : « نجى » . مكتوبًا بالألفِ ؛ لأنه مِن ذواتِ الواوِ ، وهو فى المصاحفِ بالياءِ .

فإن قال قائلٌ : فكيف كُتِب ذلك بنونٍ واحدةٍ ، وقد علِمْتَ أن حكمَ ذلك إذا قُرِئَ : ﴿ نُنجِي ﴾ . أن يُكْتَبَ بنونين ؟ قيل : لأن النونَ الثانيةَ لما سُكِّنَت ، وكان

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣٦٣/٥ عن المصنف .

الساكنُ غيرَ ظاهرٍ على اللسانِ ، حُذِفَت كما فعَلوا ذلك بـ «إلا» ، فحذَفوا النونَ مِن «إنْ» لخفائِها ، إذ كانت مندغمةً فى اللامِ مِن «لا» . وقرَأ ذلك عاصمٌ : (نُجِّى المؤمنين) . بنونٍ واحدةٍ ، وتثقيلِ الجيمِ ، وتسكينِ الياءِ[1] . فإن يكنُ عاصمٌ وجَّه قراءتَه ذلك إلى قولِ العربِ : ضُرِب الضربُ زيدًا . فكنَى عن المصدرِ الذى هو النَّجاءُ ، وجعَل الخبرَ - أعْنِى خبرَ ما لم يُسَمَّ فاعلُه - المؤمنين ، كأنه أراد : وكذلك نجّى النَّجاءُ[2] المؤمنين . فكنَى عن النَّجاءِ - فهو وجهٌ ، وإن كان غيرُه أصوبَ ، وإلا فإن الذى قرَأ مِن ذلك على ما قرَأه ، لحنٌ ؛ لأن «المؤمنين» اسمٌ على القراءةِ التى قرَأها ما لم يُسَمَّ فاعلُه ، والعربُ تَرْفَعُ ما كان مِن الأسماءِ كذلك ، وإنما حمَل عاصمًا على هذه القراءةِ أنه وجَد المصاحفَ بنونٍ واحدةٍ ، وكان فى قراءتِه إياه على ما عليه قراءةُ القرأةِ إلحاقُ نونٍ أُخرى ليست فى المصحفِ ، فظنَّ أن ذلك زيادةُ ما ليس فى المصحفِ ، ولم يَعْرِفْ لحذفِها وجهًا يَصْرِفُه إليه .

قال أبو جعفرٍ : والصوابُ مِن القراءةِ التى لا أَسْتَجِيزُ غيرَها فى ذلك عندَنا ما عليه قرأةُ الأمصارِ ، مِن قراءتِه بنونين ، وتخفيفِ الجيمِ ؛ لإجماعِ الحجَّةِ مِن القرأةِ عليها ، وتخطئتِها خلافَه[3] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ . ٨٣/١٧

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : واذكُرْ يا محمدُ زكريا حينَ نادَى ربَّه :

---

(١) هى قراءة ابن عامر وأبى بكر عن عاصم . النشر ٢/٢٤٣ .

(٢) سقط من : م .

(٣) القراءتان متواترتان .

ربِّ لا تَذَرْنى وحيدًا فَرْدًا لا ولدَ لى ولا عَقِبَ ، ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ . يقولُ : فارزُقْنى وارِثًا مِن آلِ يعقوبَ يَرِثُنى . ثم رَدَّ الأمرَ إلى اللَّهِ فقال : ﴿ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ . يقولُ اللَّهُ جلَّ ثناؤُه : ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا ﴾ لزكريا دُعاءَه ، ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ ﴾ . ولدًا ووارِثًا يَرِثُه ، ﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ﴾ .

واختَلَف أهلُ التأويلِ فى معنى « الصَّلاحِ » الذى عَناه اللَّه جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** : كانت عَقيمًا فأصْلَحها بأن جَعَلَها وَلُودًا .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ عُبيدٍ المُحَارِبىُّ ، قال : ثنا حاتمُ بنُ إسماعيلَ ، عن حُميدِ بنِ صَخْرٍ ، عن عمارٍ ، عن سعيدٍ فى قولِه : ﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ﴾ . قال : كانت لا تَلِدُ[1] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ﴾ . قال : وَهَبْنا له ولدَها[2] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ﴾ : كانت عاقرًا ، فجَعَلَها اللَّهُ وَلُودًا ، ووَهَب له منها يحيى[3] .

وقال آخرون : كانت سيئةَ الخُلُقِ ، فأصْلَحها اللَّهُ له ، بأن رزَقَها حُسنَ الخلقِ .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٥٣/١٩ من طريق حاتم بن إسماعيل به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣٥/٤ إلى ابن أبى شيبة وابن المنذر .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣٥/٤ إلى المصنف .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣٥/٤ إلى المصنف وابن المنذر وابن أبى حاتم .

قال أبو جعفر: والصوابُ مِن القولِ فى ذلك أن يُقالَ: إن اللَّهَ أصْلَح لزكريا زوجَه، كما أخْبَر تعالى ذكرُه بأَنْ جعَلها وَلودًا حسنةَ الخُـلُقِ؛ لأن كلَّ ذلك مِن معانى إصلاحِه إياها، ولم يَخْصُصِ اللَّهُ جلَّ ثناؤُه بذلك بعضًا دونَ بعضٍ فى كتابِه، ولا على لسانِ رسولِه، ولا وضَع على خُصوصِ ذلك دَلالةً، فهو على العُمومِ، ما لم يَأْتِ ما يَجِبُ التسليمُ له بأن ذلك مرادٌ به بعضٌ دونَ بعضٍ.

وقولُه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾. يقولُ: إن الذين سَمَّيْناهم - يَعْنى زكريا وزوجَه ويحيى - كانوا يُسارعون[1] فى طاعتِنا، والعملِ بما يُقَرِّبُهم إلينا.

وقولُه: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾. يقولُ تعالى ذكرُه: وكانوا يَعْبُدوننا رَغَبًا ورَهَبًا. وعَنَى بالدعاءِ [٣٩٦/٢و] فى هذا الموضعِ العبادةَ، كما قال: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤٨]. ويَعْنى بقولِه: ﴿رَغَبًا﴾. أنهم كانوا يَعْبُدونه رغبةً منهم فيما يَرْجون منه مِن رحمتِه وفضلِه، ﴿وَرَهَبًا﴾. يَعْنى رهبةً منهم مِن عذابِه وعقابِه، بتَرْكِهم عبادتَه، ورُكوبِهم معصيتَه.

وبنحوِ الذى قُلْنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ.

/ذكرُ مَن قال ذلك ٨٤/١٧

حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنى حجاجٌ، عن ابنِ جُريجٍ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾. قال: رغبًا فى

(١) بعده فى م، ت ١، ف: «فى الخيرات».

رحمةِ اللَّهِ ، ورهبًا مِن عذابِ اللَّهِ[(١)] .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخْبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ . قال : خوفًا وطمعًا . قال : وليس يَنْبَغي لأحدِهما أن يُفارِقَ الآخرَ[(٢)] .

واخْتَلَفت القَرَأَةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرأتْه عامَّةُ قرأةِ الأمصارِ : ﴿ رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾ . بفتحِ الغينِ والهاءِ ، مِن الرَّغْبِ والرَّهْبِ . واخْتُلِف عن الأعمشِ فى ذلك ، فرُوِيَت عنه الموافَقَةُ فى ذلك للقرأةِ ، ورُوِى عنه أنه قرأَها : (رُغْبًا ورُهْبًا) . بضمِّ الراءِ فى الحرفين ، وتسكينِ الغينِ والهاءِ[(٣)] .

والصوابُ مِن القراءةِ فى ذلك ما عليه قرأةُ الأمصارِ ؛ وذلك الفتحُ فى الحرفَيْن كليهما .

وقولُه : ﴿ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ . يقولُ : وكانوا لنا مُتَواضِعِين مُتَذَلِّلِين ، لا يَسْتَكْبِرون عن عبادتِنا ودعائِنا .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ (٩١) ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : واذكُرِ التى أحْصَنَت فرجَها . يَعْنى مريمَ بنتَ عِمْرانَ . ويَعْنى بقولِه : ﴿ أَحْصَنَتْ ﴾ : حَفِظَتْ ومَنَعَتْ فرجَها مما حَرَّم اللَّهُ عليها إباحتَه فيه .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٣٥ إلى المصنف وابن المنذر وابن أبى حاتم ، وسقط من مطبوعة الدر لفظ ها الأثر ، فانتقل إلى لفظ الأثر التالى .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ص ٢٩٦ (المخطوطة المحمودية) إلى المصنف وابن أبى حاتم .

(٣) ذكرها القرطبى فى تفسيره ١١/٣٣٧ ، وقرأ ابن وثاب والأعمش ورواية عن أبى عمرو بفتح الراء وتسكين الغين والهاء . البحر المحيط ٦/ ٣٣٦.

واختُلِف فى « الفَرْجِ » الذى عَنَى اللَّهُ جلَّ ثناؤُه أنها أحْصَنَتْه ؛ **فقال بعضُهم** : عنَى بذلك فرجَ نَفْسِها ؛ أنها حَفِظَتْه مِن الفاحشةِ .

وقال آخرون : عنَى بذلك جَيْبَ دِرْعِها ؛ أنها مَنَعَتْ جبريلَ منه قبلَ أن تَعْلَمَ أنه رسولُ ربِّها ، وقبلَ أن تُثْبِتَه مَعْرِفَةً . قالوا : والذى يدُلُّ على ذلك قولُه : ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا ﴾ . ويَعْقُبُ[1] ذلك قولَه : ﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ . قالوا : وكان معلومًا بذلك أن معنى الكلامِ : والتى أحصَنَتْ جَيْبَها[2] فنَفَخْنا فيها من رُوحِنا .

قال أبو جعفرٍ : والذى هو أَوْلَى القولَيْنِ عندَنا بتأويلِ ذلك قولُ مَن قال : أحصنتْ فرجَها مِن الفاحشةِ . لأن ذلك هو الأَغْلَبُ مِن مَعْنَيَيْه عليه ، والأَظْهَرُ فى ظاهرِ الكلامِ .

﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ . يقولُ : فنفخْنا فى جيبِ درعِها مِن رُوحِنا . وقد ذكرْنا اختلافَ المُختلِفِين[3] فى معنى قولِه : ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا ﴾[3] . فى غيرِ هذا الموضعِ ، والأَوْلَى بالصوابِ مِن القولِ فى ذلك فيما مضَى ، بما أغْنَى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[4] .

وقولُه : ﴿ وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ . يقولُ : وجَعَلْنا مريمَ وابنَها عِبْرَةً لعالَمى زمانِهما ؛ يَعْتَبِرون بهما ، ويَتَفَكَّرون فى أمرِهما ، فيَعْلَمون عظيمَ سُلْطانِنا

---

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ف : « يعقبه » .

(٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ف : « فرجها » .

(٣ - ٣) سقط من : ت ٢ .

(٤) ينظر ما تقدم فى ١٥/ ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ولم ينصّ المصنف هناك على اختلاف المختلفين ، ولا ذَكَر الأولَى بالصواب ، فلعلَّ ذلك كان مما فسَّره المصنف ثم اختصره .

وقُدْرتنا على ما نشاءُ. وقيلَ: ﴿ءَايَةً﴾. ولم يَقُلْ: «آيتين». وقد ذكر آيتين؛ لأن معنى الكلامِ: جعلْناهما عَلَمًا لنا وحُجَّةً. فكلُّ واحدةٍ منهما فى معنى الدَّلالةِ على اللَّهِ، وعلى عظيمِ قُدْرتِه، يقومُ مَقامَ الآخَرِ؛ إذ[1] كان أمرُهما فى الدَّلالةِ على اللَّهِ واحدًا.

٨٥/١٧ /القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾.

يقولُ تعالى ذكرُه: إن هذه مِلَّتُكم مِلَّةٌ واحدةٌ، وأنا ربُّكم أيها الناسُ فاعْبُدونِ دونَ الآلهةِ والأَوْثانِ وسائرِ ما تَعْبُدونَ مِن دونى.

وبنحوِ الذى قُلْنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى علىٌّ، قال: ثنا عبدُ اللَّهِ، قال: ثنى معاويةُ، عن علىٍّ، عن ابنِ عباسٍ قولَه: ﴿أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾. يقولُ: دينُكم دينٌ واحدٌ[2].

حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنى حجاجٌ، عن ابنِ جُريجٍ، قال: قال مجاهدٌ فى قولِه: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾. قال: دينُكم دينٌ واحدٌ[2].

ونُصِبَتِ ﴿أُمَّةً﴾ الثانيةُ على القَطْعِ. وبالنصبِ قرأَه جماعةُ قرأةِ الأمصارِ، وهو الصوابُ عندَنا؛ لأن ﴿أُمَّةً﴾ الثانيةَ نكرةٌ، والأُولَى مَعْرِفةٌ. وإذ كان ذلك

---

(١) فى م، ف: «إذا».

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٣٥ إلى المصنف.

كذلك، وكان الخبرُ قبلَ مجيءِ النكرةِ مُسْتَغْنِيًا عنها، كان وجهُ الكلامِ النصبَ، هذا مع إجماعِ الحُجَّةِ مِن القرأةِ عليه. وقد ذُكِر عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى إسحاقَ رَفْعُ ذلك أنه قرأَه: (أمَّةٌ واحدةٌ)[1] بنيَّةِ تكريرِ الكلامِ، كأنه أراد: إنَّ هذه أمَّتُكم هذه[2] أمةٌ واحدةٌ.

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى: ﴿وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

يقولُ تعالى ذكرُه: وتَفَرَّق الناسُ فى دينِهم الذى أمرَهم اللَّهُ به ودَعاهم إليه، فصاروا فيه أحزابًا، فتَهَوَّدَتِ[3] اليهودُ، وتَنَصَّرتِ النصارى، وعُبِدتِ الأوثانُ. ثم أخْبَر جلَّ ثناؤُه عمَّا هم إليه صائرون، وأن مرجعَ جميعِ أهلِ الأديانِ إليه، مُتَوَعِّدًا بذلك أهلَ الزَّيْغِ منهم والضلالِ، ومُعْلِمَهم أنه لهم [٢/٣٩٦ظ] بالمرصادِ، وأنه مُجازٍ جميعَهم جَزاءَه[4]؛ المُحسنَ بإحسانِه، والمُسيءَ بإساءَتِه.

وبنحوِ الذى قُلْنا فى تأويلِ قولِه: ﴿وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ﴾. قال أهلُ التأويلِ.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى يونسُ، قال: أخْبَرنا ابنُ وهبٍ، قال: قال ابنُ زيدٍ فى قولِه: ﴿وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ﴾. قال: تقطَّعوا؛ اختلَفوا فى الدينِ[5].

---

(١) وهى قراءة الحسن والأشهب العقيلى وأبى حيوة وابن أبى عبلة والجعفى وهارون عن أبى عمرو والزعفرانى. البحر المحيط ٦/ ٣٣٧.

(٢) سقط من: ص، ت ١، ت ٢، ف.

(٣) فى ص، ت ١، ف: «فهودت».

(٤) فى م: «جزاء».

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/ ٣٣٥ إلى المصنف.

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾.

يقولُ تعالى ذكرُه: فمن عمِل مِن هؤلاءِ الذين تفرَّقوا فى دينِهم بما أمرَه اللَّهُ به مِن العملِ الصالحِ، وأطاعَه / فى أمرِه ونهيِه، وهو مُقِرٌّ بوحدانيَّةِ اللَّهِ، مُصدِّقٌ بوعدِه ووعيدِه، مُتَبرِّئٌ مِن الأندادِ والآلهةِ، ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾. يقولُ: فإن اللَّهَ يَشكُرُ عملَه الذى عمِل له مُطيعًا له، وهو به مؤمنٌ، فيُثيبُه فى الآخرةِ ثوابَه الذى وعَد أهلَ طاعتِه أن يُثيبَهُموه، ولا يَكْفُرُ ذلك له فيَجْحَدَه ويَحْرِمَه ثوابَه على عملِه الصالحِ، ﴿وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾. يقولُ: ونحن نَكتُبُ أعمالَه الصالحةَ كلَّها، فلا نَترُكُ منها شيئًا؛ لنَجْزِيَه على صغيرِ ذلك وكبيرِه، وقليلِه وكثيرِه. ٨٦/١٧

قال أبو جعفرٍ: والكُفْرانُ مَصْدرٌ مِن قولِ القائلِ: كَفَرتُ فُلانًا نِعْمتَه، فأنا أَكْفُرُه كُفْرًا وكُفْرانًا. ومنه قولُ الشاعرِ[(١)]:

مِن الناسِ ناسٌ[(٢)] ما تَنامُ خُدودُهمْ ... وخَدِّى ولا كُفْرانَ للَّهِ نائِمُ

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى: ﴿وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾﴾.

اخْتَلَفت القرأةُ فى قراءةِ قولِه: ﴿وَحَرَٰمٌ﴾؛ فقرأتْه عامَّةُ قرأةِ أهلِ الكوفةِ: (وحِرْمٌ). بكسرِ الحاءِ[(٣)].

وقرَأ ذلك عامَّةُ قرأةِ أهلِ المدينةِ والبَصْرةِ: ﴿وَحَرَٰمٌ﴾. بفتحِ الحاءِ والألفِ[(٤)].

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك أنهما قِراءَتانِ مَشْهورتانِ مُتَّفِقَتا المَعْنَى، غيرُ

---

(١) مجاز القرآن لأبى عبيدة ٢/ ٤٢، وجمهرة اللغة ٣/ ٤١٥ غير منسوب.

(٢) سقط من: ص، ت ١، ت ٢، ف.

(٣) وهى قراءة حمزة والكسائى وأبى بكر عن عاصم. السبعة لابن مجاهد ص ٤٣١.

(٤) وهى قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم. المصدر السابق.

مُخْتَلِفَتَيْه ؛ وذلك أن الحِرْمَ هو الحَرامُ ، والحَرامَ هو الحِرْمُ ، كما الحِلُّ هو الحَلالُ ، والحَلالُ هو الحِلُّ ، فبأيَّتِهما قرأ القارئُ فمصيبٌ .

وكان ابنُ عباسٍ يَقْرَؤُه : (وحِرْمٌ)[1] . بتأويلِ : وعَزْمٌ .

حدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن أبي المُعَلَّى ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، كان يَقْرَؤُها : (وحِرْمٌ على قريةٍ) . قال : فقلتُ لسعيدٍ : أيُّ شيءٍ « حِرْمٌ » ؟ قال : عَزْمٌ[2] .

حدَّثنا محمدُ بنُ المثنى ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شُعْبَةُ ، عن أبي المُعَلَّى ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، كان يَقرَؤُها : (وحِرْمٌ على قريةٍ) . قلتُ لأبي المُعَلَّى : ما الحِرْمُ ؟ قال : عَزْمٌ[3] عليها .

حدَّثنا ابنُ المثنى ، قال : ثنا عبدُ الأعلى ، قال : ثنا داودُ ، عن عِكْرِمةَ ، عن ابنِ عباسٍ أنه كان يَقْرَأُ هذه الآيةَ : (وحِرْمٌ على قريةٍ أهْلَكْناها أنَّهم لا يَرْجِعُون) : فلا يَرْجِعُ منهم راجِعٌ ، ولا يَتوبُ منهم تائِبٌ[4] .

حدَّثنا ابنُ المثنى ، قال : ثنا عبدُ الوَهَّابِ ، قال : ثنا داودُ ، عن عكرمةَ ، قال : ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ . قال : لم يَكُنْ ليَرْجِعَ منهم

---

(١) ذكرهذه القراءة عن ابن عباس الفراء فى معانى القرآن ٢/ ٢١١، وعن ابن عباس أيضًا (حَرْم) ، (حُرُم) ، (حَرَم) ، (حَرِم) . ينظر مختصر الشواذ لابن خالويه ص ٩٥، والمحتسب ٢/ ٦٥، والبحر المحيط ٦/ ٣٢٨.

(٢) فى ت ١: « يحرم » ، وفى ت ٢: « حرم » .
والأثر عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/ ٣٣٥ إلى المصنف .

(٣) فى ت ١: « يحرم » ، وفى ت ٢: « محرم » .

(٤) تفسير سفيان ص ٢٠٥، وأخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (٧٢٣٣) من طريق داود به مختصرا بلفظ : لا يتوبون .

راجعٌ ؛ حَرامٌ عليهم ذاك[١] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا عيسى بنُ فَرْقَدٍ ، قال : ثنا جابرٌ الجُعْفىُّ ، قال : سألتُ أبا جعفرٍ عن الرَّجْعَةِ ، فقرأ هذه الآيةَ : ﴿ وَحَرَامٌ[٢] عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾[٣] .

فكأن أبا جعفرٍ وجَّه تأويلَ ذلك إلى أنه : وحَرامٌ على أهلِ قريةٍ أَمَتْناهم أن يَرْجِعوا إلى الدنيا .

والقولُ الذى قاله عكرمةُ فى ذلك أَوْلَى عندى بالصوابِ ؛ وذلك أن اللَّهَ تعالى ذكرُه أَخْبَرَ عن تفريقِ الناسِ دينَهم الذى بَعَثَ به إليهم الرُّسُلَ ،/ ثم أَخْبَرَ عن صَنِيعِه ٨٧/١٧
بمَن عمِل بما دَعَتْه إليه رسلُه مِن الإيمانِ به والعملِ بطاعتِه ، ثم أَتْبَعَ ذلك قولَه : ﴿ وَحَرَامٌ[٤] عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ . فلأَن يكونَ ذلك خبرًا عن صنيعِه بمَن أَبَى إجابةَ رسلِه وعمِل بمعصيتِه وكفَر به ، أَحْرَى لِيَكونَ بَيانًا عن حالِ الفِرْقةِ[٥] الأُخْرَى التى لم تَعْمَلِ الصالحاتِ وكفَرَتْ به .

فإذ[٦] كان ذلك كذلك ، فتأويلُ الكلامِ : حرامٌ على أهلِ قريةٍ أَهْلَكْناهم[٧] بطَبْعِنا على قُلوبِهم ، وخَتْمِنا على أسماعِهم وأبصارِهم - إذ صَدُّوا عن سبيلِنا ،

---

(١) فى م : « ذلك » . والأثر عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٣٥ إلى عبد بن حميد .

(٢) فى ت ١، ت ٢ : « حرم » .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٥/ ٣٦٦.

(٤) فى ص : « حرم » .

(٥) فى م : « القرية » .

(٦) فى م ، ف : « فإذا » .

(٧) فى ت ١، ت ٢، ف : « أهلكناها » .

وكفَروا بآياتِنا - أن يَتوبوا ، ويُراجِعوا الإيمانَ بنا ، واتِّباعَ أمْرِنا والعملَ بطاعتِنا . وإذ كان ذلك تأويلَ قولِ اللَّهِ : (وحِرْمٌ) : وعَزْمٌ . على ما قال سعيدٌ ، لم تَكُنْ « لا » فى قولِه : ﴿ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ صِلَةً[1] ، بل تكونُ بمعنى النَّفْيِ ، ويكونُ معنى الكلامِ : وعزمٌ منا على قريةٍ أهْلَكْناها ألا يَرْجِعوا عن كفرِهم . وكذلك إذا كان معنى قولِه : (وحِرْمٌ) : [2]ووَجْبَةٌ[2] .

وقد زعَم بعضُهم أنها فى هذا الموضعِ صلةٌ ، فإن معنى الكلامِ : وحرامٌ على قريةٍ أهْلَكْناها أن يَرجعوا[3] . وأهلُ التأويلِ الذين ذَكَرْناهم كانوا أعْلَمَ بمعنى ذلك منه .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : حتى إذا فُتح عن يأجوجَ ومأجوجَ - وهما أُمَّتان مِن الأُمَمِ - رَدْمُهما .

كما **حدَّثنى** عصامُ بنُ رَوَّادِ[4] بنِ الجرَّاحِ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنا سفيانُ بنُ سعيدٍ الثَّوْرِىُّ ، قال : ثنا منصورُ بنُ المُعْتَمِرِ ، عن رِبْعِىِّ بنِ حِراشٍ ، قال : سَمِعتُ حُذيفةَ بنَ اليَمَانِ [٢/ ٣٩٧و] ، يقولُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أوَّلُ الآياتِ الدَّجَّالُ ، ونُزولُ عيسى ، ونارٌ تَخْرُجُ مِن قَعْرِ عَدَنِ أَبْيَنَ[5] ، تَسوقُ الناسَ إلى المَحْشَرِ ، تَقِيلُ

---

(١) صلة هنا بمعنى : زائدة . ينظر مصطلحات النحو الكوفى ص ٣٨، ٣٩.

(٢ - ٢) فى م : « نوجبه » . ووجب الشىء يجب وجوبًا ووجْبًا ووَجْبةً ووِجبةً : لزم وثبت . المعجم الوسيط (و ج ب) .

(٣) ينظر المحتسب لابن جنى ٢/ ٦٥.

(٤) فى النسخ : « داود » .

(٥) عدن أبين : مدينة معروفة باليمن ، أضيفت إلى أبين رجل من حمير ؛ لأنه عدن بها ، أى : أقام . ينظر اللسان (ع د ن) .

معهم إذا قالوا ، والدُّخانُ ، والدَّابَّةُ ، ثم يأجوجُ ومأجوجُ » . قال حُذيفةُ : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، ما يأجوجُ ومأجوجُ ؟ قال : « يأجوجُ ومأجوجُ أُمَمٌ ؛ كلُّ أُمَّةٍ أربعُمائةِ ألْفٍ ، لا يموتُ الرَّجُلُ منهم حتى يَرَى ألفَ عينٍ تُطْرِقُ[1] بينَ يَدَيْه مِن صُلْبِه ، وهم وَلَدُ آدمَ ، فيَسِيرونَ إلى خَرابِ الدُّنْيا ، ويكونُ مُقَدِّمَتُهم بالشامِ وساقَتُهم بالعراقِ ، فيَمُرُّون بأنهارِ الدُّنيا ، فيَشْربون الفُراتَ والدِّجْلَةَ وبُحيرَةَ الطَّبَرِيَّةِ ، حتى يَأْتوا بيتَ المَقْدِسِ ، فيَقُولونَ : قد قَتَلْنا أهلَ الدُّنيا ، فقاتِلوا مَنْ فى السماءِ . فيَرْمُون بالنُّشَّابِ إلى السماءِ ، فتَرْجِعُ نُشَّابُهم[2] مُخَضَّبَةً بالدَّمِ ، فيَقُولونَ : قد قَتَلْنا مَن فى السماءِ . وعيسى والمسلمون بجَبَلِ طُورِ سِينِينَ ، فيُوحِى اللَّهُ جلَّ وعزَّ إلى عيسى : أن أحْرِزْ عبادى بالطُّورِ ، وما يَلِى أَيْلَةَ[3] . ثم إن عيسى يَرْفَعُ يَدَيْه[4] إلى السماءِ ، ويُؤَمِّنُ المسلمون ، فيَبْعَثُ اللَّهُ عليهم دابَّةً يُقالُ لها : النَّغَفُ . تَدْخُلُ مِن مَناخِرِهم ، فيُصْبِحونَ مَوْتَى ، مِن حاقِّ الشامِ إلى حاقِّ العراقِ[5] ، حتى تُنْتِنَ الأرضُ مِن جِيَفِهم ، ويَأْمُرُ اللَّهُ السماءَ فتُمْطِرُ / كأفْواهِ القِرَبِ ، فتَغْسِلُ الأرضَ من جِيَفِهم ونَتْنِهم ، فعندَ ذلك طُلوعُ الشمسِ مِن مَغْرِبِها »[6] . ٨٨/١٧

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا حَكَّامٌ ، عن أبى جعفرٍ ، عن الرَّبيعِ ، عن أبى العاليةِ ، قال : إن يأجوجَ ومأجوجَ يَزيدون على سائرِ الإنسِ الضِّعْفَ ، وإن الجنَّ يزيدون على

---

(١) فى م ، ت ١ : « تطرف » .

(٢) النُّشَّاب : السِّهام . واحدته : نُشَّابَة . تاج العروس (ن ش ب) .

(٣) أيْلَة : مدينة على ساحل بحر القُلْزُم – البحر الأحمر الآن – مما يلى الشام . وقيل : هى آخر الحجاز وأول الشام . معجم البلدان ١/ ٤٢٢ .

(٤) فى م ، ت ٢ : « رأسه » ، وفى ت ١ ، ف : « راية » . والمثبت من ص موافق لما فى الدر المنثور .

(٥) يقال : لَقيتُه عند حاقِّ المسجد ، وعند حقِّ بابه . أى بقُربه . ينظر تاج العروس (ح ق ق) .

(٦) أخرجه أبو عمرو الدانى فى السنن الواردة فى الفتن (٦٧٦) من طريق ربعى به مختصرا نحوه ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/ ٣٣٧ إلى المصنف .

الإنسِ الضِّعفَ ، وإن يأجوجَ ومأجوجَ رَجُلانِ اسمُهما يأجوجُ ومأجوجُ[(١)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ المثنى ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شُعْبَةُ ، عن أبى إسحاقَ ، قال : سَمِعتُ وهبَ بنَ جابرٍ يُحدِّثُ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو أنه قال : إن يأجوجَ ومأجوجَ يَمُرُّ أوَّلُهم بنهرٍ مثلِ دِجْلَةَ ، ويمرُّ آخِرُهم فيقولُ : قد كان فى هذا مَرَّةً ماءٌ . لا يموتُ رجلٌ منهم إلا ترَك مِن ذُرِّيَّتِه ألفًا فصاعِدًا . وقال : مِن بعدِهم ثلاثُ أُمَمٍ لا يَعْلَمُ عددَهم إلا اللَّهُ ؛ تاويلُ ، وتاريسُ ، وناسكٌ أو منسكٌ . شَكَّ شعبةُ[(٢)] .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيانُ ، عن أبى إسحاقَ ، عن وهبِ بنِ جابرٍ الخَيْوَانىِّ ، قال : سألتُ عبدَ اللَّهِ بنَ عمرٍو عن يأجوجَ ومأجوجَ ؛ أمِن بنى آدمَ هم ؟ قال : نعم ، ومِن بعدِهم ثلاثُ أممٍ لا يعلمُ عددَهم إلا اللَّهُ ؛ تاريسُ ، وتاويلُ ، ومنسكٌ .

حدَّثنا ابنُ المثنى ، قال : ثنا [(٣)]سهلُ بنُ حَمَّادٍ أبو عَتَّابٍ[(٣)] ، قال : ثنا شُعْبَةُ ، عن النُّعْمانِ بنِ سالمٍ ، قال : سَمِعتُ نافعَ بنَ جُبيرِ بنِ مُطْعِمٍ يقولُ : قال عبدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو : يأجوجُ ومأجوجُ لهم أنهارٌ يَلَغُونَ[(٤)] ما شاءُوا ، ونساءٌ يُجامِعون ما شاءُوا ، وشجرٌ

---

(١) عزاه السيوطى بنحوه فى الدر المنثور ٤/٢٤٩ إلى ابن أبى حاتم ، وفى لفظه : « يزيدون على الإنس الضعفين وإن الجن يزيدون على الإنس الضعفين » .

(٢) أخرجه نعيم بن حماد فى الفتن (١٦٥٦) عن محمد بن جعفر به ، وأخرجه أبو عمرو الدانى فى السنن الواردة فى الفتن (٦٨٠) ، والحاكم ٤/٤٩٠ من طريق شعبة به .

(٣ - ٣) فى ص ، ت ١ ، ف : « سهل بن حاتم أبو عتاب » ، وفى ت ٢ : « إسماعيل بن حاتم أبو أعتات » . وينظر تهذيب الكمال ١٢/ ١٧٩.

(٤) فى م : « يلقمون » ، وفى ت ١ ، ت ٢ : « يلقون » ، وفى ف : « يلعون » .

وولَغ السَّبُعُ والكلبُ ، وكلُّ ذى خَطْم فى الإناء وفى الشراب ، ومنه ، وبه ، أى : شرب ما فيه بأطراف لسانه ، أو أدخل لسانه فيه فحرَّكه . ينظر تاج العروس (و ل غ) .

يَلْقَمُون ما شاءُوا، ولا يموتُ رجلٌ[١] إلا تَرَك مِن ذُرِّيَّتِه ألفًا فصاعدًا[٢].

حدَّثنا محمدُ بنُ عُمارةَ، قال: ثنا [٣]عُبَيدُ اللَّهِ[٣] بنُ موسى، قال: أخْبَرنا زكريا، عن عامرٍ، عن عمرِو بنِ ميمونٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ سَلَامٍ، قال: ما مات أحدٌ مِن يأجوجَ ومأجوجَ إلا تَرَك ألفَ ذُرِّيٍّ[٤] فصاعدًا[٥].

حدَّثني يحيى بنُ إبراهيمَ المَسْعُودىُّ، قال: ثنا أبى، عن أبيه، عن جدِّه، عن الأعمشِ، عن عطيةَ، قال: قال أبو سعيدٍ: يَخرُجُ يأجوجُ ومأجوجُ فلا يَتْرُكون أحدًا إلا قَتَلوه، إلا أهلَ الحُصونِ، فيَمُرُّون على البُحَيرةِ فيَشْرَبونها، فيَمُرُّ المارُّ فيقولُ: كأنَّه كان هٰهنا ماءٌ. قال: فيَبْعَثُ اللَّهُ عليهم النَّغَفَ حتى يَكْسِرَ أعناقَهم فيَصِيروا خَبالًا، فيقولُ أهلُ الحصونِ: لقد هَلَك أعداءُ اللَّهِ. فيُدَلُّون رجلًا لِيَنْظُرَ، ويَشْتَرِطُ عليهم إن وَجَدهم أحياءً أن يَرْفَعُوه، فيَجِدُهم قد هَلَكُوا. قال: فيُنْزِلُ اللَّهُ ماءً مِن السماءِ، [٦]فيَقْذِفُ بهم[٦] فى البحرِ، فتَطْهُرُ الأرضُ منهم، ويَغْرِسُ الناسُ بعدَهم الشجرَ والنخلَ، وتُخرِجُ الأرضُ ثمرتَها، كما كانت تُخرجُ فى زمنِ يأجوجَ ومأجوجَ[٧].

حدَّثنا محمدُ بنُ المثنى، قال: ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ، قال: ثنا شعبةُ، عن

---

(١) بعده فى ت ٢: «منهم».

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٢٥٠ إلى المصنف.

(٣ - ٣) فى م، ت ١، ف: «عبد الله».

(٤) فى م: «ذرء».

(٥) أخرجه نعيم بن حماد فى الفتن (١٦٤٣) من طريق زكريا به، وعزاه السيوطى فى الدرالمنثور ٤/٢٥٠ إلى ابن أبى شيبة.

(٦ - ٦) فى م: «فيقذفهم».

(٧) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٣٧ إلى المصنف.

(١ عُبيدِ اللَّهِ بنِ أبى يزيدَ ١)، قال: رأى ابنُ عباسٍ صِبْيانًا يَنْزُو بعضُهم على بعضٍ؛ يَلْعَبون، فقال ابنُ عباسٍ: هكذا يَخرُجُ يأجوجُ ومأجوجُ (٢).

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ، قال: ثنا الحَكَمُ، قال: ثنا عمرُو بنُ قيسٍ، قال: بَلَغَنا أن ملِكًا دونَ الرَّدْمِ يَبْعَثُ خَيْلًا كلَّ يومٍ يَحْرُسون الردمَ، لا يَأْمَنُ يأجوجَ ومأجوجَ أن تَخْرُجَ عليهم. قال: فيَسْمَعون جَلَبَةً وأمرًا شديدًا.

/**حدَّثنا** ابنُ عبدِ الأعلى، قال: ثنا ابنُ ثَورٍ، عن معمرٍ، عن أبى إسحاقَ، أن ٨٩/١٧
عبدَ اللَّهِ بنَ عمرٍو، قال: ما يموتُ الرجلُ مِن يأجوجَ ومأجوجَ حتى يُولَدَ له مِن صُلْبِه ألفُ رجُلٍ (٣)، وإن مِن وَرائِهم لَثلاثَ أُممٍ ما يَعْلَمُ عددَهم إلا اللَّهُ؛ منسكٌ، وتاويلُ، وتاريسُ (٤).

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى، قال: ثنا ابنُ ثورٍ، عن معمرٍ، عن قَتادةَ، عن عمرٍو البِكالىِّ، قال: إن اللَّهَ جَزَّأَ الملائكةَ والإنسَ والجِنَّ عشرةَ أجْزاءٍ؛ فتسعةٌ منهم الكَرُوبِيُّونَ، وهم الملائكةُ الذين يَحْمِلون العرشَ، ثم هم أيضًا الذين يُسَبِّحون الليلَ والنهارَ لا يَفْتُرون. قال: ومَن بَقِىَ مِن الملائكةِ لأَمْرِ اللَّهِ ووَحْيِه ورِسالتِه. ثم جَزَّأَ الإنسَ والجنَّ عشرةَ أجزاءٍ؛ فتسعةٌ منهم الجنُّ، [٢/٣٩٧ظ] لا يُولَدُ مِن الإنسِ وَلَدٌ، إلا وُلِد مِن الجنِّ تسعةٌ. ثم جزَّأَ (٥الإنسَ على٥) عشرةِ أجزاءٍ؛ فتسعةٌ منهم يأجوجُ

(١ - ١) فى ص، ت ٢: «عبيد الله عن أبى يزيد»، وفى ت ١، والدر المنثور: «عبد الله بن أبى يزيد». وهو عبيد الله بن أبى يزيد المكى. ينظر تهذيب الكمال ١٩/ ١٧٨.

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣٦٧/٥ عن المصنف.

(٣) سقط من: م.

(٤) أخرجه معمر فى جامعه (٢٠٨١٠) مطولا، ومن طريقه عبد الرزاق فى تفسيره ٢٩/٢، ونعيم بن حماد فى الفتن (١٦٤٢).

(٥ - ٥) فى ص، ت ١، ت ٢، ف: «الجن».

ومأجوجُ، وسائرُ الناسِ[(١)] جُزءٌ[(٢)].

حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنى حجاجٌ، عن ابنِ جُريجٍ قولَه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾. قال: أُمَّتان مِن وراءِ رَدْمِ ذى القَرْنينِ[(٣)].

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى، قال: ثنا ابنُ ثَورٍ، عن معمرٍ، عن غيرِ واحدٍ، عن حُميدِ بنِ هلالٍ، عن أبى الضَّيْفِ[(٤)]، قال: قال كعبٌ[(٥)]: إذا كان عندَ خروجِ يأجوجَ ومأجوجَ، حفَروا حتى يَسْمَعَ الذين يَلُونَهم قَرْعَ فُئُوسِهم، فإذا كان الليلُ قالوا: نَجِيءُ غدًا فنَخْرُجُ. فيُعيدُها اللَّهُ كما كانت، فيَجِيئون مِن الغدِ، [(٦)]فيَحْفِرون حتى يَسْمَعَ الذين يَلُونَهم قَرْعَ فُئُوسِهم، فإذا كان الليلُ قالوا: نَجِيءُ غدًا فنَخْرُجُ. فيَجِيئون مِن الغَدِ[(٦)]، فيَجِدونَه قد أعادَه اللَّهُ كما كان، فيَحْفِرونَه حتى يَسمعَ الذين يَلُونهم قَرْعَ فُئُوسِهم، فإذا كان الليلُ أَلْقَى اللَّهُ على لسانِ رجلٍ منهم يقولُ: نجيءُ غدًا فنَخْرُجُ إن شاءَ اللَّهُ. فيَجِيئونَ مِن الغدِ فيَجِدونَه كما تَرَكوه، فيَحْفِرونَ ثم يَخْرُجُون، فتَمُرُّ الزُّمْرَةُ الأُولَى بالبُحَيرةِ فيَشْرَبون ماءَها، ثم تمرُّ الزُّمْرةُ الثانيةُ فيَلْحَسون طِينَها، ثم تمرُّ الزُّمرةُ الثالثةُ فيَقولون: قد كان هٰهنا مرةً ماءٌ. ويَفِرُّ الناسُ منهم، فلا يقومُ لهم شيءٌ، يَرْمون بسهامِهم إلى السماءِ، فتَرْجِعُ مُخَضَّبَةً بالدماءِ، فيقولون: غَلَبْنا أهلَ الأرضِ وأهلَ

---

(١) فى م: «الإنس».

(٢) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٢٨ عن معمر، عن قتادة، عن عامر البكالى، وأخرجه الحاكم ٤/٤٩٠ من طريق معدان بن طلحة عن عمرو البكالى عن عبد الله بن عمرو. نحوه بزيادة فى آخره، وكذا عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٢٤٩ إلى المصنف وابن المنذر وابن أبى حاتم من طريق عمرو البكالى عن عبد الله بن عمر.

(٣) ينظر ما تقدم تخريجه فى ١٥/ ٣٨٦، ٣٨٧.

(٤) فى ص: «الصف»، وفى م، ت ٢، وتفسير عبد الرزاق: «الصيف». وينظر ترجمته فى الكنى ص ٤٥، والجرح والتعديل ٩/ ٣٦٩.

(٥) فى ص، ت ١، ت ٢، ف: «سمعت»، وهو تحريف واضح.

(٦ - ٦) سقط من: م.

السماءِ. فيَدْعو عليهم عيسى ابنُ مريمَ، فيقولُ: اللَّهُمَّ لا طاقةَ ولا يَدَيْنِ لنا بهم، فاكْفِناهم بما شِئتَ. فيُسَلِّطُ اللَّهُ عليهم دُودًا يُقالُ له[(١)]: النَّغَفُ. فتَفْرِسُ[(٢)] رقابَهم، ويَبْعَثُ اللَّهُ عليهم طَيْرًا، فتأْخُذُهم بمَناقيرِها[(٣)]، فتُلْقيهم في البحرِ، ويَبْعَثُ اللَّهُ عينًا[(٤)] يُقالُ لها: الحياةُ. تُطَهِّرُ الأرضَ منهم وتُنْبِتُها، حتى إن الرُّمَّانةَ ليَشْبَعُ منها السَّكَنُ. قيل: وما السَّكَنُ يا كعبُ؟ قال: أهلُ البيتِ. قال[(٥)]: فبَيْنا الناسُ كذلك، إذ أتاهم الصَّرِيخُ أن ذا السُّوَيقَتَيْنِ[(٦)] قد غَزَا البيتَ[(٦)] يُريدُه، فيَبْعَثُ عيسى طَليعةً، سبعَمائةٍ أو بينَ السَّبْعِمائة والثمانِمائة، حتى إذا كانوا ببعضِ الطريقِ بعَث اللَّهُ رِيحًا يَمانِيَّةً طَيِّبةً، فيَقْبِضُ اللَّهُ فيها رُوحَ كلِّ مؤمنٍ، ثم يَبْقَى عَجاجٌ[(٧)] مِن الناسِ يَتَسافَدُونَ[(٨)] كما تَتَسافَدُ البهائمُ، فمَثَلُ الساعةِ كمثَلِ رَجُلٍ يُطيفُ حولَ فَرَسِه، يَنْتَظِرُها متى تَضَعُ، فمَنْ تَكَلَّف بعدَ قولي هذا شيئًا، أو على هذا شيئًا، فهو المُتَكَلِّفُ[(٩)].

حدَّثنا العباسُ بنُ الوليدِ البَيْروتيُّ، قال: أخبَرني أبي، قال: سَمِعتُ ابنَ جابرٍ، قال: ثني محمدُ[(١٠)] بنُ جابرٍ الطَّائيُّ، ثم الحِمْصِيُّ، ثني عبدُ الرحمنِ بنُ جُبيرِ بنِ نُفيرٍ

---

(١) في ص، ت ١: «لها».

(٢) فَرَس فريسته: دقَّ عُنُقَها. والفَرْس: الكَسْر. وكلُّ قتْلٍ فَرْسٌ. ينظر تاج العروس (ف ر س).

(٣) في م، ت ١، ف: «بمناقرها».

(٤) العبارة في تفسير عبد الرزاق جاءت هكذا: «غيثا يقال له: الحياة».

(٥) في ص، ت ١، ت ٢، ف: «قيل».

(٦ - ٦) سقط من النسخ، وفي الدر المنثور: «أتى البيت» وبمعناه في الفتن لنعيم بن حماد والمثبت من: تفسير عبد الرزاق والسنن الواردة في الفتن.

(٧) العَجاج: رَعَاعُ الناس والغَوْغاءُ والأراذِلُ ومَن لا خير فيه. تاج العروس (ع ج ج).

(٨) التَّسافُد يُكْنَى به عن الجماعِ. يُنظر تاج العروس (س ف د).

(٩) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٢٨، ٢٩، وأخرجه أبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (٦٧٩) من طريق حميد به، وأخرجه نعيم حماد في الفتن (١٦٤١، ١٦٧٠) عن عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب، عن أبي الضيف به نحوه.

(١٠) كذا في النسخ، والصواب: «يحيى»، كما في مصادر التخريج الآتية. وابن جابر الذي يروى عن يحيى ابن جابر الطائي، هو عبد الرحمن بن يزيد بن جابر الأزدي، كما في ترجمته في تهذيب الكمال ١٨/ ٥.

الحَضْرَميُّ ، قال : ثنى أبى ، أنه سَمِع النَّوَّاسَ بنَ سَمْعانَ الكِلابيَّ ، يقولُ : ذكَر رسولُ اللَّهِ ﷺ الدَّجّالَ ، وذكَر أمرَه ، وأنَّ عيسى ابنَ مريمَ / يَقْتُلُه . ثم قال : « فبَيْنا[1] هو كذلك ، أَوْحَى اللَّهُ إليه : يا عيسى ، إنى قد أخرجتُ عِبادًا لى [2]لا يَدَ[2] لأحدٍ بقتالِهم ، فحَرِّزْ عبادى إلى الطُّورِ . فيَبْعَثُ اللَّهُ يأجوجَ ومأجوجَ ، وهم مِن كلِّ حَدَبٍ يَنْسِلون ، فيَمُرُّ أحدُهم على بُحيرةِ طَبَرِيَّةَ ، فيَشْرَبون ما فيها ، ثم يَنْزِلُ آخِرُهم ، فيقولُ[3] : لقد كان بهذه مَرَّةً ماءٌ . فيُحاصَرُ نبيُّ اللَّهِ عيسى وأصحابُه ، حتى يكونَ رأسُ الثورِ يومَئذٍ خيرًا لأحدِهم مِن مائةِ دينارٍ لأحدِكم . فيَرْغَبُ نبيُّ اللَّهِ عيسى وأصحابُه إلى اللَّهِ ، فيُرْسِلُ اللَّهُ عليهم النَّغَفَ فى رِقابِهم ، فيُصْبِحون فَرْسَى[4] موتِ نفسٍ واحدةٍ ، فيَهْبِطُ نبيُّ اللَّهِ عيسى وأصحابُه ، فلا يَجِدُون موضعًا إلا وقد ملأَه زَهَمُهم[5] ونَتْنُهم ودِماؤُهم ، فيَرْغَبُ نبيُّ اللَّهِ عيسى وأصحابُه إلى اللَّهِ ، فيُرسِلُ اللَّهُ عليهم طيرًا كأعْناقِ البُخْتِ[6] . فتَحْمِلُهم فتَطْرَحُهم حيثُ شاءَ اللَّهُ ، ثم يُرسِلُ اللَّهُ مطرًا لا يُكِنُّ منه بيتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ ، فيَغْسِلُ الأرضَ حتى يَتْرُكَها كالزَّلَقَةِ[7] » . ٩٠/١٧

---

(١) فى ت ١، ت ٢: « فبينما » . وهو موافق لما فى مسلم ، والترمذى ، وابن ماجه ، ومستدرك الحاكم . والمثبت من ص ، م ، ف موافق لما فى مسند أحمد .

(٢ - ٢) سقط من : ت ٢، وفى ص ، ت ١، ف : « لا يدى » .

(٣) فى ص ، م ، ت ٢، ف : « ثم يقول » . والمثبت من ت ١ موافق لما فى الترمذى ، وفى مسلم وابن ماجه والمستدرك : « فيقولون » .

(٤) فَرْسَى : قَتْلَى . جمع فَرِيس . ينظر تاج العروس (ف ر س) .

(٥) الزَّهَم بالتحريك : مصدر زَهِمت يدُه تَزْهَمُ ؛ مِن رائحة اللحم . والزُّهْمة بالضم : الريح المُنْتِنَةُ . أراد أن الأرض تُنتن من جِيَفهم . النهاية ٢/ ٣٢٣.

(٦) البخت : جِمَال طِوَال الأعناق . ينظر النهاية ١/ ١٠١.

(٧) فى م ، ت ١، ومسلم ، والترمذى ، والمستدرك : « كالزلفة » . والمثبت من ص ، ت ٢، ف موافق لما فى مسند أحمد ، وابن ماجه . والزلفة بالتحريك ، جَمْعُها زَلَفٌ : مصانع الماء . أراد أن المطر يُغدِّر فى الأرض - أى يصنع فيها غُدْران ماء . وقيل : الزلفة : المِرْآةُ . شَبَّهها بها لاستوائها ونظافتها . ويقال بالقاف أيضًا . ينظر النهاية ٢/ ٣٠٩. والحديث أخرجه أحمد ٢٩/ ١٧٢ - ١٧٥ (١٧٦٢٩)، ومسلم (٢٩٣٧)، وأبو داود =

وأمّا قولُه : ﴿ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ . **فإن أهلَ التأويلِ اختَلَفوا** فى المَعْنِيِّ به ؛ **فقال بعضُهم** : عُنِى بذلك بنو آدمَ أنهم يَخْرُجون مِن كلِّ موضعٍ كانوا دُفِنوا فيه مِن الأرضِ ، وإنما عُنِى بذلك الحَشْرُ إلى موقفِ الناسِ يومَ القيامةِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ . قال : جميعُ[1] الناسِ مِن كلِّ مكانٍ جاءُوا منه يومَ القيامةِ ، فهو حَدَبٌ[2] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابن جُريجٍ : ﴿ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ . قال ابنُ جُريجٍ : قال مجاهدٌ : جميعُ[3] الناسِ مِن كلِّ حَدَبٍ ؛ مِن مكانِ جاءُوا منه يومَ القيامةِ ، فهو حَدَبٌ .

وقال آخرون : بل عَنَى بذلك يأجوجَ ومأجوجَ . وقولُه : ﴿ وَهُم ﴾ كنايةُ أسمائِهم .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن سَلَمَةَ بنِ

= (٤٣٢١) ، والترمذى (٢٢٤٠) ، والنسائى فى الكبرى (٨٠٢٤، ١٠٧٨٣) ، والحاكم ٤/٤٩٢ - ٤٩٤، من طريق ابن جابر ، عن يحيى بن جابر الطائى به ، مختصرًا عند أبى داود والنسائى ، وأخرجه ابن ماجه (٤٠٧٥) من طريق ابن جابر عن عبد الرحمن بن جبير به ، مطولًا ، بتمامه .

(١) فى م ، ت ١، ت ٢، ف : « جمع » .

(٢) تفسير مجاهد ص ٤٧٤، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/ ٣٣٥، ٣٣٦ إلى عبد بن حميد .

(٣) فى م ، ت ١: « جمع » .

كُهيلٍ ، قال : ثنى أبو الزَّعْراءِ ، عن عبدِ اللَّهِ أنه قال : يَخْرُجُ [٢/٣٩٨و] يأجوجُ ومأجوجُ فيَمْرَحون فى الأرض فيُفْسِدون فيها . ثم قرأ عبدُ اللَّهِ : ﴿ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ . قال : ثم يَبْعَثُ اللَّهُ عليهم دابَّةً مثلَ النَّغَفِ ، فتَلِجُ فى أسماعِهم ومَناخِرِهم ، فيَمُوتون منها ، فتُنْتِنُ الأرضُ منهم ، فيُرْسِلُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ ماءً فيُطَهِّرُ الأرضَ منهم[1] .

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك ما قاله الذين قالوا : عَنَى بذلك يأجوجَ ومأجوجَ ، وإن قولَه : ﴿ وَهُم ﴾ . كنايةٌ عن أسمائِهم ؛ للخبرِ الذى **حدَّثنا** به ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سَلَمَةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن عاصمِ بنِ عمرَ بنِ[2] قتادةَ الأنْصارىِّ ، ثم الظَّفَرىِّ ، عن محمودِ بنِ لَبِيدٍ أخى بنى عبدِ الأَشْهَلِ ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرىِّ ، قال : سَمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « يُفْتَحُ يأجوجُ ومأجوجُ ؛ يَخْرُجون على الناسِ كما قال اللَّهُ : ﴿ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ ، فيَغْشَوْن الأرضَ »[3] .

٩١/١٧ /**حدَّثنى** أحمدُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا هُشيمُ بنُ بَشيرٍ ، قال : أخبرنا العَوَّامُ بنُ حَوْشَبٍ ، عن جَبَلَةَ بنِ سُحيمٍ ، عن مُؤْثِرٍ ، وهو ابنُ عَفَازَةَ العَبْدىُّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ فيما يَذْكُرُ عن عيسى ابنِ مريمَ ، قال : « قال عيسى : عَهِد إلىَّ ربِّى أن الدَّجالَ خارِجٌ ، وأنه مُهْبِطى إليه . فذكَر أن معه قَضِيبَيْنْ ، فإذا رآنى أهْلَكَه اللَّهُ . قال : فيَذُوبُ كما يذوبُ الرّصاصُ ، حتى إن الشجرَ والحجَرَ لَيَقولُ : يا مسلمُ ، هذا كافرٌ فاقْتُلْه . فيُهْلِكُهم اللَّهُ تبارك وتعالى ، ويَرْجِعُ الناسُ إلى بلادِهم وأوطانِهم ، فيَسْتَقْبِلُهم يأجوجُ ومأجوجُ مِن كلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُون ، لا يَأْتُونَ

---

(١) جزء من أثر طويل تقدم تخريجه فى ٣/٣٤ .

(٢) فى النسخ : « عن » . والمثبت مما تقدم فى ١٥/ ٣٩٩، وترجمة عاصم بن عمر بن قتادة ، فى تهذيب الكمال ١٣/ ٥٢٨.

(٣) جزء من أثر طويل تقدم تخريجه فى ١٥/ ٤٠٠.

على شيءٍ إلا أهْلَكوه ، ولا يَمُرُّون على ماءٍ إلا شَرِبوه »[١] .

حدَّثني عُبيدُ بنُ إسماعيلَ الهَبَّاريُّ ، قال : ثنا المُحارِبيُّ ، عن أصْبَغَ بنِ زيدٍ ، عن العَوّامِ بنِ حَوْشَبٍ ، عن جَبَلَةَ بنِ سُحيمٍ ، عن مُؤْثِرِ بنِ عَفَازَةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ بنحوِه[٢] .

وأما قولُه : ﴿ مِّن كُلِّ حَدَبٍ ﴾ . فإنه يَعْنى : مِن كلِّ شَرَفٍ ونَشَزٍ وأَكَمَةٍ[٣] .

وبنحوِ ما قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني علىٌّ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن علىٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ . يقولُ : مِن كلِّ شَرَفٍ يُقْبِلون[٤] .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا ابنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ . قال : مِن كلِّ أَكَمَةٍ[٥] .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ . قال : الحَدَبُ الشيءُ المُشْرِفُ .

---

(١) تقدم فى ١٥/ ٤١٣، ٤١٤، بأتمّ من هذا .

(٢) تقدم تخريجه فى ١٥/ ٤١٤.

(٣) الشَّرَف : العُلُوُّ والمكان العالى . والنَّشَز : المكان المرتفع من الأرض ، والأكمة : التَّلُّ من القُفِّ ؛ والقفُّ ما ارتفع من الأرض وغلُظ ولم يبلُغ أن يكون جَبَلًا . ينظر تاج العروس (ن ش ز ، ش ر ف ، ق ف ف ، أ ك م) .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/ ٣٣٦ إلى المصنف وابن المنذر وابن أبى حاتم .

(٥) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/ ٢٧ عن معمر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/ ٣٣٦ إلى ابن المنذر .

وقال الشاعرُ[١]:

... . على الحِدابِ تَمُورُ[٢]

حدَّثني يونسُ، قال: أخبرنا ابنُ وهبٍ، قال: قال ابنُ زيدٍ في قولِه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾. قال: هذا مبتدأُ يومِ القيامةِ[٣].

وأما قولُه: ﴿يَنسِلُونَ﴾. فإنه يَعْنى أنهم يَخْرُجون مُشاةً مُسْرِعِين في مَشْيِهم كنَسلانِ الذِّئبِ، كما قال الشاعرُ[٤]:

عسَلانَ[٥] الذِّئبِ أمْسَى قارِبًا[٦] بَرَدَ الليلُ عليه فَنَسَلْ

القولُ في تأويلِ قولِه تعالى: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾. ٩٢/١٧

يقولُ تعالى ذِكرُه: حتى إذا فُتِحت يأجوجُ ومأجوجُ واقْتَرب الوَعْدُ الحقُّ. وذلك وَعْدُ اللَّهِ الذى وعَد عبادَه أنَّه يَبْعَثُهم من قبورِهم للجزاءِ والثوابِ والعقابِ، وهو لا شكَّ حقٌّ كما قال جلَّ ثناؤُه.

وبنحوِ الذى قلنا في ذلك قال أهلُ التأويلِ.

---

(١) هو الأخطل. وهو جزء من بيت في ديوانه ص ٤٤٠، وهو بتمامه:

تضحَكُ الضَّبْعُ مِن دماءِ غنيٍّ إذ رأتها على الحداب تمورُ

(٢) تمور: تتحرَّك وتجرى وتجيء وتذهب. اللسان (م و ر).

(٣) عزاه السيوطى في الدر المنثور ٤/٣٣٦ إلى المصنف.

(٤) هو النابغة الجعدى. والبيت في ديوانه (مجموع) ص ٩٠.

(٥) عَسَل الذئبُ والثعلبُ: مضى مُسرِعا واضطرب في عَدْوِه وهَزَّ رأسه. ينظر اللسان (ع س ل).

(٦) قارب الخطْوَ: داناه. والتقريب: أن يرفع الفَرَس يديه معًا ويضعهما معًا. ينظر اللسان (ق ر ب).

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا الحكمُ بنُ بشيرٍ ، قال : ثنا عمرٌو ، يعنى ابنَ قيسٍ ، قال : ثنا حذيفةُ : لو أن رجلًا افْتَلَى فُلُوًّا[1] بعدَ خروجِ يأجوجَ ومأجوجَ لم يَرْكَبْه حتى تقومَ القيامةُ[2] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ ﴾ . قال : اقتَرَب يومُ القيامةِ منهم[3] .

والواوُ فى قولِه : ﴿ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ ﴾ . مُقْحَمةٌ ، ومعنى الكلامِ : حتى إذا فُتِحت يأجوجُ ومأجوجُ اقْتَرَب الوعدُ الحقُّ . وذلك نظيرُ قولِه : ﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ ﴾ [الصافات : ١٠٣، ١٠٤] . معناه : نادَيْناه . بغيرِ واوٍ ، كما قال امْرُؤُ القيسِ[4] :

فلمَّا أجَزْنا ساحَةَ الحَيِّ وانْتَحَى بِنا بَطنُ خَبْتٍ ذى حِقافٍ عَقَنْقَلِ[5]

يريدُ : فلمَّا أجَزْنا ساحةَ الحيِّ انْتَحَى بنا .

وقولُه : ﴿ فَإِذَا هِىَ شَـٰخِصَةٌ أَبْصَـٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ . ففى « هى » التى فى قولِه : ﴿ فَإِذَا هِىَ ﴾ . **وجهان ؛ أحدُهما** : أن تكونَ كنايةً عن الأبصارِ ، وتكونَ

---

(١) فَلَا الصبى والمُهر والجحش وأفلاه وافتلاه : عزله عن الرضاع وفَصَله . والفَلُوُّ والفُلُوُّ والفَلْوُ : الجحش والمُهر إذا فطم .

(٢) ذكره البغوى فى تفسيره ٥/ ٣٥٥. وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٣٨ إلى المصنف . كلاهما بلفظ : اقتنى فلوًّا .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٣٨ إلى ابن أبى حاتم .

(٤) ديوانه ص ١٥ .

(٥) الخبت : ما اتسع من بطون الأرض . والحقاف جمع حِقْف ، والحقف من الرمل : المعوج . والعقنقل : الكثيب العظيم المتداخل الرمل . اللسان (خ ب ت ، ح ق ف ، ع ق ل) .

الأبصارُ الظاهرةُ بيانًا عنها، كما قال الشاعرُ[١]:

لَعَمْرُ أبيها لا تَقولُ ظَعِينَتى ألا فَرَّ عَنِّى مالكُ بنُ أبى كَعبِ

٩٣/١٧ /فكَنَّى عن الظَّعينةِ فى: لَعَمْرُ أبيها. ثم أظْهَرَها. فيكونُ تأويلُ الكلامِ حينئذٍ: فإذا الأبصارُ شاخصةٌ أبصارُ الذين كَفَروا.

والثانى: أن تكونَ عمادًا، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الحج: ٤٦]. وكقولِ الشاعرِ[٢]:

* [٢/٣٩٨ظ] فهَلْ هوَ مَرْفُوعٌ بما هَهُنا رَاسُ *

وقولُه: ﴿يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾. يقولُ تعالى ذِكرُه: فإذا أبصارُ الذين كَفَروا قد شَخَصَت عندَ مَجيءِ الوعيدِ[٣] الحقِّ بأهوالِه، وقيامِ الساعةِ بحقائِقِها، وهم يقولون: ﴿يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا﴾ قبلَ هذا الوقتِ فى الدنيا ﴿فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ الذى نَرَى ونُعايِنُ، ونزَل بنا من عظيمِ البلاءِ. وفى الكلامِ متروكٌ تُرِك ذِكْرُه استغناءً بدلالةِ ما ذُكِر عليه عنه، وذلك «يقولون»، مِن قولِه: ﴿فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يقولون: ﴿يَٰوَيْلَنَا﴾.

وقولُه: ﴿بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾. يقولُ مُخبِرًا عن قيلِ الذين كَفَروا باللَّهِ يومَئذٍ: ما كُنَّا نعملُ لهذا اليومِ ما يُنْجِينا من شدائدِه، بل كُنَّا ظالمين بمَعْصِيَتِنا ربَّنا، وطاعَتِنا إبليسَ وجُندَه فى عبادةِ غيرِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ.

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾.

---

(١) هو مالك بن أبى كعب، كما فى الأغانى ١٦/ ٢٣٤، وهو فى معانى القرآن للفراء ٢/ ٢١٢ غير منسوب.

(٢) شطر بيت من ثلاثة أبيات تقدمت فى ٢/ ٢١٥.

(٣) فى م: «الوعد».

يقولُ تعالى ذكرُه: إنَّكم أيُّها المُشرِكون باللَّهِ، العابِدُون من دونِه الأوثانَ والأصنامَ، وما تَعْبُدون من دونِ اللهِ مِنَ الآلهةِ.

كما **حُدِّثتُ** عن الحسينِ، قال: سمِعتُ أبا معاذٍ يقولُ: أخبَرنا عبيدٌ، قال: سمِعتُ الضحاكَ يقولُ فى قولِه: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾. يعنى: الآلهةَ ومَن يَعْبُدُها[1].

﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾. وأمَّا حَصَبُ جَهَنَّمَ؛ **فقال بعضُهم**: معناه: وقودُ جَهَنَّمَ وشَجَرُها.

/ذِكرُ مَن قال ذلك ٩٤/١٧

حدَّثنى علىٌّ، قال: ثنا عبدُ اللَّهِ، قال: ثنى معاويةُ، عن علىٍّ، عن ابنِ عباسٍ قولَه: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾. قال: شَجَرُ جَهَنَّمَ[2].

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابنِ عباسٍ قولَه: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾. يقولُ: وقُودُها[2].

وقال آخرون: بل معناه: حَطَبُ جَهَنَّمَ.

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو، قال: ثنا أبو عاصمٍ، قال: ثنا عيسى، [3]**وحدَّثنى** الحارثُ، قال: حدثنى الحسنُ، قال: حدثنا وَرْقاءُ، جميعًا[3] عن ابنِ أبى نجيحٍ، عن

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣٩/٤ إلى المصنف.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣٩/٤ إلى المصنف وابن أبى حاتم.

(٣ - ٣) سقط من: ص، م، ت ٢، ف.

مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ: ﴿ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾. قال: حَطَبُها[١].

حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنى حجاجٌ، عن ابنِ جريجٍ، عن مجاهدٍ. وزاد فيه: وفى بعضِ القراءةِ: (حَطَبُ جَهَنَّمَ). يعنى: فى قراءةِ عائشةَ[٢].

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلى، قال: ثنا محمدُ بنُ ثورٍ، عن معمرٍ، عن قَتادةَ: ﴿ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾. قال: حَطَبُ جَهَنَّمَ يُقْذَفون فيها[٣].

حدَّثنا ابنُ بشارٍ، قال: ثنا عبدُ الرحمنِ، قال: ثنا سفيانُ، عن ابنِ الحُرِّ، عن عكرِمةَ فى قولِه: ﴿ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾. قال: حَطَبُ جَهَنَّمَ[٤].

وقال آخرون: بل معنى ذلك أنَّهم يُرْمَى بهم فى جَهَنَّمَ.

ذِكرُ مَن قال ذلك

حُدِّثتُ عن الحسينِ، قال: سمِعتُ أبا معاذٍ يقولُ: ثنا عبيدٌ، قال: سمِعتُ الضَّحاكَ يقولُ فى قولِه: ﴿ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾. يقولُ: إن جَهَنَّمَ إنما تُحْصَبُ بهم، وهو الرَّميُ. يقولُ: يُرْمَى بهم فيها[٢].

واختُلِف فى قراءةِ ذلك؛ فقَرَأَتْه قَرَأَةُ الأمصارِ: ﴿ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾. بالصادِ، وكذلك القِراءةُ عندَنا؛ لإجماعِ الحُجَّةِ عليه.

ورُوِى عن عليٍّ وعائشةَ أنَّهما كانا يَقْرَآن ذلك: (حَطَبُ جَهَنَّمَ). بالطاءِ[٥].

---

(١) تفسير مجاهد ص ٤٧٤، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٣٩ إلى ابن أبى حاتم.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٣٩ إلى المصنف وابن أبى حاتم.

(٣) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٣٠ عن معمر به، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٣٩ إلى عبد بن حميد وابن أبى حاتم.

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٣٩ إلى عبد بن حميد.

(٥) أخرجه عنهما الفراء فى معانى القرآن ٢/ ٢١٢، وينظر مختصر الشواذ لابن خالويه.

ورُوِى عن ابنِ عباسٍ أنَّه قرَأَه : (حَضَبُ) . بالضادِ .

حدَّثنا بذلك أحمدُ بنُ يوسفَ ، قال : ثنا القاسمُ ، قال : ثنا إبراهيمُ بنُ محمدٍ ، عن عثمانَ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ أنَّه قرَأَها كذلك[1] .

وكأنَّ ابنَ عباسٍ - إن كان قرَأَ ذلك كذلك - أرَاد أنَّهم الذين تُسَجَّرُ بهم جَهَنَّمُ ، ويُوقَدُ بهم فيها النارُ ؛ وذلك أنَّ كلَّ ما هُيِّجَت به النارُ وأُوقِدَت به فهو عندَ العربِ حَضَبٌ[2] لها .

فإذا كان الصوابُ من القراءةِ فى ذلك ما ذَكَرْنا ، وكان المعروفُ من معنى الحَصَبِ عندَ العربِ الرَّمْىَ ، مِن قولِهم : حَصَبْتُ الرجلَ . إذا رَمَيْتَه ، كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا ﴾ [القمر : ٣٤] . كان الأَوْلَى بتأويلِ ذلك قولُ مَن قال : معناه أنَّهم تُقْذَفُ جَهَنَّمُ بهم ، ويُرْمَى بهم فيها .

وقد ذُكِر أنَّ الحَصَبَ / فى لغةِ أهلِ اليمنِ الحَطَبُ . فإن يَكُنْ ذلك كذلك ، ٩٥/١٧
فهو أيضًا وجهٌ صحيحٌ . وأمَّا ما قلنا من أن معناه الرَّمْىُ ، فإنَّه فى لغةِ أهلِ نجدٍ .

وأما قولُه : ﴿ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ . فإنَّ معناه : أنتم عليها أيُّها الناسُ ، أو إليها ، ﴿ وَٰرِدُونَ ﴾ . يقولُ : داخِلُون .

وقد بيَّنتُ معنَى «الورودِ» فيما مضَى قبلُ بما أغْنَى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[3] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذِكرُه لهؤلاء المشركين الذين وصَف صفتَهم أنَّهم ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن

---

(١) أخرجه الفراء فى معانى القرآن ٢/٢١٢ بإسناده عن ابن عباس .

(٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ف : « حصب » .

(٣) ينظر ما تقدم فى ١٥/٥٩٠ وما بعدها .

ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢]، وهم مشركو قريشٍ: أنتم [٢/ ٣٩٩و] أيُّها المشركون وما تَعْبُدون مِن دونِ اللَّهِ واردو جَهَنَّمَ، ولو كان ما تَعْبُدون من دونِ اللَّهِ آلهةً ما وَرَدُوها، بل كانت تَمْنَعُ مَن أراد أن يُورِدَ كُمُوها؛ إذ كنتم لها فى الدنيا عابدين، ولكنها إذ كانت لا نَفْعَ عندَها لأنفُسِها، ولا عندَها دفعُ ضرٍّ عنها، فهى مِن أن يكونَ ذلك عندَها لغيرِها أبعدُ، ومَن كان كذلك كان بَيِّنًا بُعْدُه مِن الأُلوهَةِ، وأنَّ الإلهَ هو الذى يَقْدِرُ على ما يشاءُ، ولا يَقْدِرُ عليه شىءٌ، فأمَّا من كان مَقْدُورًا عليه، فغيرُ جائزٍ أن يكونَ إلهًا.

وقولُه: ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. يعنى الآلهةَ ومَن عبَدها، أنَّهم ماكِثون فى النارِ أبدًا بغيرِ نهايةٍ. وإنَّما معنَى الكلامِ: كلُّكم فيها خالِدُون.

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى يونسُ، قال: أخبَرنا ابنُ وهبٍ، قال: قال ابنُ زيدٍ فى قولِه: ﴿لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. قال: الآلهةُ التى عبَد القومُ. قال: العابدُ والمَعْبودُ.

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾.

يعنى تعالى ذِكرُه بقولِه: ﴿لَهُمْ﴾. المشركين وآلهتَهم.

والهاءُ والميمُ فى قولِه: ﴿لَهُمْ﴾. مِن ذِكرِ ﴿وَكُلٌّ﴾ التى فى قولِه: ﴿وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. يقولُ تعالى ذِكرُه: لِكُلِّهم فى جَهَنَّمَ زفيرٌ، ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾. يقولُ: وهم فى النارِ لا يَسْمَعون.

وكان ابنُ مسعودٍ يتأوَّلُ فى قولِه: ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾. ما **حدَّثنا**

القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنى حجاجٌ، عن المَسعودِيِّ، عن يونسَ بنِ خَبَّابٍ، قال: قرأ ابنُ مسعودٍ هذه الآيةَ: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾. قال: إذا أُلقِيَ فى النارِ مَن يُخلَّدُ فيها جُعِلوا فى توابيتَ من نارٍ، ثم جُعِلت تلك التوابيتُ فى توابيتَ أُخْرى، ثم جُعِلت التوابيتُ فى توابيتَ أُخرى فيها مساميرُ مِن نارٍ، فلا يَرَى أحدٌ منهم أن فى النارِ أحدًا يُعذَّبُ غيرَه. ثم قرأ: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾[1].

/ وأما قولُه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾. **فإنَّ أهلَ التأويلِ اختلَفوا** فى المعنىِّ به؛ **فقال بعضُهم**: عنَى به كلَّ مَن سبَقَت له من اللَّهِ السعادةُ مِن خَلْقِه أنَّه عن النارِ مُبعَدٌ. ٩٦/١٧

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ، قال: ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ، قال: ثنا شعبةُ، عن أبى بشرٍ، عن يوسفَ بنِ سعدٍ وليس بابنِ ماهِكَ، عن محمدِ بنِ حاطبٍ، قال: سمِعتُ عليًّا يخطُبُ فقرأ هذه الآيةَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾. قال: عثمانُ رضِى اللَّهُ عنه مِنهم[2].

---

(١) أخرجه ابن أبى الدنيا فى صفة النار (١٠٣)، وابن أبى حاتم - كما فى تفسير ابن كثير ٣٧٢/٥ - وهو فى تفسير مجاهد ص٤٧٥ - ومن طريقه البيهقى فى البعث والنشور (٦٥٦) - من طريق المسعودى به. وأخرجه الطبرانى فى الكبير (٩٠٨٧) من طريق يونس بن خباب عمن حدثه، عن ابن مسعود به.

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف ١٢/ ٥١، ٥٢، وأحمد فى فضائل الصحابة (٧٧١)، وابن أبى عاصم فى السنة (١٢١٦)، وابن أبى حاتم - كما فى تفسير ابن كثير ٣٧٣/٥ - وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٧١/٤٦ (طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق) من طريق شعبة، عن أبى بشر جعفر بن إياس به. ووقع فى تفسير ابن أبى حاتم وتاريخ دمشق: «يوسف المكى». وهو يوسف بن ماهك ووقع فى المصنف والسنة: «يوسف بن ماهك». وكلاهما يوسف بن سعد الجمحى ويوسف بن ماهك المكى من طبقة واحدة. تنظر ترجمتاهما فى تهذيب الكمال ٤٢٦/٣٢، ٤٥١.

وقال آخرون : بل عنَى مَن عُبِد مِن دونِ اللَّهِ ، وهو للَّهِ طائعٌ ، ولعبادةِ مَن يَعبُدُه كارِهٌ .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثني** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِه : ﴿ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ . قال : عيسى ، وعُزَيرٌ ، والملائكةُ[1] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

قال ابنُ جُرَيجٍ قولَه : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ : ثم اسْتَثنى فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ ﴾ .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ واضحٍ ، عن الحسينِ ، عن يزيدَ ، عن عكرمةَ والحسنِ البصريِّ ، قالا : قال في سورةِ «الأنبياءِ» : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ . ثم اسْتَثنى فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ . فقد عُبِدت الملائكةُ مِن دونِ اللَّهِ ، وعُزَيرٌ ، وعيسى ، من دونِ اللَّهِ[2] .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا ابنُ يمانٍ ، عن أشعثَ ، عن جعفرٍ ، عن سعيدٍ :

---

(١) تفسير مجاهد ص ٤٧٥.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/٣٣٩ إلى المصنف .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ . قال : عيسى[(١)] .

حدَّثنى إسماعيلُ بنُ سَيفٍ ، قال : ثنا عليُّ بنُ مُسْهِرٍ ، قال : ثنا إسماعيلُ بنُ أبى خالدٍ ، عن أبى صالحٍ فى قولِه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾ . قال : عيسى ، وأمُّه ، وعُزَيرٌ ، والملائكةُ[(١)] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : جلَس رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فيما بلَغنى ، يومًا مع الوليدِ بنِ المُغيرةِ [٢/٣٩٩ظ] [(٢)] فى المسجدِ[(٢)] ، فجاء النَّضْرُ ابنُ الحارثِ حتى جلَس معهم ، وفى المجلسِ غيرُ واحدٍ من رجالِ قريشٍ ، فتكلَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فعرَض له النَّضْرُ بنُ الحارثِ ، وكلَّمه رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى أفْحَمه[(٣)] ، ثم تلا عليه وعليهم : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ . إلى قولِه : ﴿ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴾ . ثم قام رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وأقبَل عبدُ اللَّهِ بنُ الزِّبَعْرَى بنِ قيسِ / بنِ عدىٍّ السَّهْمىُّ ، حتى جلَس ، فقال الوليدُ بنُ المغيرةِ لعبدِ اللَّهِ ٩٧/١٧
ابنِ الزِّبَعْرَى : واللَّهِ ما قام النَّضرُ بنُ الحارثِ لابنِ عبدِ المطلبِ آنفًا وما قعَد ، وقد زعَم أنَّا وما نَعبُدُ مِن آلهتِنا هذه حصَبُ جَهَنَّمَ . فقال عبدُ اللَّهِ بنُ الزِّبَعْرَى : أمَا واللَّهِ لو وجَدتُه لخَصَمْتُه ، فسلوا محمدًا : أكُلُّ مَن عُبِد مِن دونِ اللَّهِ فى جَهَنَّمَ مع مَن عَبَدَه ؟ فنحن نعبدُ الملائكةَ ، واليهودُ تعبدُ عُزَيرًا ، والنَّصارى تعبدُ المسيحَ عيسى ابنَ مريمَ . فعجِب الوليدُ بنُ المغيرةِ ومَن كان فى المجلسِ مِن قولِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزِّبَعْرَى ، [(٤)] ورَأَوا أنه قد خاصَم واحتَجَّ ، فذُكِر ذلك لرسولِ اللَّهِ ﷺ مِن قولِ ابنِ الزِّبَعْرَى[(٤)] ، فقال

---

(١) ينظر تفسير ابن كثير ٥/ ٣٧٤.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) فى ت ٢، ف : « ألجمه » .

(٤ - ٤) سقط من : م .

رسولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَم، كلُّ مَن أَحَبَّ أن يُعبَدَ مِن دونِ اللَّهِ فهو مع مَن عَبَدَه، إنما يَعبُدون الشياطينَ ومَن أَمَرَتْهم[1] بعبادتِه». فأنزَل اللَّهُ عليه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ إلى: ﴿خَٰلِدُونَ﴾. أى: عيسى ابنُ مريمَ، وعُزيرٌ، ومَن عُبِدوا مِن الأحبارِ والرُّهبانِ الذين مَضَوا على طاعةِ اللَّهِ، فاتَّخَذهم مَنْ بعدَهم من أهلِ الضلالةِ أربابًا مِن دونِ اللَّهِ، فأنزَل اللَّهُ فيما ذكَروا أنَّهم يَعْبُدون الملائكةَ، وأنَّها بناتُ اللَّهِ: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ إلى قولِه: ﴿نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٦- ٢٩][2].

حُدِّثتُ عن الحسينِ، قال: سمِعتُ أبا معاذٍ يقولُ: أخبَرنا عبيدٌ، قال: سمِعتُ **الضحاكَ** قال: يقولُ ناسٌ مِن الناسِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾: يعنى مِن الناسِ أجمعين. فليس كذلك، إنَّما يعنِى مَن يُعْبَدُ مِن[3] الآلهةِ وهو للَّهِ مطيعٌ؛ مثلَ عيسى وأمِّه، وعُزَيْرٍ، والملائكةِ، واسْتَثْنى اللَّهُ هؤلاءِ مِن[3] الآلهةِ المعبودةِ التى هى ومَن يَعبُدُها فى النارِ[4].

حدَّثنا ابنُ سِنانٍ القزَّازُ، قال: ثنا الحسنُ بنُ الحسينِ الأُشْقُرُ، قال: ثنا أبو كُدَينةَ، عن عطاءِ بنِ السائبِ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ، عن ابنِ عباسٍ، قال: لمّا نزَلت: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾. قال المشركون: فإنَّ عيسى يُعبَدُ، وعُزَيرٌ، والشمسُ، والقمرُ يُعبَدُون! فأنزَل اللَّهُ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا

---

(١) فى م: «أمرهم».

(٢) سيرة ابن هشام ١/٣٥٨ - ٣٦٠.

(٣) سقط من: م.

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٣٩ إلى المصنف.

مُبْعَدُونَ ﴾ ؛ لعيسى وغيره[١] .

وأولى الأقوالِ في تأويلِ ذلك بالصوابِ قولُ مَن قال : عنَى بقولِه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ ما كان مِن مَعبودٍ كان المشركون يَعبُدُونه ، والمعبودُ للَّهِ مطيعٌ ، وعابِدُوه بعبادتِهم إياه باللَّهِ كفارٌ ؛ لأن قولَه تعالى ذِكرُه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾ . ابتداءُ كلامٍ مُحقِّقٍ لأمرٍ كان يُنْكِرُه قومٌ ، على نحوِ الذى ذكَرْنا[٢] الخبرَ عن ابنِ عباسٍ ، فكأنَّ المشركين قالوا لنبيِّ اللَّهِ ﷺ ، إذ قال لهم : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ : ما الأمرُ كما تقولُ ؛ لأنَّا نَعْبُدُ الملائكةَ ، ويعبدُ آخرون المسيحَ وعُزَيرًا . فقال اللَّهُ جَلَّ وعزَّ رادًّا[٣] عليهم قولَهم : بل ذلك كذلك ، وليس الذين سبقت لهم مِنَّا الحُسْنى ، هم عنها مُبْعَدون ؛ لأنَّهم غيرُ مَعْنِيِّين بقولِنا : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ .

فأمَّا قولُ الذين قالوا : ذلك استثناءٌ مِن قولِه : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ . فقولٌ لا معنَى له ؛ لأنَّ الاستثناءَ إنَّما هو إخراجُ المستَثْنَى مِن المستَثنَى منه ، ولا شكَّ أنَّ الذين سبَقت لهم [٤]من اللَّهِ[٤] الحُسْنَى إنَّما هم ؛ إمّا ملائكةٌ ، وإمّا / إنسٌ ، أو جانٌّ ، وكلُّ هؤلاءِ إذا ذكَرَتْها العربُ فإنَّ أكثَر ما ٩٨/١٧ تذكُرُها بـ « مَن » ، لا بـ « ما » ، واللَّهُ تعالى ذِكرُه إنَّما ذكَر المعبودين الذين أخبَر أنَّهم حَصَبُ جهنمَ بـ « ما » قال : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٥/٣٧٥ عن أبى كدينة به .

(٢) بعده فى م : « فى » .

(٣) فى م : « رداء » .

(٤ - ٤) فى ص ، م : « منا » .

جَهَنَّمَ ﴾ . إنَّما أُرِيد به ما كانوا يَعْبُدونه من الأصنامِ والآلهةِ مِن الحجارةِ والخشبِ ، لا مَن كان مِن الملائكةِ والإنسِ . فإذ[1] كان ذلك كذلك لِما وصَفْنا ، فقولُه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾ . جوابٌ من اللَّهِ للقائلين ما ذكَرْنا مِن المشركين ، مبتدأٌ .

وأما « الحُسنى » فإنها الفُعْلَى من الحُسنِ ، وإنما عنَى بها السعادةَ السابقةَ مِن اللَّهِ لهم .

كما **حدَّثني** يونسُ ، [٢/٤٠٠و] قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ ﴾ . قال : الحُسنى السعادةُ . وقال : سبَقت السعادةُ لأهلِها مِن اللَّهِ ، وسبَق الشَّقاءُ لأهلِه مِن اللَّهِ[2] .

القولُ في تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : لا يَسْمَعُ هؤلاء الذين سبَقت لهم مِنا الحُسنى حَسِيسَ النارِ . ويعنى بالحَسيسِ : الصوتَ والحِسَّ .

فإن قال قائلٌ : فكيف لا يسمَعون حَسيسَها ، وقد عِلمتَ ما رُوِى مِن أن جَهنَّمَ يُؤتَى بها يومَ القيامةِ فتَزْفِرُ زَفْرَةً ، لا يبقى مَلكٌ مقرَّبٌ ، ولا نبيٌّ مُرسلٌ إلا جَثا على رُكبتَيه خوفًا مِنها[3] ؟

قيل : إن الحالَ التى لا يسمَعون فيها حَسيسَها هى غيرُ تلك الحالِ ، بل هى

---

(١) فى م : « فإذا » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٣٩ إلى المصنف وابن مردويه وابن أبى حاتم .

(٣) أثر مروى عن كعب الأحبار فى مصنف ابن أبى شيبة ١٣/ ١٥١، وصفة النار لابن أبى الدنيا (١٧٥) ، والبعث والنشور (٤٧٩) ، وحلية الأولياء ٥/ ٣٦٩، ٣٧٣.

الحالُ التى **حدَّثنى** محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾ . يقولُ : لا يسمعُ أهلُ الجنةِ حَسيسَ النارِ إذا نزَلوا منزِلَهم مِن الجنةِ[1] .

وقولُه : ﴿ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴾ . يقولُ : وهم فيما تَشْتَهيه نفوسُهم من نعيمِها ولذَّاتِها ماكِثون فيها ، لا يخافون زَوالًا عنها ، ولا انْتِقالًا عنها .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ .

اختَلف أهلُ التأويلِ فى « الفَزَعِ الأكبرِ » ؛ أىُّ الفَزَعِ هو ؟ **فقال بعضُهم** : ذلك النارُ إذا أَطبَقتْ على أهلِها .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أبو هشامٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ يمانٍ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ : ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ ﴾ . قال : النارُ إذا أَطبَقتْ على أهلِها[2] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جريجٍ قولَه : ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ / الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ ﴾ . قال : حينَ تُطْبِقُ[3] جَهَنمُ . وقال : ٩٩/١٧

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٣٩/٤ إلى المصنف وابن أبى حاتم .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٠/٤ إلى المصنف وابن أبى حاتم وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) فى ص ، ت٢ : « تنطبق » .

حينَ ذَبْحِ الموتِ[١] .

وقال آخرون : بل ذلك النفخةُ الآخرةُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ ﴾ . يعنى النفخةَ الآخِرةَ[٢] .

وقال آخرون : بل ذلك حينَ يُؤمَرُ بالعَبْدِ إلى النارِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا حَكّامٌ ، عن عَنْبَسةَ ، عن رجلٍ ، عن الحسنِ : ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ ﴾ . قال : انصرافُ العبدِ حينَ يُؤْمَرُ به إلى النارِ[٢] .

وأولى الأقوالِ فى ذلك بالصوابِ قولُ مَن قال : ذلك عندَ النفخةِ الآخرةِ ؛ وذلك أنَّ مَن لم يَحْزُنْه ذلك الفزعُ[٣] وأمِن منه ، فهو مما بعدَه أَحْرَى ألا يَفْزَعَ ، وأنّ مَن أفْزَعه ذلك فغيرُ مأمونٍ عليه الفزعُ مما بعدَه .

وقولُه : ﴿ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ . يقولُ : وتَستقبِلُهم الملائكةُ يُهنِّئونهم يقولون[٤] : ﴿ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ فيه الكرامةُ مِن اللَّهِ ، والحِباءُ[٥] ، والجزيلُ مِن الثوابِ ، على ما كنتم تَنْصَبون فى الدنيا للَّهِ فى طاعتِه .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٤٠ إلى المصنف .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٤٠ إلى المصنف وابن أبى حاتم .

(٣) بعده فى م : « الأكبر » .

(٤) بعده فى ص ، ت ١ : « لهم » .

(٥) الحباء : العطاء . اللسان (ح ب و) .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال ابنُ زيدٍ .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ . قال : هذا قبلَ أن يدخُلوا الجنةَ[1] .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ[2] كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : لا يَحزُنُهم الفزعُ الأكبرُ يومَ نَطوِى السماءَ . فـ ﴿يَوْمَ﴾ من صلةِ ﴿يَحْزُنُهُمُ﴾ .

واختَلَف أهلُ التأويلِ فى معنى « السجلِّ » الذى ذكَره اللَّهُ فى هذا الموضِعِ ؛ **فقال بعضُهم** : هو اسمُ مَلَكٍ من الملائكةِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا ابنُ يمانٍ ، قال : ثنا أبو الوفاءِ الأشجعىُّ ، **عن أبيه** ، عن ابنِ عمرَ فى قولِه : ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ . **قال** : السِّجِلُّ مَلَكٌ ، فإذا صُعِد بالاستغفارِ قال : اكْتُبْها نورًا[3] .

/حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا مؤمَّلٌ ، قال : ثنا سفيانُ ، قال : **سمِعتُ السدىَّ** يقولُ فى قولِه : ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ . [٢/٤٠٠ظ] قال : السِّجِلُّ مَلَكٌ[4] . ١٠٠/١٧

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٤٠ إلى المصنف .

(٢) فى ص ، ت ١، ت ٢، ف : « للكتاب » . وهما قراءتان كما سيأتى فى ص ٤٢٦ ، وسنثبتها فيما يأتى كرسم مصحفنا دون إشارة إلى ما فى النسخ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم - كما فى تفسير ابن كثير ٥/٣٧٧ - من طريق أبى كريب محمد بن العلاء به .

(٤) تفسير سفيان ص ٢٠٦، وأخرجه البخارى فى التاريخ الكبير ١/٤٣٣ من طريق ابن السدى عن السدى ، وعزاه الحافظ فى الفتح ٨/٤٣٧ إلى ابن المنذر ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٤٠ إلى ابن أبى حاتم .

وقال آخرون: السِّجِلُّ رجلٌ كان يكتُبُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا نصرُ بنُ عليٍّ، قال: ثنا نوحُ بنُ قيسٍ، قال: ثنا عمرُو بنُ مالكٍ، عن أبي الجوزاءِ، عن ابنِ عباسٍ في هذه الآيةِ: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾. قال: كان ابنُ عباسٍ يقولُ: هو الرجلُ[1].

قال: ثنا نوحُ بنُ قيسٍ، قال: ثنا يزيدُ بنُ كعبٍ، عن عمرِو بنِ مالكٍ، عن أبي الجوزاءِ، عن ابنِ عباسٍ، قال: السِّجِلُّ كاتبٌ كان[2] لرسولِ اللَّهِ ﷺ[3].

وقال آخرون: بل هو الصَّحيفةُ التي يُكتَبُ فيها.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني عليٌّ، قال: ثنا عبدُ اللَّهِ، قال: ثني معاويةُ، عن عليٍّ، عن ابنِ عباسٍ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم - كما في تفسير ابن كثير ٥/٣٧٧ - وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤/٣٣٢ من طريق نصر بن علي به، وأخرجه النسائي في الكبرى (١١٣٣٦) من طريق نوح بن قيس به، وأخرجه ابن مردويه - كما في تغليق التعليق ٤/٢٥٩ - من طريق عمرو بن مالك به، وزاد: بلغة الحبش.

(٢) بعده في ص، م، ت ١، ف: «يكتب».

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم - كما في تفسير ابن كثير ٥/٣٧٨ - وابن عساكر في تاريخ دمشق ٤/٣٣٢ من طريق نصر بن علي به، وأخرجه أبو داود (٢٩٣٥)، والنسائي في الكبرى (١١٣٣٥)، والبيهقي ١٠/١٢٦ من طريق نوح بن قيس به، والعقيلي في الضعفاء ٤/ ٤٢٠، والطبراني (١٢٧٩٠)، وابن عدي في الكامل ٧/ ٢٦٦٢، والبيهقي ١٠/١٢٦ من طريق عمرو بن مالك به، وقد ضعفه بعض الحفاظ، وصرح جماعة منهم بوضعه، وخالفهم الحافظ ابن حجر فصححه بمجموع طرقه. ينظر الإصابة ٣/ ٣٣، ٣٤، وتفسير ابن كثير ٥/ ٣٧٨، والبداية والنهاية ٨/٣٣٩ - ٣٤٢.

قولَه: ﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾. يقولُ: كطَيِّ الصحيفةِ على الكتابِ[١].

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابنِ عباسٍ قولَه: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾. يقولُ: كطَيِّ الصُّحفِ[٢].

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو، قال: ثنا أبو عاصمٍ، قال: ثنا عيسى، **وحدَّثني** الحارثُ، قال: ثنا الحسنُ، قال: ثنا ورقاءُ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ، عن مجاهدٍ، قال: السِّجِلُّ الصَّحيفةُ[٣].

حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنى حجاجٌ، عن ابنِ جُرَيجٍ، عن مجاهدٍ قولَه: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾. قال: السِّجِلُّ الصَّحيفةُ.

وأولى الأقوالِ فى ذلك عندَنا بالصوابِ قولُ مَن قال: السِّجِلُّ فى هذا الموضِعِ الصَّحيفةُ؛ لأنَّ ذلك هو المعروفُ فى كلامِ العربِ، ولا نعرفُ[٤] لنبيِّنا ﷺ كاتبًا[٥] كان اسمُه السِّجِلَّ، ولا فى الملائكةِ مَلَكًا[٦] ذلك اسمُه.

فإن قال قائلٌ: وكيف تَطوِى[٧] الصَّحيفةُ الكتابَ[٨] إن كان السِّجِلُّ

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/ ٣٤٠ إلى المصنف وابن أبى حاتم، وينظر الفتح ٨/ ٤٣٧، والبداية ٨/ ٤٣٧.

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٥/ ٣٧٨، وفى البداية والنهاية ٨/ ٣٤١ عن العوفى عن ابن عباس.

(٣) تفسير مجاهد ص ٤٧٥، وأخرجه الفريابى - كما فى تغليق التعليق ٤/ ٢٥٩ - من طريق ابن أبى نجيح به، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/ ٣٤٠ إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٤) فى م، ت ١، ت ٢: «يعرف».

(٥) فى م: «كاتب».

(٦) فى م: «ملك».

(٧) فى م، ف: «نطوى».

(٨) فى م: «بالكتاب».

صحيفةً ؟ قيل : ليس المعنى [(١] فى ذلك [١)] ، وإنما معناه : يومَ نطوِى السماءَ [(٢] كما يُطوَى [٢)] السِّجِلُّ على ما فيه مِن الكتابِ . ثم جُعِل (نطوِى) مصدرًا ، فقيل : (كَطَىِّ السِّجِلِّ للكتابِ) . واللامُ فى قولِه : (للكتابِ) . بمعنى : علَى .

واختَلَفت القرأةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرَأته عامَّةُ قرَأةِ الأمصارِ سوى أبى جعفرٍ القارئِ: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾ بالنونِ . وقرَأ ذلك أبو جعفرٍ : (يَوْم تُطْوَى [(٣] السَّماءُ) بالتاءِ [٣)] [(٤] وضمِّها على وجْهِ ما لم يُسمَّ فاعلُه [٤)] [(٥] [٥)] .

والصوابُ من القراءةِ فى ذلك ما عليه قرأةُ الأمصارِ بالنونِ ؛ لإجماعِ الحجةِ من القرَأةِ عليه ، وشذوذِ ما خالَفَه .

وأما « السِّجِلُّ » فإنه فى قراءةِ [(٦] جميعِهم بتشديدِ اللامِ . وأما « الكتابُ » ، فإنّ قرأةَ [٦)] أهلِ المدينةِ وبعضَ / أهلِ الكوفةِ والبصرةِ قرَءوه بالتوحيدِ : (كطَىِّ السِّجِلِّ ١٠١/١٧
للكتابِ) [(٧] [٧)] . وقرَأ ذلك عامَّةُ قرأةِ الكوفةِ : ﴿ لِلْكُتُبِ﴾ على الجماعِ [(٨] [٨)] .

وأولى القراءتين عندَنا فى ذلك بالصوابِ قراءةُ مَن قرَأه على التوحيدِ (للكتابِ) ؛ لِما ذكَرْنا مِن معناه ، فإن المرادَ منه : كطَىِّ السجلِّ على ما فيه مكتوبٌ .

(١ - ١) فى م ، ف : « كذلك » .

(٢ - ٢) فى م : « كطى » .

(٣) فى ص ، ت ٢ ، ف : « يطوى » .

(٤) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ : « بالياء » .

(٥) ينظر النشر ٢/٢٤٣ .

(٦ - ٦) سقط من : ت ٢ .

(٧) وهى قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو وابن عامر وعاصم فى رواية أبى بكر . السبعة لابن مجاهد ص ٤٣١ .

(٨) وهى قراءة حمزة والكسائى وحفص عن عاصم . المصدر السابق .

فلا وجْهَ إذ كان ذلك معناه بجمعِ[١] الكُتُبِ إلَّا وجْهٌ يبعُدُ[٢] مِن معروفِ كلامِ العربِ .

وعندَ قولِه : ﴿ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ ﴾ انقضاءُ الخبرِ عن صلةِ قولِه : ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ ﴾ . ثم ابتَدأ الخبرَ عمَّا اللَّهُ فاعلٌ بخَلْقِه يومَئذٍ ، وقال تعالى ذِكْرُه : ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾ . فالكافُ التى فى قولِه : ﴿ كَمَا ﴾ من صلةِ « نعيدُ »[٣] تقدَّمت قبلَها . ومعنى الكلامِ : نعيدُ الخلقَ حُفاةً عُراةً غُرْلًا يومَ القيامةِ ، كما بدَأْناهم أوّلَ مرَّةٍ فى حالِ خَلْقِناهم فى بطونِ أمَّهاتِهم . على اختلافٍ من أهلِ التأويلِ فى تأويلِ ذلك .

وبالذى قُلنا فى ذلك قال جماعةٌ من أهلِ التأويلِ ، وبه الخبرُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ فلذلك اخترتُ القولَ به على غيرِه .

ذكرُ مَن قال ذلك والأثرِ الذى جاء فيه

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، **وحدَّثنى** الحارثُ ، قال : ثنا الحسنُ ، قال : ثنا ورقاءُ ، جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ قولَه : ﴿ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾ . قال : حُفاةً عُراةً غُرْلًا[٤] .

حدَّثنا القاسمُ قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن مجاهدٍ قولَه : ﴿ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾ . قال : حُفَاةً غُلفًا .

---

(١) فى م : « لجميع » .

(٢) فى م : « نتبعه » ، وفى ت ١ : « نبعه » ، وفى ت ٢ : «بنعمه » .

(٣) فى م : « نعيده » .

(٤) تفسير مجاهد ص ٤٧٥ ، ومن طريقه ابن أبى شيبة ١٤/١٢٠ به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٤٠ إلى ابن المنذر وابن أبى حاتم .

قال ابنُ جُرَيج: أخبَرنى إبراهيمُ بنُ ميسرةَ أنَّه سمِع مجاهدًا يقولُ: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لإحدَى نسائِه: «يأتُونَه[1] حُفاةً عُراةً غُلفًا». فاسْتَترتْ بكُمِّ دِرْعِها وقالت: وَاسَوأتاه! قال ابنُ جُرَيج: أُخبِرتُ أنَّها عائشةُ، قالت: يا نبيَّ اللَّهِ، [2]ولا يَحتَشِمُ[2] الناسُ بعضُهم بعضًا! قال: «لكلِّ امْرئٍ يومَئذٍ شأنٌ [٢/٤٠١ظ] يُغنِيه».

حدَّثنا ابنُ بشارٍ، قال: ثنا يحيى بنُ سعيدٍ، قال: ثنا سفيانُ، قال: ثنى المغيرةُ ابنُ النعمانِ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ، عن ابنِ عباسٍ، عن النبيِّ ﷺ قال: «يُحشَرُ النَّاسُ حُفاةً عُراةً غُرلًا، فأولُ مَن يُكْسَى إبراهيمُ». ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾[3].

حدَّثنا ابنُ بشارٍ، قال: ثنا إسحاقُ بنُ يوسفَ، قال: ثنا سفيانُ، عن المغيرةِ بنِ النعمانِ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ، عن ابنِ عباسٍ، قال: قام[4] رسولُ اللَّهِ ﷺ بمَوعظةٍ. فذكَر نحوَه[3].

حدَّثنا محمدُ بنُ المثنى، قال: تنا محمدُ بنُ جعفرٍ، قال: ثنا شعبةُ، عن المغيرةِ ابنِ النعمانِ[5]، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ، عن ابنِ عباسٍ، قال: قام فينا رسولُ اللَّهِ ﷺ. فذكَر نحوَه[3].

---

(١) فى ت ١: «تأتونه».

(٢ - ٢) فى م: «لا يحتشم»، وفى ت ١: «ويحتشم»، وفى ت ٢: «ولو يحتشم»، وفى ف: «والله لا يحتشم».

(٣) تقدم تخريجه فى ١٠/ ١٤٧.

(٤) بعده فى م: «فينا».

(٥) بعده فى م، ف: «النخعى».

حدَّثنا أبو كريبٍ، قال: ثنا وكيعٌ، عن شعبةَ، قال: ثنا المغيرةُ بنُ النعمانِ النَّخَعيُّ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ، عن ابنِ عباسٍ نحوَه[١].

/**حدَّثنا** عيسى بنُ يوسفَ بنِ الطَّبَّاعِ أبو يحيى، قال: ثنا سفيانُ، عن عمرِو بنِ ١٠٢/١٧
دينارٍ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ، عن ابنِ عباسٍ، قال: سمِعتُ النبيَّ ﷺ يخطُبُ، فقال: «إنكم مُلاقو اللَّهِ مُشَاةً غُرْلًا»[٢].

حدَّثنا أبو كريبٍ، قال: ثنا ابنُ إدريسَ، عن ليثٍ، عن مجاهدٍ، عن عائشةَ، [٣]قالت: دخَل علَيَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ وعندى عجوزٌ مِن بنى عامرٍ، فقال: «مَن هذه العجوزُ يا عائشةُ؟»[٣]. فقلتُ: إحْدَى خالاتى. فقالت: ادعُ اللَّهَ أن يُدخِلَنى الجنةَ. فقال: «إنَّ الجَنَّةَ لا يدخُلُها العُجُزُ[٤]». قالت: فأخَذ العجوزَ ما أخَذها. فقال: «إن اللَّهَ يُنْشِئُهنَّ خَلْقًا غيرَ خَلْقِهنَّ». ثم قال: «تُحْشَرون[٥] حُفاةً عُرَاةً غُلْفًا». فقالت: حاشَ للَّهِ مِن ذلك. قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «بَلى، إنَّ اللَّهَ قال: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ﴾ إلى آخرِ الآيةِ. فأوَّلُ مَن يُكسَى إبراهيمُ خليلُ اللَّهِ»[٦].

حدَّثنى محمدُ بنُ عُمارةَ الأسديُّ، قال: ثنا عبيدُ اللَّهِ، قال: ثنا إسرائيلُ، عن

---

(١) أخرجه ابن أبى شيبة ١١/٥١٧، ١٣/٢٤٧، وأحمد ٩/٤ (٢٠٩٦)، ومسلم (٥٨/٢٨٦٠)، والنسائى ١١٧/٤ (٢٠٨٦) من طريق وكيع به.

(٢) أخرجه الحميدى (٤٨٣)، وابن أبى شيبة ١٣/٢٤٦، وأحمد ٣٩٥/٣ (١٩١٣)، والبخارى (٦٥٢٤، ٦٥٢٥)، ومسلم (٥٧/٢٨٦٠)، والنسائى ١١٤/٤ (٢٠٨٠)، وأبو يعلى (٢٣٩٦) من طريق سفيان بن عيينة به.

(٣ - ٣) سقط من: ت ٢.

(٤) فى م: «العجزة».

(٥) فى م، ت ٢، ف: «يحشرون».

(٦) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٠/٤ إلى المصنف.

أبى إسحاقَ ، عن عطاءٍ[(١)] ، عن عقبةَ بنِ عامرٍ الجُهَنىِّ ، قال : يُجمَعُ الناسُ فى صعيدٍ واحدٍ يَنْفُذُهم البصرُ ، ويُسمِعُهم الدَّاعى ، حُفاةً عُراةً كما خُلِقوا أوّلَ يومٍ[(٢)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى عبّادُ بنُ العوَّامِ ، عن هلالِ بنِ خبَّابٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : يُحشَرُ الناسُ يومَ القيامةِ حُفاةً عُراةً مُشاةً غُرْلًا . قلتُ : يا أبا عبدِ اللَّهِ ، ما الغُرْلُ ؟ قال : الغُلْفُ . فقال بعضُ أزواجِه : يا رسولَ اللَّهِ ، أينظُرُ بعضُنا إلى بعضٍ ؛ إلى عورتِه ؟ فقال : « لكلِّ امْرئٍ منهم يومئذٍ[(٣)] ما يشغَلُه عن[(٤)] النَّظرِ إلى عورةِ أخيه » . قال هلالٌ : قال سعيدُ بنُ جُبيرٍ : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الأنعام : ٩٤] . قال : كيومَ ولَدتْه أمُّه ، يُرَدُّ[(٥)] عليه كلُّ شىءٍ انتُقِص منه مثلَ يومَ وُلِد[(٦)] .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : كما كُنَّا ولا شىءَ غيرُنا قبلَ أن نَخلُقَ شيئًا ، كذلك نُهلِكُ الأشياءَ ، فنعيدُها فانيةً حتى لا يكونَ شىءٌ[(٧)] سوانا .

---

(١) كذا فى النسخ ،ولعل صوابها : « عن ابن عطاء » لما سيأتى .

(٢) فى ت ٢ : «مرة» . وهو جزء من حديث طويل أخرجه الحاكم ٢/ ٣٩٨، ٣٩٩، وأبو نعيم فى الحلية ٢/ ٩، والبيهقى فى الشعب (٣٢٤٦) من طريق أبى إسحاق عن عبد الله بن عطاء ، عن عقبة مرفوعا .

وللحديث قصة مشهورة تنظر فى ضعفاء العقيلى ٢/ ١٩٢، والمجروحين لابن حبان ١/ ٢٨، ٢٩، والكامل لابن عدى ٤/ ١٣٥٤، والحلية لأبى نعيم ٧/ ١٤٨.

(٣) بعده فى ت ١، ف : « شأن يغنيه » .

(٤) سقط من : ف .

(٥) فى ت ٢: « يريد » .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم - كما فى تفسير ابن كثير ٨/ ٣٤٩ - والنسائى فى الكبرى (١١٦٤٧) ، والطبرانى (١٢٤٣٩) ، والحاكم ٢/ ٢٥١، ٢٥٢ من طريق هلال بن خباب به ، وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ، وأخرجه الترمذى (٣٣٣٢) من طريق هلال بن خباب عن عكرمة ، عن ابن عباس مرفوعًا ، وقال : حديث حسن صحيح ، قد روى من غير وجه عن ابن عباس ، رواه سعيد بن جبير أيضًا .

(٧) فى ت ٢: « شيئًا » .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابنِ عباسٍ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ الآية. يقولُ: نُهلِكُ كلَّ شيءٍ كما كان أوّلَ مرَّةٍ[(١)].

وقولُه: ﴿وَعْدًا عَلَيْنَآ﴾. يقولُ: وعَدْناكم ذلك وعدًا حقًّا علينا أن نوفِّيَ بما وعَدْنا، إنَّا كُنا فاعِلِي[(٢)] ما وعَدْناكم مِن ذلك أيُّها الناسُ؛ لأنه قد سبَقَ في حكمِنا وقضائِنا أن نفعلَه، على يقينٍ بأنَّ ذلك كائنٌ، فاستعِدُّوا[(٣)] وتأهَّبوا.

القولُ في تأويلِ قولِه تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾.

/اختلَف أهلُ التأويلِ في المعنيِّ بـ«الزَّبورِ» و«الذكرِ» في هذا الموضعِ؛ **فقال** ١٠٣/١٧
بعضُهم: عُنِي بالزَّبورِ كتبُ الأنبياءِ كلُّها التي أنزَلها اللَّهُ عليهم، وعُنِي بالذكرِ أمُّ الكتابِ التي عندَه في السماءِ.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني عيسى بنُ عثمانَ بنِ عيسى الرمْلِيُّ، قال: ثنا يحيى بنُ عيسى، عن الأعمشِ، قال: سألتُ سعيدًا عن قولِ اللَّهِ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾. قال: الذكرِ الذي في السماءِ[(٤)].

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/٣٤٠ إلى المصنف.

(٢) في ص، ت ٢، ت ١: «فاعلوا».

(٣) في ص، م، ف: «واستعدوا»، وفي ت ١: «واسعدوا».

(٤) تفسير سفيان ص٢٠٦ عن الأعمش به.

حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنا عيسى بنُ يونسَ، عن الأعمشِ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ فى قولِه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ﴾[(١)]. قال: الزَّبورُ التوراةُ والإنجيلُ والقرآنُ. ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾. قال: الذكرِ الذى فى السماءِ[(٢)].

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو، قال: ثنا أبو عاصمٍ، قال: ثنا عيسى، وحدَّثنى الحارثُ، قال: ثنا الحسنُ، قال: ثنا ورقاءُ، جميعًا عن [٢/٤٠١ظ] ابنِ أبى نجيحٍ، عن مجاهدٍ: ﴿ٱلزَّبُورِ﴾. قال: الكتابِ، ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾. قال: أمِّ الكتابِ عندَ اللَّهِ[(٣)].

حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنى حجاجٌ، عن ابنِ جُرَيجٍ، عن مجاهدٍ قولَه: ﴿ٱلزَّبُورِ﴾. قال: الكتبِ[(٤)]، ﴿بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾. قال: أمِّ الكتابِ عندَ اللَّهِ.

حدَّثنى يونسُ، قال: أخبرَنا ابنُ وهبٍ، قال: قال ابنُ زيدٍ فى قولِه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ﴾. [(٥)]قال: الزبورُ[(٥)] الكتبُ التى أُنزِلت على الأنبياءِ. والذكرُ أمُّ الكتابِ الذى يُكتبُ فيه الأشياءُ قبلَ ذلك[(٦)].

حدَّثنا ابنُ حميدٍ، قال: ثنا جريرٌ، عن منصورٍ، عن سعيدٍ فى قولِه: ﴿وَلَقَدْ

---

(١) بعده فى ص: «قال قرأها الأعمش الزبور»، وفى م: «قال قرأها الأعمش الزبر»، وفى ت ١: «من بعد الذكر قال قرأها الأعمش الزبور»، وفى ف: «من بعد الذكر قال قرأها الأعمش الزبر».

(٢) تفسير سفيان ص٢٠٦ عن الأعمش به، وأخرجه ابن أبى شيبة ١٠/ ٥٥٥، وهناد فى الزهد ١/١٢٣ (١٦٠) من طريق الأعمش به، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٤١ إلى عبد بن حميد.

(٣) تفسير مجاهد ص٤٧٦، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٤١ إلى عبد بن حميد.

(٤) فى م، ف: «الكتاب».

(٥ - ٥) سقط من: ت ١، ت ٢، ف، وبعده فى ت ٢: «و».

(٦) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٤١ إلى المصنف.

﴿كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾. قال: كتبنا فى القرآنِ من بعدِ التوراةِ.

وقال آخرون: بل عُنى بالزَّبورِ الكتبُ التى أنزلها اللَّهُ على مَنْ بعدَ موسى من الأنبياءِ، وبالذكرِ التوراةُ.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابنِ عباسٍ قولَه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ الآية. قال: الذكرُ التوراةُ، والزبورُ الكتبُ[1].

حُدِّثت عن الحسينِ، قال: سمِعتُ أبا معاذٍ يقولُ: ثنا عبيدٌ، قال: سمِعتُ الضحاكَ يقولُ فى قولِه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾ الآية، قال: الذكرُ: التوراةُ، ويعنى بـ: ﴿الزَّبُورِ﴾ من بعدِ التوراةِ الكتبَ[1].

وقال آخرون: بل عُنى بالزَّبورِ زَبورُ داودَ، وبالذكرِ تَوراةُ موسى صلى اللَّهُ عليهما.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ المثنى، قال: ثنا عبدُ الوهابِ، قال: ثنا داودُ، عن عامرٍ أنه قال فى هذه الآيةِ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾. قال: زبورُ داودَ، ﴿مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾: ذكرِ موسى؛ التوراةِ[2].

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٢٤١ إلى المصنف.

(٢) أخرجه الحاكم ٢/٥٨٧ من طريق داود به، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٤١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم.

١٠٤/١٧ /حدَّثنا ابنُ المثنى، قال: ثنا ابنُ أبى عديٍّ، عن داودَ، عن الشعبىِّ أنَّه قال فى هذه الآيةِ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾. قال: فى زبورِ داودَ مِن بعدِ ذكرِ موسى[(١)].

وأولى هذه الأقوالِ عندى بالصوابِ فى ذلك ما قاله سعيدُ بنُ جُبيرٍ ومجاهدٌ، ومَن قال بقولِهما فى ذلك من أنَّ معناه: ولقد كتَبنا فى الكُتُبِ مِن بعدِ أمِّ الكتابِ الذى كتَب اللَّهُ كلَّ ما هو كائنٌ فيه قبلَ خلقِ السماواتِ والأرضِ. وذلك أن الزبورَ هو الكتابُ، يقالُ منه: زَبَرْتُ الكتابَ، وذَبَرْتُه. إذا كتَبتَه، وأنَّ كلَّ كتابٍ أنزَله اللَّهُ إلى نبيٍّ من أنبيائِه فهو ذِكْرٌ. فإذ كان ذلك كذلك، فإن فى إدخالِه الألفَ واللامَ فى «الذِّكرِ» الدَّلالةَ البينةَ أنَّه معْنىٌّ[(٢)] به ذكرٌ بعينِه معلومٌ عندَ المخاطَبين بالآيةِ، ولو كان ذلك غيرَ أمِّ الكتابِ التى ذكَرْنا، لم تكُنِ التوراةُ بأَوْلى مِن أن تكونَ المعنيةَ بذلك مِن صُحُفِ إبراهيمَ، فقد كانت[(٣)] قبلَ زَبورِ داودَ.

فتأويلُ الكلامِ إذن، إذ كان ذلك كما وصَفْنا: ولقد قضَيْنا فأثْبَتْنا قضاءَنا فى الكُتُبِ مِن بعدِ أمِّ الكتابِ، ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾. يعنى بذلك: أن أرضَ الجنةِ يرِثُها عبادِىَ العامِلُون[(٤)] بطاعتِه، المُنتَهون إلى أمرِه ونهيِه مِن عبادِه، دونَ العاملين[(٥)] بمعصيتِه منهم، المُؤثِرين طاعةَ الشيطانِ على طاعتِه.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الهلالىُّ، قال: ثنا عبيدُ اللَّهِ بنُ موسى، قال: ثنا

---

(١) أخرجه ابن أبى شيبة ١٠/٥٥٥ عن محمد بن أبى عدى به.

(٢) فى ت١، ف: «يعن».

(٣) فى م، ت ٢، ف: «كان».

(٤) فى ت ٢: «العالمون».

(٥) فى النسخ: «العاملون».

إسرائيلُ، عن أبى يحيى القَتَّاتِ، عن مجاهدٍ، عن ابنِ عباسٍ قولَه: ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾. قال: أرضَ الجنةِ[1].

حدَّثنى علىٌّ، قال: ثنا أبو صالحٍ، قال: ثنى معاويةُ، عن علىٍّ، عن ابنِ عباسٍ قولَه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾. قال: أخبَر سبحانه فى التوراةِ والزَّبورِ وسابقِ عِلْمِه قبلَ أن تكونَ السماواتُ والأرضُ، أن يُورِثَ أمةَ محمدٍ ﷺ الأرضَ، ويُدخِلَهم الجنةَ، وهم الصَّالحون[2].

حدَّثنا ابنُ حميدٍ قال: ثنا جريرٌ، عن منصورٍ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ فى قولِه: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾. قال: كتَبْنا فى القرآنِ بعدَ التوراةِ، و«الأرضُ» أرضُ الجنةِ[3].

حدَّثنى علىُّ بنُ سهلٍ، قال: ثنا حجاجٌ، عن أبى جعفرٍ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ، عن أبى العاليةِ: ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾. قال: الأرضَ[4] الجنةَ[5].

حدَّثنى عيسى بنُ عثمانَ بنِ عيسى الرَّمْلىُّ، قال: ثنا يحيى بنُ عيسى، عن الأعمشِ، قال: سألتُ سعيدًا عن قولِ اللَّهِ: ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾. قال: أرضَ الجنةِ[6].

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٤١ إلى المصنف والفريابى وابن أبى حاتم.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٤١ إلى المصنف وابن المنذر وابن أبى حاتم.

(٣) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ٤/٢٨٧ من طريق منصور به.

(٤) فى ف: «أرض».

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٤١ إلى المصنف.

(٦) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٥/ ٣٨٠.

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو، قال: ثنا أبو عاصمٍ، قال: ثنا عيسى، وحدَّثنى الحارثُ، قال: ثنا الحسنُ، قال: ثنا ورقاءُ، [٢/٤٠٢و] جميعًا عن ابنِ أبى نجيحٍ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ: ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ﴾. قال: أرضَ[1] الجنةِ ﴿يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾[2].

حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنى حجاجٌ، عن ابنِ جريجٍ، عن مجاهدٍ مثلَه.

١٠٥/١٧ /حدَّثنى يونسُ، قال: أخبرنا ابنُ وهبٍ، قال: قال ابنُ زيدٍ فى قولِه: ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾. قال: الجنةَ. وقرأ قولَ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [الزمر: ٧٤]. قال: فالجنةُ مُبتدؤُها فى الأرضِ، ثم تَذهَبُ دَرَجًا[3] عُلُوًّا، والنارُ مُبتدؤُها فى الأرضِ، وبينَهما حجابٌ، سورٌ ما يَدْرِى أحدٌ ما[4] ذاك السورُ. وقرأ: ﴿بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ[5] ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣]. قال: ودَرَجُها تَذْهَبُ[6] سَفَالًا فى الأرضِ، ودَرَجُ الجنةِ تَذْهَبُ[6] عُلُوًّا فى السماواتِ[7].

حدَّثنا محمدُ بنُ عوفٍ، قال: ثنا أبو المغيرةِ، قال: ثنا صفوانُ: سألتُ عامرَ بنَ

---

(١) سقط من: ص، م، ت ١، ف.

(٢) تفسير مجاهد ص ٤٧٦، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٤١ إلى عبد بن حميد.

(٣) فى م: «درجات».

(٤) بعده فى ت ٢: «مبتدأ».

(٥) فى ت ١: «فى».

(٦) فى ت ١، ت ٢، ف: «يذهب».

(٧) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٤١ إلى المصنف.

عبدِ اللَّهِ أبا اليمانِ : (١ هل أنفس ١) المؤمنين تَجْتَمِعُ[٢] ؟ قال : فقال : إن الأرضَ التى يقولُ اللَّهُ : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ . قال : هى الأرضُ التى تجتمِعُ إليها أرواحُ المؤمنين حتى يكونَ البعثُ[٣] .

وقال آخرون : هى الأرضُ يورِثُها اللَّهُ المؤمنين فى الدنيا .

وقال آخرون : عُنى بذلك بنو إسرائيلَ ؛ وذلك أن اللَّهَ وعَدهم ذلك فوفَّى[٤] لهم به . واستشهَد لقوله ذلك بقولِ اللَّهِ : ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ [الأعراف : ١٣٧] .

وقد ذكرنا قولَ مَن قال : ﴿ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ : إنها أرضُ الأمِ الكافرةِ ترِثُها أمَّةُ محمدٍ ﷺ . وهو قولُ ابنِ عباسٍ الذى روَى[٥] عنه علىٌّ[٥] بنُ أبى طلحةَ .

القولُ فى تأويلِ قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه : إن فى هذا القرآنِ الذى أنزَلْناه على نبيِّنا محمدٍ ﷺ لبلاغًا لمَن عبَد اللَّهَ بما فيه مِن الفرائضِ التى فرَضها اللَّهُ إلى رِضوانِه ، وإدراكِ الطَّلِبةِ عندَه .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

(١ - ١) فى ص ، ت ١ : « هلا نفس » .

(٢) فى ص ، ت ٢ : « مجتمع » ، وفى ت ١ : « بمجتمع » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٤١ إلى المصنف .

(٤) فى ت ٢ : « يوفى » .

(٥ - ٥) سقط من : ت ٢ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ، قال: ثنا ابنُ عليةَ، عن الجُرَيْرِيِّ، عن أبي الوردِ بنِ ثُمامةَ، عن أبي محمدٍ الحضرميِّ، قال: ثنا كعبٌ في هذا المسجدِ، قال: والذي نفسُ كعبٍ بيدِه: ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾: إنَّهم لأهلُ، أو أصحابُ، الصلواتِ الخمسِ، سمَّاهم اللَّهُ عابدين[1].

حدَّثنا الحسينُ بنُ يزيدَ الطَّحانُ، قال: ثنا ابنُ عليةَ، عن سعيدِ بنِ إياسٍ الجُرَيْرِيِّ، عن أبي الوردِ، عن كعبٍ في قولِه: ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾. [2]قال: صومُ شهرِ رمضانَ، وصلاةُ الخمسِ. قال: هي ملءُ اليدَين والنحرِ[3] عبادةً[4].

حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنا محمدُ بنُ الحسينِ، عن الجُرَيْرِيِّ، قال: قال كعبٌ/ الأحبارِ: ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ﴾[2]: لأمَّةِ محمدٍ[5]. ١٠٦/١٧

---

(١) أخرجه محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٣٤٧، ٣٤٨) من طريق الجريري به، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٥/٣٨٤ مطولًا من طريق الجريري عن أبي الورد بن ثمامة، عن كعب بدون ذكر أبي محمد الحضرمي، وأخرجه أيضًا في ٦/٣٠ من طريق الجريري عن كعب بدون ذكر أبي الورد وأبي محمد الحضرمي، وينظر ما تقدم في ١٢/ ٦١٢.

(٢ - ٢) سقط من: ت ٢.

(٣) في النسخ: «البحر»، ولعل الصواب ما أثبت، ينظر تعظيم قدر الصلاة ١/ ٣٤٨، ٣٤٩ الأثر (٣٤٩) عن ابن المسيب.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٢/٣٨٦ من طريق الجريري به مختصرًا، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ٦/٣٠ من طريق أبي العلاء، عن كعب بنحوه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/٣٤١ إلى المصنف مختصرًا.

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/٣٤١ إلى المصنف.

حدَّثنى عليٌّ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴾ . يقولُ : عالِمين[١] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ قولَه : ﴿ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴾ . قال : يقولون : إنَّ[٢] فى هذه السورةِ لبلاغًا[٣] . ويقولُ آخرون : فى القرآنِ تنزيلٌ لفرائضِ[٤] الصلواتِ الخمسِ ؛ مَن أدَّاها كان بلاغًا ، ﴿ لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴾ . قال : عالمين[٥] .

حدَّثنا يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴾ . قال : إن فى هذا لمنفَعةً وعِلمًا لقومٍ عابدين ، ذاك البلاغُ[٦] .

وقولُه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : وما أرْسَلناك يا محمدُ إلى خَلْقِنا إلا رحمةً لمَن أرْسَلناك إليه مِن خَلْقى .

ثم اختَلَف أهلُ التأويلِ فى معنى هذه الآيةِ ؛ أجميعُ العالمِ الذين[٧] أُرسِل إليهم محمدٌ أُرِيدَ بها ، مؤمنُهم وكافرُهم ؟ أم أُرِيدَ بها أهلُ الإيمانِ خاصةً دونَ أهلِ الكفرِ ؟ **فقال بعضُهم** : عُنى بها جميعُ العالمِ ؛ المؤمنُ والكافرُ .

---

(١) فى م : « عاملين » . والأثر عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٤١ إلى المصنف وابن المنذر وابن أبى حاتم .

(٢) زيادة يقتضيها السياق .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٤١ إلى المصنف وابن المنذر .

(٤) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ف : « الفرائض » .

(٥) فى م : « عاملين » .

(٦) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٤١ إلى المصنف .

(٧) فى م ، ت ٢ ، ف : « الذى » .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني إسحاقُ بنُ شاهين، قال: ثنا إسحاقُ بنُ يوسفَ الأزرقُ، عن المسعوديِّ، عن رجلٍ يقالُ له: سعيدٌ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ، عن ابنِ عباسٍ في قولِ اللَّهِ في كتابِه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾. قال: مَن آمَن باللَّهِ واليومِ الآخرِ كُتِبَ له الرحمةُ في الدُّنيا والآخرةِ، ومن لم يؤمنْ باللَّهِ ورسولِه، عُوفِيَ مما أصاب الأممَ من الخسفِ والقَذْفِ[1].

حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنا عيسى بنُ يونسَ، عن المسعوديِّ، عن أبي سعيدٍ[2]، [٢/ ٤٠٢ظ] عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ، عن ابنِ عباسٍ في قولِه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾. قال: تمَّتِ الرحمةُ لمَن آمَن به في الدُّنيا والآخرةِ، ومَن لم يُؤمنْ به عُوفِيَ مما أصاب الأممَ قبلُ[3].

وقال آخرون: بل أُرِيدَ بها أهلُ الإيمانِ دونَ أهلِ الكفرِ.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني يونسُ، قال: أخبرَنا ابنُ وهبٍ، قال: قال ابنُ زيدٍ في قولِه: ﴿وَمَآ

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره ٥/٣٨٢ عن المصنف، وأخرجه الطبراني (١٢٣٥٨) من طريق المسعودي عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير به، وأخرجه البيهقي في الدلائل ٥/٤٨٦ من طريق المسعودي عن سعيد يعني ابن أبي سعيد، عن سعيد بن جبير به، وأخرجه أبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان ٣/ ١٦٠، والضياء في المختارة ١٠/٣٩٧ - ٣٩٩ من طريق المسعودي عن أبي سنان، عن سعيد بن جبير به، وصرح الضياء بأن أبا سنان هو ضرار بن مرة الشيباني، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/ ٣٤١، ٣٤٢ إلى ابن مردويه، وينظر تفسير مجاهد ص ٤٧٦.

(٢) كذا في النسخ، ولعل صوابها: «سعد»، وهو أبو سعد البقال سعيد بن المرزبان، وينظر مصدر التخريج، وتهذيب الكمال ١١/ ٥٢.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم - كما في تفسير ابن كثير ٥/٣٨٢ - من طريق المسعودي عن أبي سعد سعيد بن المرزبان البقال، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس.

أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ . قال : العالَمون مَن آمَن به وصدَّقه . وقال : ﴿ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ . [الأنبياء: ١١١] قال : (١ فهو لهؤلاء ١) فتنةٌ ولهؤلاء رحمةٌ ، وقد جاء الأمرُ مجمَلًا . ﴿ رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ . والعالمون ههُنا : مَن آمَن به وصدَّقه وأطاعَه(٢) .

وأولى القولين فى ذلك بالصواب القولُ الذى رُوِى عن ابنِ عباسٍ ، وهو أن اللَّهَ أرسَل نبيَّه محمدًا ﷺ رحمةً لجميعِ العالَمين(٣) ، مؤمنِهم وكافرِهم ؛ فأمَّا مؤمنُهم فإن اللَّهَ هداه به وأدخَله بالإيمانِ به وبالعملِ بما جاء به(٤) مِن عندِ اللَّهِ ، الجنةَ ، وأما كافرُهم فإنه دفَع عنه به عاجلَ البلاءِ الذى كان ينزلُ بالأممِ المكذِّبةِ رسلَها مِن قبلِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ . /١٠٧/١٧

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : قل يا محمدُ : ما يُوحِى إلىَّ ربِّى إلَّا أنَّه لا إلهَ لكم يجوزُ أن يُعبدَ إلَّا إلهٌ واحدٌ ، لا تصلُحُ العبادةُ إلَّا له ، ولا ينبَغِى ذلك لغيرِه ، ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ . يقولُ : فهل أنتم مُذعِنون له أيُّها المشرِكون العابِدون الأوثانَ والأصنامَ ، بالخضوعِ بذلك(٥) ، ومُتبرِّئون من عبادةِ ما دونَه من آلهتِكم ؟

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ .

(١ - ١) فى ت ٢: « فهؤلاء » .

(٢) ذكره البغوى فى تفسيره ٥/ ٣٥٩، وينظر تفسير القرطبى ١١/ ٣٥٠.

(٣) فى ص ، م ، ت ١ ، ف : « العالم » .

(٤) سقط من : ص ، م .

(٥) فى م ، ف : « لذلك » .

يقولُ تعالى ذكرُه : فإن أدبَرَ هؤلاء المشركون يا محمدُ عن الإقرارِ بالإيمانِ بأن لا إلهَ لهم إلَّا إلهٌ واحدٌ ، فأعْرَضوا عنه وأبَوا الإجابةَ إليه ، فقُلْ لهم : قد ﴿ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ . يقولُ : أعلِمْهم أنَّك وهم على علمٍ من أن بعضَكم لبعضٍ حربٌ ، لا صلحَ بينَكم ولا سِلْمَ .

وإنما عنَى بذلك قومَ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن قُرَيشٍ ، كما حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ قولَه : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ : فإن تولَّوا : يعنى قريشًا .

وقولُه : ﴿ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴾ . يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه : قلْ : وما أدرِى متى الوقتُ الذى يَحِلُّ بكم عقابُ اللَّهِ الذى وعَدكم ، فينتَقِمَ به منكم ؛ أقريبٌ نزولُه بكم أم بعيدٌ ؟

وبنحوِ الذى قُلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ : ﴿ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴾ . قال : الأجلُ .

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ ﴾ .

يقولُ تعالى ذكرُه لنبيِّه محمدٍ ﷺ : قلْ لهؤلاءِ المشركين : إن اللَّهَ يعلمُ الجهرَ الذى تجهَرون به من القولِ ، ويعلمُ ما تُخفُونه فلا تجهَرون به ، سواءٌ عندَه خَفِيُّه وظاهرُه ، وسرُّه وعلانيتُه ، إنَّه لا يخفَى عليه منه شىءٌ ، فإن أخَّر عنكم عقابَه على ما

تُخفون[1] مِنَ الشِّركِ به، أو تَجهَرون به، فما أدْرِى /ما السببُ الذى مِن أجلِه يؤخِّرُ ١٠٨/١٧
ذلك عنكم؟ لعلَّ تأخيرَه ذلك عنكم مع وَعْدِه إيَّاكم؛ لِفتنةٍ يريدُها بكم، ولِتَتمَتَّعوا[2] بحياتِكم إلى أجلٍ قد جعَله لكم تبلُغونه، ثم يُنزِلُ بكم حينَئذٍ نقمتَه.

وبنحوِ الذى قُلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ، قال: ثنا الحسينُ، قال: ثنى حجاجٌ، عن ابنِ جُرَيجٍ، عن عطاءٍ الخراسانىِّ، عن ابنِ عباسٍ: ﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ﴾. يقولُ: لعلّ ما [3]أقرَبُ لكم[3] من العذابِ والساعةِ أن يؤخَّرَ عنكم لمدَّتِكم، ومتاعٌ إلى حينٍ، [4]فيصيرَ قولى ذلك لكم فتنةً[4].

القولُ فى تأويلِ قولِه تعالى: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

يقولُ تعالى ذكرُه: قل يا محمدُ: ياربِّ افْصِلْ بينى وبينَ مَن كذَّبنى مِن مُشرِكى قومى وكفَر بك، وعبَد غيرَك، بإحلالِ عذابِك ونِقْمتِك بهم. وذلك هو الحقُّ الذى أمَر اللَّهُ تعالى ذكرُه نبيَّه أن يسألَ ربَّه الحكمَ به، وهو نظيرُ قولِه جلَّ ثناؤُه: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ [5]وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ[5]﴾ [الأعراف: ٨٩].

---

(١) فى ت ١: «تخفونه».

(٢) فى ت ١، ف: «لتمتعوا»، وفى ت ٢: «تتمتعوا».

(٣ - ٣) فى ت ٢: «اقترب إليكم»، وفى الدر المنثور: «أخبركم به».

(٤ - ٤) سقط من: ت ١.

والأثر عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٢/٤ إلى المصنف وابن أبى حاتم إلى قوله: لمدتكم.

(٥ - ٥) سقط من: ص، ت ١، ف.

وبنحوِ الذى قُلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال: ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ ﴾ . قال : لا يحكمُ بالحقِّ إلَّا اللَّهُ ، ولكن إنَّما استعجَل بذلك فى الدُّنيا ؛ [٢/٤٠٣و] (١ يسألُ ربَّه ١) على قومِه (٢) .

حدَّثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ ثورٍ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ ، أن النبىَّ ﷺ كان إذا شَهِد قتالًا قال : ﴿ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ ﴾ (٣) .

واختلَفت القرَأةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرَأته عامَّةُ قرأةِ الأمصارِ : (قُلْ رَبِّ احْكُمْ) بكسرِ الباءِ ، ووصْلِ الألفِ ؛ ألفِ « احكُمْ » ، على وجْهِ الدعاءِ والمسألةِ (٤) ، سوى أبى جعفرٍ ، فإنَّه ضمَّ الباءَ مِن الربِّ على وجْهِ نداءِ المفردِ ، وغيرَ الضحاكِ بنِ مزاحمٍ ، فإنَّه رُوِى عنه أنَّه كان يقرَأُ ذلك : (رَبِّى أحْكَمُ) (٥) على وجْهِ الخبرِ بأنَّ اللَّهَ أحْكَمُ بالحقِّ مِن كلِّ حاكمٍ ، فيثبتُ الياءَ فى الربِّ ، ويهمزُ الألفَ مِن « أحْكَمُ » ، ويرفعُ « أحْكَمُ » على أنَّه خبرٌ للربِّ تبارَك وتعالى .

والصوابُ مِن القراءةِ عندَنا فى ذلك ، وَصْلُ الباءِ مِن الربِّ وكسرُها

(١ - ١) فى ص ، ت ١ : « يسأل به » ، وفى ت ٢ : « فسيل به » ، وفى ف : « نسل به » ، والمثبت موافق لما فى الدر المنثور .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٤٢ إلى المصنف و ابن المنذر .

(٣) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ٢/٣٠ عن معمر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤/٣٤٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) روى حفص عن عاصم : (قال) . وقرأ الباقون (قل) . وقرأ أبو جعفر : (ربُّ) . وقرأ الباقون : (ربِّ) . النشر ٢/٢٤٤ .

(٥) وهى قراءة ابن عباس وعكرمة والجحدرى وابن محيصن . البحر المحيط ٦/٣٤٥ .

بـ « احْكُمْ » ، وتركُ قطعِ الألفِ مِن « احْكُمْ » ، على ما عليه قراءةُ الأمصارِ ؛ لإجماعِ الحجَّةِ من القرأةِ عليه ، وشذوذِ ما خالفَه . وأما الضحاكُ فإنَّ فى القراءةِ التى ذُكِرت عنه زيادةَ حرفٍ على خطِّ المصاحفِ ، ولا ينبغى أن يُزادَ ذلك فيها مع صحَّةِ معنى القراءةِ بتَرْكِ زيادتِه . وقد زعَم بعضُهم أن معنى قولِه : ﴿ رَبِّ ٱحْكُم (١) بِٱلْحَقِّ ﴾ : قلْ : ربِّ احْكُمْ (١) بحكمِكَ الحقِّ . ثم حُذِف « الحكمُ » الذى « الحقَّ » نعتٌ له ، وأُقيم « الحقُّ » مُقامَه ، ولذلك وجهٌ ، غيرَ أنَّ الذى قُلناه أوضحُ وأشْبَهُ بما قاله أهلُ التأويلِ ؛ فلذلك اخْتَرناه .

/وقولُه : ﴿ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ . يقولُ جلَّ ثناؤه : قلْ يا ١٠٩/١٧
محمدُ : وربُّنا الذى يرحمُ عبادَه ، وتَعُمُّهم نِعَمُه (٢) ، الذى أستَعِينُه (٣) عليكم فيما تقولون وتصِفون ، من قولِكم لى فيما أتيتُكم به من عندِ اللَّهِ ﴿ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣] . وقولِكم : ﴿ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ [الأنبياء: ٥] . وفى كذبِكم على اللَّهِ جلَّ ثناؤه وقيلِكم : ﴿ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴾ [الأنبياء: ٢٦] . فإنَّه هَيِّنٌ عليه تغييرُ (٤) ذلك ، وفصلُ ما بينى وبينَكم بتعجيلِ العقوبةِ لكم على ما تصِفون مِن ذلك .

(٥) آخرُ تفسيرِ « سورةِ الأنبياءِ » عليهمُ السلامُ (٥)

(١ - ١) سقط من : ت ٢، ف ، وفى ص ، ت ١: « قل رب احكم » .

(٢) فى م : « بنعمته » ، وفى ت ١، ت ٢، ف : « أنعمه » .

(٣) فى ص : « استعنته » .

(٤) فى ت ٢: « يعتبر » ، وفى ت ١، ف : « بغير » .

(٥ - ٥) فى ص : « آخر تفسير سورة الأنبياء صلوات الله عليهم يتلوه تفسير سورة الحج والحمد لله رب العالمين » ، وفى ت ١: « والله سبحانه وتعالى أعلم آخر تفسير سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يتلوه تفسير سورة الحج إن شاءالله تعالى والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وحسبنا الله ونعم الوكيل » .